

شهر جمادى الآخرة ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦ مـ . العدد (٨) . السنة الثالثة

فَهَذِهِ تَعْلِيَّةٌ بِمَا نَلَى الْقُوَّةُ وَرَوْعُونُ الْكَوْنِ الْأَنْعَوْنِ الْأَبْهَرِ

تصدر عن: المَكَارِ الْاسْلَامِيِّ الْمُلْكِيِّ لِإِسْلَامِ الشَّرَاعِيَّةِ

يعنى بالاستراتيجية الدينية والمعرفية

الْحُقْقَيْقَةُ

■ حدث الغدير.. بين أدلة المثبتين وأوهام المبطلين
■ السلفية

الكلام القديم

■ حقيقة التجربة الدينية

الفكر المعاصر

■ أرجوزة في نظره الباب الحادي عشر

أدب العقيدة

■ وصيحة السيدة الزهراء عليها السلام وثيقـة حـيـة وصـرـخـة مـدوـيـة

ملف العدد

■ آيات الوعيد في خطبة الزهراء عليها السلام دراسة تحليلية

■ الفكر الكلامي عند السيدة الزهراء عليها السلام

■ أشياء اختصت بها السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

الْحَقِيقَةُ

فَصْلٌ لِّتَعْنَى بِهِ الْعِقِيرُ وَعِلْمُ الْكُلُّ لِلْفَزْعِ وَلِلْجَبَرِ

جمادى الآخرة ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦ مـ - العدد (٨) - السنة الثالثة

تصدر عن

المَركَزُ الْاسْلَامِيُّ لِلِّإِسَاتِ الْاسْتَراتِيجِيَّةِ

يعنى بالاستراتيجية الدينية

النجف الأشرف

الموقع الإلكتروني: www.iicss.iq

الإيميل: info@iicss.iq

islamic.css@gmail.com



قواعد النشر

المشرف العام

سماحة السيد أحمد الصافي
المتولى الشرعي للعتبة العباسية المقدسة

رئيس التحرير
السيد هاشم الميلاني

مدير التحرير
أ.د. السيد محمد زوين

سكرتير التحرير
م.م. محسن عدنان

المصحح اللغوي
أ.م.د. عبد علي حسن ناعور

تصميم وإخراج
نصر شكر

الموقع الإلكتروني للمركز
www.iicss.iq

البريد الإلكتروني للمركز
Islamic.css@gmail.com

البريد الإلكتروني للمجلة
aqeerah.m@gmail.com

- ❖ الموضوعية العلمية وعدم استخدام اللغة الجارحة.
- ❖ يتم تقييم البحوث من قبل لجان المجلة، وعلى الباحث إجراء التعديلات المطلوبة.
- ❖ يخضع تقديم وتأخير البحث لظروف فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.
- ❖ المادة المنشورة تعتبر ملك المجلة، وله الحق في إعادة نشرها وطبعها ضمن كتاب أو ترجمتها إلى لغة أخرى.
- ❖ يفضل أن لا يزيد البحث عن أربعين صفحة.
- ❖ للمجلة الحق في حذف وتلخيص ما لا يتناسب مع أهدافها.
- ❖ يفضل إرسال البحوث مصقوفة على برنامج وورد.
- ❖ المواد المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- ❖ إرسال نبذة عن السيرة الذاتية للباحث مع رقم الهاتف والایمیل.
- ❖ الالتزام بالرأي المشهور عند علماء الشيعة.
- ❖ تمنح مكافأة تقديرية لكل باحث بعد طباعة بحثه.

• الهيئة الاستشارية

- ❖ أ.د. السيد فاضل الميلاني (لندن)
- ❖ أ.د. احمد فرامرز قراملکي (ایران)
- ❖ أ.د. رؤوف الشمرى (العراق)
- ❖ أ.د. عادل بالكلحمة (تونس)
- ❖ أ.د. الشيخ محمد شقير (لبنان)
- ❖ أ.م.د. الشيخ محمد تقي السبحاني (ایران)
- ❖ أ.م.د. السيد ستار الاعرجي (العراق)
- ❖ أ. إدريس هاني (المغرب)
- ❖ السيد محمد علي الحلو (العراق)
- ❖ الشيخ قيس العطار (ایران)

• هيئة التحرير

- ❖ أ.م.د.الشيخ كريه شاتي(العراق)
- ❖ أ.م.د.السيد رذاق الموسوي (العراق)
- ❖ أ.م.د. السيد بلاسم الموسوي (العراق)
- ❖ أ.م.د. الشيخ جواد البهادلي (العراق)
- ❖ م.د. الشيخ اكره بركات (لبنان)
- ❖ م.د.الشيخ حسن الربيعي (العراق)
- ❖ م.د. السيد عصام العماد (اليمن)
- ❖ الشيخ محمد الحسون (ایران)
- ❖ الشيخ علي آل محسن (الحجاج)

محتويات العدد

٧	■ حديث الغدير.. بين أدلة المثبتين وأوهام المبطلين السيد هاشم الميلاني	الكلام القديم
٨١	■ السلفية ح .٥٠	الفنون الفاصلة
١١٣	■ حقيقة التجربة الدينية الدكتور الشيخ عبد الحسين خسروبني ترجمة: محمد حسين الواسطي	أدب العقيدة
١٢٧	■ أرجوزة في نظر الباب الحادي عشر العلامة الشهيد الشيخ المولى علي الزنجاني تحقيق: محمد حسين الوعظ النجفي	أدب العقيدة
١٥١	■ وصيحة السيدة الزهراء <small>عليها السلام</small> وثيقة حية وصرخة مدوية السيد محمود المقدس الغريفي	الخطاب
١٦٩	■ آيات الوعيد في خطبة الزهراء <small>عليها السلام</small> دراسته تحليلية أ.م.د. عدي الحجار	الخطاب
١٩٥	■ الفكر الكلامي عند السيدة الزهراء <small>عليها السلام</small> السيد سالم الخرسان	الخطاب
٢٤٧	■ أشياء اختصت بها السيدة فاطمة الزهراء <small>عليها السلام</small> رسول كاظم عبد السادة	الخطاب



حديث الغدير بين أدلة المثبتين وأوهام المبطلين

(الحلقة الثانية)

السيد هاشم الميلاني

الملاعنة:

طرقنا في الحلقة الأولى من هذا البحث إلى رواة حديث الغدير وما رووه، وفي هذه الحلقة سنتطرق إلى السند وإثبات صحة الحديث وتواته وفي الختام - وتتميمًا للفائدة - نعرّج على خطبة الغدير.

سند حديث الغدير :

يعدّ حديث الغدير من أهم ما استدلّت به الشيعة لإثبات إمامية أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَرَمُونَ، وللعلماء طرق عدّة لإثبات صحته سندًا نوجزها فيما يأتي:

١- العلم الضروري:

ذكر علماؤنا أنّ المطالبة بتصحيح خبر الغدير تعنت، وذلك لظهوره وانتشاره بحيث أصبح كالضروري، وما المطالب بتصحيحه إلاّ كالمطالب بتصحيح



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْفَاتِحَةُ

غزوات الرسول ﷺ الظاهرة والمشهورة، وأحواله وأخباره، وهذا لا يحتاج في ثبوته وصحته إلى الأسانيد المتصلة، إذ هو من قبيل الأمور الظاهرة التي نقلها الناس قرناً بعد قرن بغير إسناد معين وطريق مخصوص^(١).

قال الكراجي (ت٤٤٩): «ألا ترى إلى وقعة بدر وحنين، وحرب الجمل وصفين، كيف لا يفتقر في العلم بصحّة شيء من ذلك إلى سماع إسناد، ولا اعتبار أسماء الرجال، لظهوره المغني، وانتشاره الكافي، ونقل الناس له قرناً بعد قرن بغير إسناد، حتى عمت المعرفة به واشترك الكل في ذكره، وقد جرى خبر يوم الغدير هذا المجرى، واختلط في الذكر والنقل بما وصفنا، فلا حجّة في صحته أوضح من هذا»^(٢).

ثم إن الفخر الرازي (ت٦٠٦) قدح في هذا الدليل وقال: «أما دعواهم العلم الضروري بصحّته فمكابرة، لأنّا نعلم أنّه ليس العلم بصحّته كالعلم بوجود محمد ﷺ وزوجاته مع الكفار وفتحه لمكة وغير ذلك من المتوارثات»^(٣).

وقد رد ابن ميثي البحراني (ت٦٩٩) شبهة الرازي قائلاً: «قوله: هذه مكابرة إذ ليس العلم له كوجود مكة وغيرها من المتوارثات، قلنا: عندنا أنّه كذلك، فأمّا عندكم فإن زعمتم أنّه لم يحصل لكم العلم به أصلًا فلم يضرّنا ذلك، وغير ممتنع أن يحصل لكم العلم للعلة التي ذكرناها، وهو اعتقادكم لما ينافي موجب الخبر، وإن زعمتم أنّ العلم به حاصل لكن بينه وبين المتوارثات تفاوت، فقد سلّمتم أنّه متواتر، وأمّا التفاوت فغير ضار لأنّ العلوم الضرورية مختلفة بالأشدّية والأضعفية»^(٤).

وأجاب البياضي (ت٨٧٧) بنحو آخر حيث قال: «اعتراض المخالف بمنع صحّة الحديث، ودعوى العلم الضروري به ممنوعة لمخالفتنا، قلنا: قد شرط المرتضى في قبول الضروري عدم سبق شبهة تمنع من اعتقاده، وهو حقّ، فإنّ اعتقاد أحد الضدين يمنع من اعتقاد الآخر، والمخالف تمكّنت في قلبه الشبهة فمنعه من

ذلك، قالوا: نجد الفرق بينه وبين الواقع العظام، قلنا: يجوز التفاوت في
الضروريات»^(٥).

وقد اجاب أيضاً السيد دلدار علي (ت ١٢٣٥) عن شبهة الرازي قائلاً:
«لاشك أن كل من تأمل وأنصف في كثرة طرق الحديث واشتهاره بين الخاصة
والعامة مع وفور الدواعي الى الكتمان، وكثرة الصوارف عن النقل، يحصل له العلم
الضروري بصحّة هذا الحديث، كيف وقد يحصل للمسلمين القطع واليقين في كثير
من الأمور الدينية التي هي أدون مرتبة في باب التواتر من هذا الحديث، كآيات
التحدي والتحدي بها على رؤوس الأشهاد من الكفار وأعداء الدين، مع وجود
الدواعي الى المعارضة وعدم وجود الموضع، وهكذا صدور المعجزات ونحو ذلك، مع
أن الكفار كافّة ينكرون ذلك كله، ويدعون أن أهل الإسلام كلهم تواطئوا على
الكذب واختراع هذه الأخبار، لأن كلهم من أرباب الأغراض والدواعي الى وضع
تلك الأخبار، كما إن أهل الإسلام يدعون كذلك في باب الأخبار المخصصة بأهل
المذاهب الفاسدة من اليهود والصابئين وبعدة النيران والأوثان وسائر المشركين،
فكيف يسوغ لمسلم منصف أن ينكر التفاوت بين العلمين، فعلى تقدير التسليم
يكون حاله كحال التفاوت بين البديهيين، فإنه قد يكون أحدهما أجي من
الآخر، كيف ولو لم يكن الأمر كذلك يلزم إهمال كثير من المتواترات»^(٦).

نعم ربّما يقال: إن العلم به لو كان كذلك لا شترك في الوقوف على تفاصيله
ومعرفته جميع الناس: العام والخاص، والحال أنه ليس كذلك، قلنا: «إن العلم به
إنما يحصل للمخالف المتأمل للآثار دون بعيد عنهما، كأمثاله من المعلومات التي
يعلم بها من خالط العلماء وتأمل النقل، ولا يحصل للمعرض، كتفصيل ما جرى
في بدر وأحد، والجمل وصفين، وتبوك وحجة الوداع، وكون الركوع والسجود
والطواف والوقوف بعرفة من أركان الصلاة والحج، وتعلق فرض الزكاة بأنواع
التسعة، وإيجاب تعمّد الأكل والشرب والجماع في الصوم بالقضاء والكافرة، إلى

باقي أحكام هذه العبادات المعلوم ضرورة من دينه ﷺ وجوبيها، مع وجود أكثر العامة وقطان البدو والسود جاهلين بجميعها أو معظمها لتشاغلهم بما بينهم من المعيش والأغراض الدنيوية... وإن كان جهل هؤلاء الحاصل فيهم لتشاغلهم عن مخالطة العلماء وإعراضهم عن سماع النقل والفتيا غير قادر في عموم العلم بما اتفق العلماء عليه، وعلم من دينه ﷺ من الشرعيات، لم يقدر جهل العوام وطغام الناس بخبرى تبوك والغدير في ثبوتهما وعموم العلم بهما»^(٧).

وهناك شبهة أخرى ذكرها أبو الصلاح الحلبي (ت ٤٤٧) وردّها، قال: «وليس لأحد أن يقول: فإذا كان العلم بخبرى تبوك والغدير عاماً، فلم فزع أكثر سلفكم إلى إيراد الأسانيد بهما وإثبات طريق النقل لهما؟ وأي حاجة فيما عمّ العلم به كبدرو وحنين إلى ترتيب نقل؟

لأنّ العلماء من سلفنا وخلفنا رضي الله عنهم لم يعوا في إثبات هذين الخبرين إلا على ما ذكرناه، وإنما نبهوا في الاستدلال على الطريق وصفة التواتر تأكيداً للحجّة وتنبيهاً للمعرض على الطريق الذي يعمّ العلم بتأمّله، وجرروا في ذلك مجرى من يسأل بيان العلم بصفة حجّة النبي ﷺ هل في قرآن أو إفراد أو تمتّع؟ وأعيان المخالفين عن غزوة تبوك؟ وهل كانت ذات حرب أم لا؟ وبقتل حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه) يوم أحد دون غيره؟ وبقتل عتبة وشيبة والوليد ببدر؟ في فزعه إلى الإشارة إلى كتب أصحاب السيرة وطرق الناقلين، لذلك لا يجد مندوحة عنه، إذ هو الطريق الذي منه لحق التفصيل بالجمل في عموم العلم، ولذلك يجد كل من لم يخالط العلماء ويسمع الأخبار ويتأمّل الآثار من العوام وأهل السود والأعراب وأشباههم لا يعلم شيئاً من ذلك، ولا يكون التنبيه لهم على طريق العلم بما نقله الرواة وأصحاب السير من تفاصيل ما جرى قادحاً في عموم العلم بها لكل متأنّل للآثار.

كذلك حال المنبه من شيوخنا رضي الله عنهم على طرق الناقلين، والمشير إلى

صفات المتواترين بخبرٍ تبوك والغدير للمعرض عن سماع ذلك ليس بقادح فيما بيناه من عموم العلم بهما للمتأملين، على أن بإيراد ما نقله أصحاب الحديث من الخاصة والعامة حصل للسامع العلم بهما، كما بنقل الرواية للمغازي حصل العلم بها لكل سامع، وكيف يكون التنبية على طريق عموم العلم بالمنقول قادحاً فيه لولا الغفلة»^(٨).

٢ - الإجماع:

ـ مما يدلّ على صحة الحديث إجماع علماء المسلمين على صدوره، قال السيد المرتضى (ت ٤٣٦): «وما نعلم أن فرقة من فرق الأمة ردت هذا الخبر واعتقدت بطلانه وامتنعت من قبوله، وما تجمع الأمة عليه لا يكون إلا حقاً عندنا وعنده مخالفينا، وإن اختلفنا في العلة والاستدلال»^(٩).

ـ وقال أبو الصلاح الحلبي (ت ٤٤٧): «ولذلك لا نجد أحداً من علماء القبلة قد ينكراً وحديثاً ينكرهما، ولا يقف في صحتهما، كما لا يشك في شيء من الأحكام المجمع عليها، وإن خالف في المراد بهما»^(١٠).

ـ وقال ابن ميثم (ت ٦٩٩): «إن الأمة أجمعت على نقله، وإجماعهم على مذهب الخصم حجة، أما أنها أجمعت على صحته فلأن الشيعة بأسرهم ينقولونه ليثبتوا به إمامتهم، والخصم ينقله ليثبت فضيلته، فوجب أن يكون مجمعًا على صحته»^(١١).

ـ وقد انبرى هنا بعض متكلمي أهل السنة للقدح في دعوى الإجماع، واستدلوا على ذلك بأربع أدلة:

ـ ١ - قال الفخر الرازي (ت ٦٠٦) عند رده على الشيعة في دعوى الإجماع: «تدعى أن كل الأمة قبلوه قبول القطع أو قبول الظن ؟ الأول منوع وهو نفس المطلوب، والثاني مسلم وهو لا ينفعكم في مطلوبكم»^(١٢).

قلنا: لا طائل تحت هذه الشبهة سوى تنميق الألفاظ وتزويقها، لأنّ الذي قبله قطع بصحته وصدوره، ولا فرق بين قبول القطع وقبول الظنّ، ذلك لأنّ الذي قبله إن كان مراده صحة السند وصدوره عن النبي ﷺ، فهو هنا إما قاطع وإما غير قاطع، فإن كان قاطعاً فهو المطلوب، وإن كان غير قاطع فمعناه عدم حكمه بصحته، وهذا لا يقدح في الإجماع - كما سنذكره لاحقاً - وأمّا إذا كان مراده القطع بالمدلول فالشيعة قطعت بكونه نصّاً، وأهل السنة قطعوا بكونه دليلاً على الفضل، ولا معنى للتفرقة بين قبول القطع وقبول الظنّ، إلا أن يريد أنّ دخول التأويل في فهم مدلوله يخرجه من القطع إلى الظنّ، وهذا أيضاً لا ينفعه، إذ إن الآيات المتشابهة مع القطع بصدورها باتت معركة الآراء، وهذا لم يخرجها عن القطعية وصحة الصدور، غایة ما هنالك لابد من قبول أقرب التأويلات بالقياس إلى اللغة والعرف والقرائن الداخلية والخارجية، فلا معنى حينئذ لقول الرازي: «الثاني مسلم وهو لا ينفعكم في مطلوبكم» بل ينفعنا من حيث ثبوت الحديث سندًا، والقطع بصدوره يقيناً.

٢- تمسّك الفخر الرازي بشبهة أخرى إذ زعم أنّ انشغال الأُمّة بتاویل الحديث والمناقشة فيه لا يكون دليلاً على صحته، قال: «وليس كُلّ ما لا يكون صحته يقينية للأُمّة فإنّهم لا يقبلونها، بل أكثر الأخبار التي قبلوها وعملوا بها واجتهدوا في معرفة معانيها غير مقطوعة الصحة، فثبتت بهذا أَنَّه لا يلزم من عدم ردّ الأُمّة لهذا الحديث وانشغالهم بحمله تارة على الإمامة وتارة على الفضيلة، قطعهم بـصحته»^(١٣).

وقد ردّ عليه ابن ميثم البحرياني (ت ٦٩٩) قائلاً: «لا نسلم، وذلك لأنّ أكثر الأئمّة إذا اعتقدوا بأسرهم، مخالفهم ومؤالفهم، صحته خصوصاً، وفي المخالفين لما يتضمّنه هذا الخبر من شديد المعاندة في إنكار مقتضاه، فيستحيل أن يكون فيه تسليم له ثم بعد ذلك يتعسّف في صرفه عن ظاهره إلى تأويلات نادرة لا تسمن ولا تغنى من جوع»^(١٤).



وقد أشار السيد المرتضى (ت٤٣٦) فيما قبل الى نحو هذا الشبهة وردّها بقوله: «ليس يجوز أن يتأول أحد من المتكلمين خبراً يعتقد بطلانه أو يشك في صحته، إلا بعد أن يبيّن ذلك من حاله ويدلّ على بطلان الخبر أو على فقد ما يقتضي صحته، ولم نجد مخالفي الشيعة في ماض ولا مستقبل يستعملون في تأويل خبر الغدير إلا ما يستعمله المتقبل، لأنّا لا نعلم أحداً منهم يعتدّ بمثله قدم الكلام في إبطاله والدفع له أمام تأويله، ولو كانوا أو بعضهم يعتقدون بطلانه أو يشكّون في صحته لوجب مع ما نعلمه من توفر دواعيهم الى رد احتجاج الشيعة، وحرصهم على دفع ما يجعلونه الذريعة الى تثبيته أن يظهر عنهم دفعه سالفاً وأنفأ، ويشيع الكلام منهم في دفع الخبر كما شاع كلامهم في تأويله، لأنّ دفعه أسهل من تأويله، أو أقوى في إبطال التعلق به، وأنفي للشبهة»^(١٥).

٣ - قال الفخر الرازي أيضاً «إنّ كثيراً من أصحاب الحديث لم ينقلوا هذا الحديث كالبخاري ومسلم والواقدي وابن اسحاق»^(١٦).

فنقول في الجواب:

أولاً: إنّ عدم إخراج هؤلاء الأربعة لهذا الحديث لا يقدح فيه بل هو قدح فيهم، إذ أهملوا حديثاً اجتمعت الأمة على نقله وتصحيحه وروايته، ورووا أحاديث أخرى لا تصل الى رتبته، بل هي الى الوضع أقرب.

ثانياً: «كون شخص أو شخصين أهملاً حديثاً لم يلزم منه سقوط ذلك الحديث وكذبه، فإنه لو نقل كل الرواية كل الأخبار كما وقعت عن رسول الله ﷺ لما وقع بين الناس خلاف في خبر قط، ومعلوم أنّ الخلاف في الأخبار أكثر من أن يحصى، ثم الحامل لهم على الإهمال إما عدم الوصول الى التزكية، أو لاعتقادهم عدم صحته لشبهة عندهم، أو لعدم اعتقادهم لصحته، أو لتوقفهم في رواته، حتى أنّ تاركيه لو صرّحوا بفساده لم يلزم فساده»^(١٧).

ثالثاً: قال ابن حجر (ت ٨٥٦) في فتح الباري في رد من شك في معجزة شق القمر بأنّ أهل التنجم لم يذكروه: «وأمّا من سأل عن السبب في كون أهل التنجم لم يذكروه، فجوابه إنّه لم ينقل عن أحد منهم أنّه نفاه، وهذا كاف، فإنّ الحاجة فيمن أثبتت لا فيمن لم يوجد منه صريح النفي، حتى أنّ من وجد منه صريح النفي، يقدم عليه من وجد منه صريح الإثبات»^(١٨).

عدم ذكر البخاري ومسلم:

أما كون البخاري ومسلم لم يروياه فنقول - مضافاً إلى ما مرّ من الأوجبة العامة - إنّ الروايات الصحيحة لا تحصر في الصحيحين، فهذا الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥) قد استدرك عليهما كثيراً من الأحاديث، وأثبت صحتها على شرطهما أو شرط أحدهما، ووافقه الذهبي على كثیر منها، قال الحاكم في مقدمة كتابه: «لم يحكما - يعني البخاري ومسلم - ولا واحد منهما بأنّه لم يصحّ من الحديث غير ما أخرجاه، وقد نبغ في عصرنا هذا جماعة من المبتدةعة يشمون برواية الآثار بأنّ جميع ما يصحّ عندكم من الحديث لا يبلغ عشرة آلاف حديث، وهذه الأسانيد المجموعة المشتملة على ألف جزء أو أقلّ أو أكثر منه كلّها سقيمة غير صحيحة»^(١٩).

وقد رد النwoي (ت ٦٧٦) على الدارقطني في إلزامه على الشیخین ترك كثیر من الصحيح: «هذا الإلزام ليس بلازم في الحقيقة، فإنهما لم يلتزما استيعاب الصحيح، بل صحّ عنهم تصریحهما بأنّهما لم يستوعبا، وإنما قصدا جمع جمل من الصحيح، كما يقصد المصنف في الفقه جمع جملة من مسائله»^(٢٠).

وقال القاضي الكنانی (ت ٧٣٣): «لم يستوعبا كلّ الصحيح في كتابيهما، وإلزام الدارقطني وغيره لهما أحاديث على شرطهما لم يخرجاها ليس بلازم لهما في الحقيقة، لأنّهما لم يلتزما استيعاب الصحيح، بل جملة منه أو ما يسدّ مسدّه من غيره منه، قال البخاري: ما أدخلت في كتاب الجامع الا ما صحّ، وتركت من

الصحاح لحال الطول، وقال مسلم: ليس كل شيء عندي صحيح وضعته هاهنا، وإنما وضعت ما أجمعوا عليه، ولعل مراده ما فيه شرائط الصحيح المجمع عليه عنده لا إجماعهم على وجودها في كل حديث منه، أو أراد ما أجمعوا عليه في علمه متناً أو إسناداً وإن اختلفوا في توثيق بعض رواته، فان فيه جملة أحاديث مختلف فيها متناً أو إسناداً ... »^(٢١).

وقد قال ابن القيم (ت ٧٥١) في مسألة وقوع التلاقي بكلمة واحدة، ردّاً على من تمسك بأنّ البخاري لم يرو الحديث ورواه مسلم فقط، قائلاً: «ما ضر ذلك الحديث انفرد مسلم به شيئاً، ثم هل تقبلون أنتم أو أحد مثل هذا في كلّ حديث ينفرد به مسلم عن البخاري، وهل قال البخاري قط أن كلّ حديث لم أدخله في كتابي فهو باطل أو ليس بحجّة أو ضعيف، وكم قد احتاج البخاري بأحاديث خارج الصحيح وليس لها ذكر في صحيحه، وكم صحيح من حديث خارج عن صحيحه»^(٢٢).

ثم إنّه كم من حديث صحيح رواه البخاري ومسلم في صحيحهما، ومع هذا قد طعن فيه بعض علماء أهل السنة، فعلى فرض روایتهما لحديث الغدير - كسائر الحفاظ من أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد - لكان لطعن الحاذدين فيه مجال واسع.

وإليك بعض النماذج مما ورد في الصحيحين ورده أو ناقش فيه - سندأ أو متناً أو كليهما - أهل السنة:

من تلك الموارد حديث تأخر على عائيلٌ عن بيعة أبي بكر لستة أشهر وجيع بنى هاشم الوارد في الصحيحين^(٢٣)، ولكن مع هذا ضعفه البيهقي، قال ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٦) في فتح الباري: «أما ما وقع في مسلم عن الزهرى أنّ رجلاً قال: لم يباع على أبا بكر حتى ماتت فاطمة، قال: ولا أحد من بنى هاشم، فقد ضعفه البيهقي بأنّ الزهرى لم يسنه ... »^(٢٤).

وقد قال المولوي حيدر علي الفيض آبادي الهندي بعد ذكر التأويلات والأقوال المختلفة حول هذا الحديث: «يلوح من كتب المحدثين - بعد التنقيب والتحقيق - بوضوح أنّ في صحة بعض روایات صحيح البخاري كلاماً، وكذلك في بعض روایات صحيح مسلم، وقلنا فيما سبق أنّ هذه الروایات التي باتت مشارق القليل والقال عند أهل الحديث، تكون بمثابة أقل القليل، وهي في الصحيح الثاني أكثر» (٢٥).

كما رد الفيض آبادي أيضاً حديث القرطاس الموجود في صحيح البخاري ومسلم في أكثر من مكان، ونسب تضعيقه بل القول بوضعه إلى الأمدي أيضاً، ثم صرّح تصريحاً خطيراً حيث قال: «ينقل عن شيخ المحدثين أنه يظهر بعد الفحص ضعف (٤١٠) رواية في الصحيحين، تفرد البخاري بثمانين رواية، وتفرد مسلم بمائة، واشتراكاً في ثلاثين رواية»^(٢٦).

قال ابن تيمية (ت ٧٦٨) في منهاج السنة: «المواضع المنتقدة غالباً في مسلم، وقد انتصر طائفة لهما - يعني للبخاري ومسلم - فيها، وطائفة قوّت قول المنتقد، وال الصحيح التفصيل، فإنّ فيهما مواضع منتقدة بלאريب، مثل حديث: خلق الله التربة يوم السبت، وحديث صلاة الكسوف بثلاث ركوعات وأكثر»^(٢٧).

ومع هذا فإن الكتاين نفسيهما مطعون فيهما، ويوجد كلام حول تقديمها على غيرهما، قال الحافظ الأدفوبي (ت ٧٤٩) الذي أثني عليه ابن حجر في الدرر الكامنة ١: ٥٣٥ كثيراً، قال في رد ابن الصلاح في تلقى الأمة كتابي البخاري ومسلم بالقبول: «إن قول الشيخ أبي عمرو بن الصلاح: إن الأمة تلقت الكتابين بالقبول، إن أراد كل الأمة فلا يخفى فساده لك، إذ الكتابان إنما صنفا في المائة الثالثة بعد عصر الصحابة والتابعين، وتابعـيـ التابعين، وأئمة المذاهب المتبعة، ورؤوس حفاظ الأخبار، ونقـادـ الآثار المتكلمين في الطرق والرجال المميزـينـ بين الصحيح والسقيم، وإن أراد بالأمة الذين وجدوا بعد الكتابين، فهم بعض الأمة، فلا يستقيم دليـلهـ

الذي قرّره من تلقي الأُمّة وثبوت العصمة لهم ... ثم إن أراد كلّ حديث فيهما تلقيه بالقبول من الناس كافة فغير مستقيم، فقد تكلّم من الحفاظ في أحاديث فيهما: فتكلّم الدارقطني في أحاديث وعلّلها، وتتكلّم ابن حزم في أحاديث كحديث شريك في الإسراء قال إنّه خلط، ووقع في الصحيحين أحاديث متعارضة لا يمكن الجمع بينهما، والقطع لا يقع التعارض فيه.

وقد اتفق البخاري ومسلم على إخراج حديث محمد بن بشار بندار وأكثرا من الاحتجاج بحديه، وتتكلّم فيه غير واحد من الحفاظ أئمّة الجرح والتعديل، ونسب إلى الكذب، وحلف عمرو بن علي الفلاس شيخ البخاري أنّ بندار يكذب في حديثه عن يحيى، وتتكلّم فيه أبو موسى، وقال علي بن المديني في الحديث الذي رواه في السجود: هذا كذب ... إلى أن قال: - وأمثال ذلك يستغرق أوراقاً، فتلك الأحاديث عندهما ولم يتلقّوها بالقبول»^(٢٨).

كما أنّ الحافظ أبا زرعة (ت ٢٦٤ أو ٢٦٨) قد طعن في مسلم وصححه، فقد قال في حقّه: «هذا ليس له عقل، لو داري محمد بن يحيى لصار رجلاً»^(٢٩) وفي مورد آخر قال لما ذكر عنده صحيح مسلم: «هؤلاء قوم أرادوا التقدم قبل أوانه، فعملوا شيئاً يتسوقون به»^(٣٠)، وأبو زرعة هذا هو الذي قال في حقّه إسحاق بن راهويه: «كل حديث لا يعرفه أبو زرعة ليس له أصل»^(٣١).

أما البخاري فلم يسلم من القدر أيضاً، فقد قدحه أبو زرعة وأبو حاتم^(٣٢)، وكذلك قدحه محمد بن يحيى الذهلي، وأشار إلى عدم مجالسته لما أبداه في مسألة القرآن^(٣٣)، كما قال أيضاً: «قد أظهر هذا البخاري قول اللفظية، واللغظية عندي شرّ من الجهمية»^(٣٤)، وقال: «...وصنف في ذلك كتاب (أفعال العباد) مجلد، فأنكر عليه طائفة ما فهموا مرامه كالذهلي وأبي زرعة وأبي حاتم وأبي بكر الأعین وغيرهم»^(٣٥).

ومن الطريف أنّ الرازي الذي قدح في حديث الغدير لعدم رواية البخاري ومسلم له، وجعل هذا ذريعة لرذ الحديث، نسى موقفه هذا وقال في كتابه الآخر (مناقب الشافعى) ردًا على من ضعف الشافعى لعدم رواية البخاري ومسلم عنه قائلاً: «الرابع: إنّ البخاري ومسلمًا ما رويًا عنه، ولو لا أنه كان ضعيفاً في الرواية لرويًا عنه كما رويا عن سائر المحدثين، ثم قال في الجواب: إنّ البخاري روى عن أقوام ما روى عنهم مسلم، ومسلمًا روى عن أقوام لم يرو عنهم البخاري، فدلّ على أنّهما إن ترکا الرواية عن رجل لم يوجب ذلك قدحًا فيه ... وترك الرواية لا يدلّ على الحرج»^(٣٦).

فتلخص مما مضى أنّ عدم رواية البخاري ومسلم لحديث الغدير لا يدلّ على قدح في الحديث لا من قريب ولا من بعيد، مضافاً إلى أنّ شيخ البخاري ومسلم قد رويا حديث الغدير بأسانيد صحاح وحسان، وقد سرد أسماءهم العلامة الأميني في الغدير، فراجعه^(٣٧).

عدم نقل الواقدي وابن اسحاق:

أما عدم نقل الواقدي لحديث الغدير، فلا يضرنا أيضاً، إذ ليس هو من آئمة الحديث والحافظ الذين يشار إليهم بالبنان، وبعد ما ثبتنا أنّ عدم رواية البخاري ومسلم للحديث غير قادر فيه، فعدم القدح لعدم رواية الواقدي إياته أولى، مضافاً إلى أنّ الواقدي نفسه مقدوح ومتهم عند أهل السنة، ومن الطريف أنّ الشيعة عندما تستشهد برواية الواقدي في مطاعن الخلفاء، يجيب أهل السنة بأنه ضعيف وكذاب ومدلّس، ولكن هنا قد أصبح عدم روايته دليلاً على القدح في حديث الغدير.

وكذلك جوابنا في عدم رواية ابن إسحاق أيضاً، ولكن مع هذا فإنّ ابن إسحاق قد أشار إلى الحديث وذكر سببه، وذلك فيما رواه ابن كثير وغيره فيبعثة اليمن وشகایة الصحابة من علي عليه السلام^(٣٨).

٤ - قال الفخر الرازي (ت ٦٠٦): «بل الماجحظ وابن أبي داود السجستاني وأبو حاتم الرازي وغيرهم من أئمة الدين قدحوا فيه واستدلّوا على فساده»^(٣٩) وأضاف ابن تيمية (ت ٧٢٨) إلى هذه القائمة أسماء آخر حيث قال: «فنقل عن البخاري وإبراهيم الحريي وطائفة من أهل العلم بالحديث أنّهم طعنوا فيه وضعفوه»^(٤٠).

فنقول في الجواب:

أولاً: ليست هذه الشبهة بالشيء الجديد، فقد طرحت قبل الرازي بقرون، وقد أشار إليها السيد المرتضى (رحمه الله) (ت ٤٣٦) في الشافعى وردها، حيث قال: «أول ما نقوله إنّه لا يعتبر في باب الإجماع بشذوذ كُل شاذ عنه، بل الواجب أن يعلم أنّ الذي خرج عنه مَنْ يعتبر قول مثله في الإجماع، ثم يعلم أنّ الإجماع لم يتقدّم خلافه، فإنّ أبي داود والماجحظ لو صرّحا بالخلاف لسقط خلافهما بما ذكرناه من الإجماع خصوصاً بالذي لا شبهة فيه من تقدّم الإجماع وفقد الخلاف وقد سبقهما ثم تأخر عنهما»^(٤١).

ثانياً: إنّ قبح الماجحظ لو ثبت لا يضرّ، لأنّ «طريقته المشتهرة في تصنيفاته المختلفة، وأقواله المضادة المتناقضة، وتآليفاته القبيحة في اللعب والخلاعة، وأنواع السخف والمجانة الذي لا يرتضيه لنفسه ذو عقل وديانة، يمنع من الالتفات إلى ما يحكى، ويوجب التهمة له فيما ينفرد به ويأتيه»^(٤٢).

مضافاً إلى أنّه من النواصب المبغضين لأمير المؤمنين عليه السلام، قال ابن تيمية (ت ٧٢٨): «نعم مع معاوية طائفة كثيرة من المروانية وغيرهم كالذين قاتلوا معه وأتباعهم بعدهم، يقولون إنّه كان في قتاله على الحق مجتهداً مصيبةً، وإنّ علياً ومن معه كانوا ظالمين أو مجتهدین مخطئين، وقد صنف لهم في ذلك مصنفات مثل كتاب المروانية الذي صنفه الماجحظ»^(٤٣).



ثالثاً: إنَّ ما نسب إلى ابن أبي داود السجستاني من القدح في الحديث لم يثبت، قال السيد المرتضى (ت ٤٣٦): «إنَّ ابن أبي داود لم ينكر الخبر، وإنَّما أنكر كون المسجد الذي بعدير خم متقدماً»^(٤٤)، وأضاف أبو صلاح الحلبي (ت ٤٤٧) قوله: «إنَّ المضاف إلى السجستاني من ذلك موقوف على حكاية الطبرى مع ما بينهما من الملاحة والشنان، وقد أكذب الطبرى في حكايته عنه، وصرَّح بأنَّه لم ينكر الخبر وإنَّما أنكر أن يكون المسجد بعدير خم متقدماً، وصنف كتاباً معروفاً يعتذر فيه مما قرفة به الطبرى ويترأَّ منه»^(٤٥).

مضافاً إلى أنَّ - والده - أبا داود قد روى الحديث، كما في كتاب الخصائص للنسائي حيث روى حديث المناشدة عن أبي داود^(٤٦)، وكفانا الوالد مؤنة الابن حيث كذبه، قال: «ابن عدي، أبدأ علي بن عبدالله الراهنى، سمعت أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ عُمَرَ كَرْكَرَةَ، سمعت علي بن الحسين بن الجنيد، سمعت أبا داود يقول: أبني عبدالله كذاب، قال ابن صاعد: كفانا ما قال فيه أبوه»^(٤٧)، وكذلك قال إبراهيم الأصفهانى: أبو بكر بن أبي داود كذاب، وقال أبو القاسم البغوي لابن أبي داود: أنت عندي والله منسلخ من العلم^(٤٨)، فلا ضير إذاً في قدحه بلغ ما بلغ.

رابعاً: أما أبو حاتم الرازى وقدحه في حديث الغدير فلا يضرّ أيضاً، وذلك لأنَّ أبا حاتم باعتراف أهل السنة كان متعنتاً في الرجال، قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: «إذا وثق أبو حاتم رجلاً فتمسَّك بقوله فإنه لا يوثق إلا رجلاً صحيح الحديث، وإذا لين رجلاً أو قال فيه لا يحتاج به، فتوقف حتى ترى ما قال غيره فيه، فإن وثقه أحد فلا تبن على تحرير أبي حاتم فإنه متعنت في الرجال، قد قال في طائفة من رجال الصحيح ليس بحججة، ليس بقوى أو نحو ذلك»^(٤٩).

وقال أيضاً: «يعجبني كثيراً أبو زرعة في الجرح والتعديل يبين عليه الورع والخبرة، بخلاف رفيقه أبي حاتم فإنه جراح»^(٥٠)، فكيف بعد هذا نعتمد على جرحه وقدحه في الحديث إن ثبت ذلك عنه.

خامساً: أما كون البخاري وإبراهيم الحري قدحا في حديث الغدير، فلم نسمعه إلا من ابن تيمية ولم يسبقه أحد فيما نعلم، ومع هذا فهو ادعاء صرف لم يقدم عليه دليلاً، ولم يذكر المصدر حتى يرجع إليه ويرى سبب القدح، فلا عبرة إذ به إذا هو مجرد ادعاء ومكابرة، أما طعن ابن حزم فسنجيب عليه في ذكر طرق الحديث.

سادساً وأخيراً: إن قدح القادحين لا يقاوم من صرّح بصحّة الحديث وتواتره من الحفاظ أصحاب السنن والمسانيد، و«القول الشاذ لو أثر في الإجماع، وكذلك الرأي المستحدث لو أبطل مقدم الاتفاق، لم يصح الاحتجاج بالإجماع، ولا يثبت التعويل على اتفاق»^(٥١).

مضافاً إلى القاعدة المقرّرة عند القوم من تقديم المثبت على النافي، قال ابن حجر (ت ٨٥٦) في مقام الدفاع عن صحّة شق القمر أمام المنكريين له: «إن الحجة فيمن أثبتت لا فيمن لم يوجد منه صريح النفي، حتى أنّ من وجد منه صريح النفي يقدم عليه من وجد منه صريح الإثبات»^(٥٢)، وكما قال العيني (ت ٨٥٥) في عمدة القاري بالنسبة إلى الخلاف القائم بين من أثبت صلاة النبي ﷺ في جوف الكعبة وبين من نفاهما، قال: «ومن الأوجوبة أنّ القاعدة تقديم المثبت على النافي»^(٥٣).

وكذلك قال المناوي (ت ١٠٣١): «القاعدة عند التعارض تقديم المثبت»^(٥٤).

إذا عرفت هذا فثبتت حديث الغدير والإجماع عليه مما لا يؤثر فيه طعن الطاعنين للأدلة التي ذكرناها، فيبقى الإجماع على حاله من غير خدشة.

٣ - التصريح بتواتر الحديث:

وسياق الحديث عنه لاحقاً.

٤- التصریح بتصحیح الحدیث:

صَرَحَ كثيرون من علماء السنة بصحة حديث الغدير، وفيما يأتي ذُشير إلى أهم

العلماع:

- ١ - ابن ماجة (ت ٢٧٣) أورده في سننه ٤٥ ح ١٦١، وهو وإن لم يصرح بتضييقه ولكن يعد كتابه من الصحاح الستة عند أهل السنة.
 - ٢ - الترمذى (ت ٢٧٩) في سننه ٥ ح ٣٧٩٧، وقال: حديث حسن غريب، وكتابه أيضاً من الصحاح الستة عند أهل السنة.
 - ٣ - الطحاوى (ت ٣٢١) في مشكل الآثار ٣٠٨ قال بعد ما روی حديث جابر: صحيح الإسناد لا طعن لأحد في رواته .
 - ٤ - ابن حبان (ت ٣٥٤) في صحيحه ١٥ ح ٣٧٦ .
 - ٥ - الحاكم النسابوري (ت ٤٠٥) في المستدرك ٣: ١٠٩، صححه على شرط الشيفيين.
 - ٦ - أبو القاسم الفضل بن محمد الأصفهانى (ق ٥) نقل تصحيحه ابن المغازى في المناقب: ٢٧ ح ٣٩ .
 - ٧ - ابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣) رواه في الاستيعاب مع حديث المؤاخاة والرأية وقال: هذه كلها آثار ثابتة^(٥٥).
 - ٨ - ابن المغازى (ت ٤٨٣) في المناقب: ٢٧ نقل تصحيح الأصفهانى وارتضاه.
 - ٩ - سبط ابن الجوزى (ت ٦٥٤) في تذكرة الخواص، صحح رواية أحمد عن البراء بن عازب^(٥٦).
 - ١٠ - أبو عبدالله الكنجى الشافعى (ت ٦٥٨) قال في كفاية الطالب بعد رواية الحديث بعدة الطرق: «وانضمم هذه الأسانيد بعضها الى بعض حجّة في صحة النقل»^(٥٧).
 - ١١ - أبو المكارم السمنانى (ت ٧٣٦) قال بعد روايته: «وهذا الحديث متفق

علي صحته»^(٥٨).

- ١٢ - الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨) قال في سير أعلام النبلاء في ترجمة الطبراني: ٢٧٦ جمع حديث غدير خم في أربعة أجزاءرأيت شطره فبهرني سعة رواته وجزمت بوقوع ذلك.

١٣ - الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤) صَحَّ كثيراً من طرقه في البداية والنهاية .٤٢٨ - ٢٣٤ - ٣٣٧ ، السيرة النبوية : ٤١٤ - ٤٢٥ .

١٤ - الهيثمي (ت ٨٠٧) في مجمع الزوائد ج ٩ صَحَّ كثيراً من طرقه برواية أحمد والطبراني وغيرهما.

١٥ - ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٦) قال في فتح الباري ٧: ٦٠ وكثير من أسانيدها صحاح وحسان.

١٦ - أبو العباس القسطلاني (ت ٩٢٣) قال بعد ذكر كثرة طرقه: «وكثير من أسانيدها صحاح وحسان»^(٥٩).

١٧ - ابن حجر الهيثمي (ت ٩٧٣) في الصواعق المحرقة ١: ١٠٦ وقال: حديث صحيح لا مرية فيه.

١٨ - ملا علي القاري (ت ١٠١٤) قال في المرقاة شرح المشكاة ٥: ٥٦٨ هذا حديث صحيح لا مرية فيه.

١٩ - المناوي (ت ١٠٣١) في فيض القدير ٦: ٢١٨ نقل تصحيح الهيثمي وارتضااه.

٢٠ - الحلبي (ت ١٠٤٤) في السيرة الحلبية ٣: ٢٧٤ قال: هذا حديث صحيح ورد بأسانيد صحاح وحسان، ولا التفات لمن قدح في صحته كأبي داود وأبي حاتم الرazi، وقول بعضهم إن زيادة: «أَللّهُمَّ وَالِّيْ مَنْ وَالِّيْهِ» إلى آخره موضوعة مردود، فقد ورد ذلك من طرق صَحَّ الذهبي كثيراً منها».

٢١ - الشيخ أحمد بن باكثير المكي (ت ١٠٤٧) قال: «وهذا حديث صحيح لا مرية فيه ولا شك ينافيء، وروي عن الجم الغفير من الصحابة، وشاع واشتهر،



وناهيتك بمجامع حجة الوداع»^(٦٠).

٢٢ - أبو عبدالله الزرقاني المالكي (ت ١١٢٢) في شرح المواهب صحق طريق الطبراني^(٦١).

٢٣ - البدخشاني (ت ١١٦٦) في مفتاح النجاة قال: حديث صحيح مشهور (عنه العبقات، حديث الغدير ١: ٥٠).

٢٤ - الأمير الصنعاني (ت ١١٨٦) في التنوير شرح الجامع الصغير ١٠: ٣٨٧
نقل تصحیح الهیشی وارتضاہ.

٢٥ - الألباني (ت ١٤٤٠) في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤: ٣٣٠ رقم ١٧٥٠ حيث صحّح كثيراً من طرقه برواية أحمد والنسائي والطبراني وغيرهم، ثم قال: «كان الدافع لتحرير الكلام على الحديث، وبيان صحته أثني رأيت شيخ الإسلام ابن تيمية قد ضعّف الشطر الأول من الحديث، وأما الشطر الآخر فزعم أنه كذب، وهذا من مبالغاته الناتجة في تقديره من تسرّعة في تضييف الأحاديث قبل أن يجمع طرقها ويدقّق النظر فيها».

إذا عرفت هذا فلا عبرة لما قاله ابن حزم (ت ٤٥٦): «أما (من كنت مولاه فعليّ مولاه) فلا يصح من طريق الشفات أصلاً»^(٦٢)، وكذلك لا عبرة بتضييف ابن تيمية ومن حذا حذوه بتصریح إمام السلفية في الجرح والتعديل العلامه الألباني.

٥ - طرق الحديث ورواته:

يشهد كثرة طرق حديث الغدير ورواته على صحته، وسيأتي بيانه.

٦ - المناشدة بالحديث:

يشهد لصحته مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام واحتجاجه بالحديث، واعتراف الجم الغفير من الصحابة بذلك .

٧- الشعراء:

يستدلّ لإثبات صحته أيضًا بما نظمه الشعراء من القرن الأول إلى يومنا هذا.

٨- الكتب المؤلفة:

يشهد لصحته أيضًا ما ألفه كبار الحفاظ والمحدثين أمثال الطبرى، ابن عقدة والذهبي في خصوص حديث الغدير.

بهذه الأدلة الشامية ثبتت صحة صدور حديث الغدير وتواته أيضًا، لا مجال للطعن فيه إلاّ من أراد أن يكابر وينكر الواضحات وال المسلمات.

طرق حديث الغدير:

يُعرف حديث الغدير بـكثرة طرقه ورواته في كل طبقة، مما يدلّ على شأنه العظيم واهتمام الحفاظ والمحدثين بروايته وجمع طرقه.

فقد روى ابن المغازى (ت ٤٨٣) عن أبي القاسم الفضل بن محمد بن عبد الله الأصفهانى أنه قال: «قد روى حديث غدير خم عن رسول الله ﷺ نحو مائة نفس منهم العترة، وهو حديث ثابت لا أعرف له علة، تفرد على عائلاً بهذه الفضيلة ليس يشركه فيها أحد» (٦٣).

قال ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨) في المناقب: «العلماء مطبقون على قبول هذا الخبر، وإنما وقع الخلاف في تأويله، ذكره: محمد بن إسحاق، وأحمد البلاذري، ومسلم بن الحجاج، وأبو نعيم الأصفهانى، وأبو الحسن الدارقطنى، وأبو بكر بن مردويه، وابن شاهين، وأبو بكر الباقلاني، وأبو المعالي الجوهري، وأبو إسحاق الشعابى، وأبو سعد الخركوشى، وأبو المظفر السمعانى، وأبو بكر بن شيبة، وعلي بن

الجعد، وشعبة، والأعمش، وابن عياش، وابن الشلاج، والشعبي، والزهري، والأقلisyi، وابن البيع، وابن ماجة، وابن عبد ربه، والألكاني، وأبو يعلى الموصلي من عدّة طرق، وأحمد بن حنبل من أربعين طريقاً، وابن بطة من ثلاث وعشرين طريقاً، وابن جرير الطبرى من نيف وسبعين طريقاً في كتاب الولاية، وأبو العباس ابن عقدة من مائة وخمس طرق، وأبو بكر الجعابي من مائة وخمس وعشرين طريقاً.

وقد صنف علي بن هلال المھلی كتاب الغدیر، وأحمد بن محمد بن سعد كتاب من روی غدیر خم، ومسعود الشجيري كتاباً فيه رواة هذا الخبر وطرقهم، واستخرج منصور اللانی الرازی في كتابه أسماء رواتها على حروف المعجم.

وذكر عن الصاحب الکافی أتھ قال: روی لنا قصّة غدیر خم القاضی أبو بکر الجعابی عن أبي بکر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبیر، والحسن والحسین، وعبدالله بن جعفر، وعباس بن عبد المطلب، وعبد الله بن عباس، وأبوزر، وسلمان وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن، وأبو قتادة، وزید بن أرقم، وجریر بن حمید، وعدی بن حاتم، وعبد الله بن أنس، والبراء بن عازب، وأبو أيوب، وأبو بربة الأسلمی، وسهل بن حنیف، وسمراة بن جندب، وأبو الهیثم، وعبد الله بن ثابت الأنصاری، وسلمة بن الأکوع، والحدیری، وعقبة بن عامر، وأبو رافع، وكعب بن عجرة، وحزیفة بن الیمان، وأبو مسعود البدری، وحزیفة بن أسد، وزید بن ثابت، وسعد بن عباده، وخزیمة بن ثابت، وحباب بن عتبة، وجندب بن سفیان، وعمر بن أبي سلمة، وقیس بن سعد، وعبادة بن الصامت، وأبو زینب، وأبو لیلی، وعبد الله بن ریعة، وأسامة بن زید، وسعد بن جنادة، وخباب بن سمرة، ویعلی بن مرة، وابن قدامة الأنصاری، وناجیة بن عمیرة، وأبو کاھل، وخالد بن الولید، وحسان بن ثابت، والنعماں بن عجلان، وأبو رفاعة، وعمرو بن الحمق، وعبد الله بن یعمر، ومالک بن الحویرث، وأبو الحمراء، وضمراة بن الحبیب، ووحشی بن حرب، وعروة

بن أبي الجعد، وعامر بن النميري، وبشير بن عبد المنذر، ورفاعة بن عبد المنذر، وثابت بن وديعة، وعمرو بن حرث، وقيس بن عاصم، وعبد الأعلى بن عدي، وعثمان بن حنيف، وأبي بن كعب.

ومن النساء: فاطمة الزهراء عليها السلام، وعائشة، وأم سلمة، وأم هاني، وفاطمة بنت حمزة، ... وذكره عمر بن أبي ربيعة في مفاخرته، وذكره حسان في شعره.

وفي رواية عن الباقي عليه السلام قال: لما قال النبي صلوات الله عليه وسلم يوم الغدير بين ألف وثلاثمائة رجل: (من كنت مولاً له فعليّ مولاً) الخبر. الصادق: نعطي حقوق الناس بشهادة شاهدين، وما أُعطي أمير المؤمنين حقّه بشهادة عشرة آلاف نفس، يعني الغدير»^(٦٤).

ونقل ابن جبر (ق ٧) عن ابن شهر آشوب أيضاً قوله: «سمعت أبا علي العطار الهمداني يقول: أروي هذا الحديث على مائتي وخمسين طريقاً، قال: وقال جدي شهر آشوب: سمعت أبا المعالي الجوني يتعجب ويقول: شاهدت مجلداً ببغداد في يد صحّاف فيه روایات هذا الخبر مكتوباً عليه: المجلدة الثامنة والعشرون من طرق قوله: (من كنت مولاً له فعليّ مولاً) ويتلوه المجلدة التاسعة والعشرون»^(٦٥).

وقال السيد ابن طاوس (ت ٦٦٤) في الإقبال: «فمن ذلك ما صنّفه أبو سعد مسعود من ناصر السجستاني المخالف لأهل البيت في عقيدته، المتفق عند أهل المعرفة به على صحة ما يرويه لأهل البيت وأمانته، صنّف كتاباً سماه كتاب الدرية في حديث الولاية، وهو سبعة عشر جزءاً، روى فيه حديث نص النبي صلوات الله عليه وسلم بتلك المناقب والمراتب على مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام عن مائة وعشرين نفساً من الصحابة .. ومن ذلك ما رواه أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسکاني في كتاب سماه كتاب دعاء الهداة إلى أداء حق المولاة...»^(٦٦).

وقد أضاف في الطرائف: «وممّن صنّف تفصيل ما حقيقناه أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني الحافظ المعروف بابن عقدة وهو ثقة عند أرباب

المذاهب، وجعل ذلك كتاباً محرراً سمّاه «حديث الولاية» وذكر الأخبار عن النبي ﷺ بذلك، وأسماء الرواة من الصحابة، والكتاب عندي وعليه خط الشيخ العالم الرباني أبي جعفر الطوسي وجماعة من شيوخ الإسلام لا يخفى صحة ما تضمنه على أهل الأفهام، وقد أثني على ابن عقدة الخطيب صاحب تاريخ بغداد وزرگاه.

وهذه أسماء من روی عنهم حديث يوم الغدير ونَصَّ النبي علی علیه الصلاة والسلام والتَّحْمِيَة والإِكْرَام بالخلافة، وإظهار ذلك عند الكاففة، ومنهم من هنَّأ بذلك :

أبو بكر عبدالله بن عثمان، عمر بن الخطاب، عثمان بن عقان، علي بن أبي طالب علیه السلام، طلحة بن عبيدة الله، الزبير بن العوام، عبد الرحمن بن عوف، سعيد بن مالك، العباس بن عبد المطلب، الحسن بن علي بن أبي طالب علیه السلام، الحسين بن علي بن أبي طالب علیه السلام، عبدالله بن عباس، عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، عبد الله بن مسعود، عمّار بن ياسر، أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، سلمان الفارسي، أسعد بن زرارة الأنباري، خزيمة بن ثابت الأنباري، أبو أيوب خالد بن زيد الأنباري، سهل بن حنيف الأنباري، حذيفة بن اليمان، عبدالله بن عمر بن الخطاب، البراء بن عمر بن عازب الأنباري، رفاعة بن رافع، سمرة بن جندب، سلمة بن الأكوع الإسلامي، زيد بن ثابت الأنباري، أبو ليل الأنباري، أبو قدامة الأنباري، سهل بن سعد الأنباري .

عدي بن حاتم الطائي، ثابت بن زيد بن وديعة، كعب بن عجرة الأنباري، أبو الهيثم بن التيهان الأنباري، هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري، المقداد بن عمرو الكندي، عمر بن أبي سلمة، عبدالله بن أبي عبدالأسد المخزومي، عمران بن حصين الخزاعي، ويزيد بن الحصيبة الإسلامي، جبلة بن عمرو الأنباري، أبو هريرة الدوسي، أبو بربعة نصلة بن عتبة الإسلامي، أبو سعيد الخدري، جابر بن

عبدالله الأنصاري، حريز بن عبدالله، زيد بن عبدالله، زيد بن أرقم الأنصاري، أبو رافع مولى رسول الله ﷺ، أبو عمرو بن عمرو بن محسن الأنصاري، أنس بن مالك الأنصاري، ناجية بن عمرو الخزاعي، أبو زينب بن عوف الأنصاري، يعلى بن مرّة الشفقي.

سعید بن سعد بن عبد الله الأنصاري، حذيفة بن أسد، أبو شريحه الغفاری، عمرو بن الحمق الخزاعی، زید بن حارثة الأنصاري، ثابت بن ودیعة الأنصاري، مالک بن حويرث أبو سلیمان، جابر بن سمرة السوانی، عبد الله بن ثابت الأنصاري، جیش بن جنادة السلوی، ضمیرة الأسدی، عبد الله بن عازب الأنصاري، عبد الله بن أبي أوفی الأسلمی، یزید بن شراحیل الأنصاري، عبد الله بن بشیر المازنی، النعمان بن العجلان الأنصاري، عبد الرحمن بن یعمر الدیلمی، أبو حمزة خادم رسول الله ﷺ، أبو الفضاله الأنصاري، عطیة بن بشیر المازنی، عامر بن لیل الغفاری، أبو الطفیل عامر بن وائلة الکنانی، عبد الرحمن بن عبد رب الأنصاري، حسان بن ثابت الأنصاري، سعد بن جنادة العوی.

عامر بن عمیر النمیری، عبد الله بن یامیل، حبة بن جوین العرّنی، عقبة بن عامر الجھنی، أبو ذؤب الشاعر، أبو شریح الخزاعی، ابو جھیفة وھب بن عبد الله النسوی، أبو امامۃ الصدی بن عجلان الباهلی، عامر بن لیل بن جندب بن سفیان الغفلي البجلي، أسامه بن زید بن حارثة الكلبی، وحشی بن حرب، قیس بن ثابت بن شماس الأنصاري، عبد الرحمن بن مديح، حبیب بن بدیل بن ورقاء الخزاعی، فاطمة ﷺ بنت رسول الله ﷺ، عائشة بنت أبي بکر، أم سلمة أم المؤمنین، أم هانی بنت أبي طالب، فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب، أسماء بنت عمیس الخثعمیة.

ثم ذکر ابن عقدة ثمانیة وعشرين رجلاً من الصحابة لم یذكرهم ولم یذكر أسماءهم أيضاً ...

وقد روى الحديث في ذلك محمد بن جرير الطبرى صاحب التاريخ من خمس وسبعين طريقةً، وأفرد له كتاباً سماه «حديث الولاية»، ورواه أيضاً أبو عباس أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن عقدة بخبر يوم الغدير من مائة وخمس طرق وأفرد له كتاباً سماه «حديث الولاية»، وتقديم تسمية من روى عنهم، وذكر محمد بن الحسن الطوسي في كتاب الاقتصاد وغيرها أن قد روى خبر الغدير غير المذكورين من مائة وخمس وعشرين طريقةً، ورواه أيضاً أحمد بن حنبل في مسنه أكثر من خمسة عشر طريقةً، ورواه الفقيه ابن المعاذى الشافعى في كتابه أكثر من اثني عشر طريقةً^(٦٧).

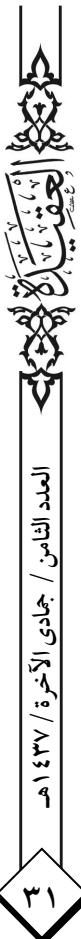
وقال السيد جمال الدين أحمد بن موسى بن طاوس (ت ٦٧٣) في بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية: «رواه ابن مردوه من طرق كثيرة جداً وهو من لا يفهم على نفسه، وأهل نحلته هو أحد الحفاظ، فمما روی فيه عن عمر الإقرار له بأنه مولاه، فربما كانت رواية ابن مردوه خمس كراريس زائداً فناقصاً.

ورويت في بعض أسفارى يقول من رویت عنه: عمى روی عنه، نقل شيخ المحدثين وأحد أئمة المسلمين أحمد بن حنبل من ست طرق، ومن الجمع بين الصاحح الستة لرزين العبدري إمام الحرمين من صحيح أبي داود السجستاني وهو كتاب السنن، ومن صحيح الترمذى عن أبي سريحة وزيد بن أرقم، ونقله الدارقطنى في جامعه عن عمر بن الخطاب من طريقين.

وعن ابن عباس من طريق آخر، وعن عدي بن ثابت من طريق واحد .

وساقه الإمام الحافظ النسائي في كتابه «خصائص أمير المؤمنين» عليه السلام من تسع طرق، عن زيد بن يثىع من طريقين، وعن زيد بن أرقم من طريقين، وعن البراء بن عازب من طريق واحد، وعن ابن حصين من طريق عبد الله بن عمر.

وساقه أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى صاحب «التفسير» و«التاريخ الكبير» من خمسة وسبعين طريقةً.



ورواه أبو بكر الجوني من مائة وخمسة وعشرين طریقاً.

ابن عبده رواه من مائة وخمس طرق.

الحافظ أبو بكر بن مردویه یرویه عن مائة نفر من أصحاب رسول الله ﷺ

منهم نساء خمس.

الحافظ أبو العلاء الهمداني يقول: أنا أرویه عن مائتين وثلاثين طریقاً،

ونقله مسلم بن الحجاج ومسلم بن الهيثم النيسابوري.

ورواه أبو نعيم الحافظ في كتابه حلية الأولياء.

نقله الفقيه العدل، أبو الحسن علي بن خمارویه الشافعی الواسطی من اثنين

وسبعين طریقاً، منهم نساء ست، منهم: (فاطمة بنت رسول الله ﷺ وعائشة بنت

أبي بكر (الصديق)، وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب، وأم سلمة زوجة

النبي ﷺ، وأم هانی بنت أبي طالب، وأسماء بنت عمیس الخثعمیة.

ورواه أبو العباس أحمد بن عقدة من مائة طریق.

قال الفقيه برهان الدين حجة الإسلام أبو جعفر محمد بن علي الحمداني

القزوینی: سمعت بعض أصحاب أبي حنیفة يقول: شاهدت بالکوفة شاباً بيده

مجّلة يذكر فيها روایات هذا الكتاب مكتوب عليه «المجلدة الثامنة والعشرون»

من طریق خبر قوله عائلاً: «من كنت مولاه فعلي مولاه» ويتلوه في المجلدة التاسعة:

أخبرني»^(٦٨).

قال الذہبی (ت ٧٤٨) في سیر أعلام النبلاء في ترجمة الطبری: «وجمع طرق

حدیث غدیر خم في أربعة أجزاء، رأیت شطره فبھرنی سعة روایاته وجزمت بوقوع

ذلك»^(٦٩).

وقال ابن حجر (ت ٨٥٢) في فتح الباری: «أما حدیث من كنت مولاه فعلي

مولاه، فقد أخرجه الترمذی والنسائی، وهو کثير الطرق جداً، وقد استوعبها ابن

عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانیدها صحاح وحسان»^(٧٠).

وقال الهيثمي (ت ٩٧٣) في الصواعق: «وقد أخرجه جماعة كالترمذى والنسائى وأحمد وطرقه كثيرة جداً، ومن ثم رواه ستة عشر صحابياً، وفي رواية أحمد أتته سمعه من النبي ﷺ ثلاثون صحابياً، وشهدوا به لعلي ﷺ لما نزع أيام خلافته، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان، ولا التفات لمن قدح في صحته...»^(٧١)، وتبعه الحلبى (ت ١٠٤٤) في السيرة الحلبية أيضاً.

وقال العجلوني (ت ١١٦٩) في كشف الخفاء: «رواہ الطبرانی وأحمد والضياء في المختارة عن زید بن ارقم وعلی وثلاثين من الصحابة...»^(٧٢).

فضلاً عَنْ صَرَحِ بِتَوَاتِرِ حَدِيثِ الْغَدِيرِ مِنْ أَعْلَامِ السَّنَةِ، الْمُنْبَعِ بِكَثْرَةِ طَرِيقِهِ وَرَوَايَتِهِ، وَفِيهِمْ مَنْ يَصْرَحُ بِذَلِكَ.

إذا عرفت هذا فأي مجال يبقى للاصاغاء الى كلام ابن حزم (ت ٤٥٦) القائل: «أما من كنت مولاه فعلي مولاه، فلا يصح من طريق الثقات أصلا»^(٧٣).

أو كلام الجويني (ت ٤٧٨) في غيات الأمم: «هذا اللفظ وما عداه وسواء نقله معدودون من الرواية وهم عرضة الزلل والخطل والهفوات»^(٧٤).

وإن تعجب فاعجب من الزيلعى (ت ٧٦٦) إذ قال في نصب الرایة: «كم من حديث كثرت روايته، وتعددت طرقه، وهو حديث ضعيف كحديث الطير وحديث الحاجم والمحجوم وحديث من كنت مولاه فعلي مولاه، بل قد لا يزيد الحديث كثرة الطرق إلا ضعفا»^(٧٥).

إذا كانت القضايا تعالج هكذا، فأي قيمة تبقى للسنة، وأي فائدة في جمع طرق الأحاديث في الصحاح والمسانيد ومحاولة تمحيصها وذكر الشواهد والتابعات لها بغية تصحيح قدر أكبر من السنة النبوية، فهنئاً لأهل السنة - المتحسينين في الدفاع عن السنة - هكذا تصريحات.

وأعجب منه في الغباء «السالوس» حين أتحفنا بعد ما أتعب نفسه وأجهد

فكرة في البحث والتنقيب، فقال في كتابه أثر الإمامية: «إن كتاب الولاية إما أنه أُلف ونُسب إلى الطبرى زوراً وانتصاراً للمذهب، وإما أن الطبرى جمع ما وجده عن الولاية بغير نظر إلى مصادر الروايات، وفي كلتا الحالتين لا وزن له ولا يبيّن رأي الطبرى»^(٧٦).

وهذا كلام لا يعبأ به بعد ما عرفت من أئمة القوم من الحفاظ والمحدثين أنَّ كثيراً من طرقه تشتمل على روايات صحاح وحسان، حتى أنَّ الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤) مع تعصبه وعناده أشار إلى وجود روايات صحيحة في كتاب الطبرى بجنب الروايات الضعيفة، فقال: «واعتنى بأمر هذا الحديث أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى صاحب التفسير والتاريخ، فجمع فيه مجلدين أورد فيما طرقه وألفاظه، وساق الغث والسمين وال الصحيح والسيقim»^(٧٧).

تواطر حديث الغدير:

حديث الغدير من الأحاديث المرويَّة ومتواترة وقد ثبت بإجماع المسلمين، وأصبح في الضرورة والوضوح كسائر الأخبار الواضحة التي لا تحتاج إلى إسناد ومؤونة لإثباتها كغزوات الرسول ﷺ المشهورة، وسائر الواجبات والمحرمات.

والحديث المتواتر هو الحديث الذي يرويه كثير من الرواة بحيث يستحيل معه احتمال التواتر على الكذب، قال ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٦): «ومن أحسن ما يقرَّ به كون المتواتر موجوداً وجوداً كثرة في الأحاديث، أنَّ الكتب المشهورة المتداولة بأيدي أهل العلم شرقاً وغرباً المقطوع عندهم بصحة نسبتها إلى مصنفاتها، اذا اجتمع على إخراج حديث، وتعددت طرقه تعددًا تحيل العادة تواترها على الكذب، أفاد العلم اليقيني بصحة نسبته إلى قائله»^(٧٨).

وهذا ما ينطبق تماماً على حديث الغدير لكثره طرقه ورواته والكتب المؤلفة حوله.



وهذا الحديث عند الشيعة متواتر مقطوع على صدوره وقد أطبقت كتب الإمامية في التصريح بذلك، قال السيد المرتضى (ت ٤٣٦): «وبعد فالشيعة الإمامية متواتر خلفاً عن سلف بهذا الخبر، وأكثر رواة أصحاب الحديث يرويه بالأسانيد المتصلة، وجميع أصحاب السير نقلوه، ومصنفو صحيح الأحاديث ذكروه، فقد شارك هذا الحديث الأخبار الظاهرة واستبدّ بما ليس لها، لأنّ الأخبار على ضربين: فضرب لا يعتبر في نقله بالأسانيد المتصلة كالأخبار عن البلدان والحوادث العظام، والضرب الآخر يعتبر فيه اتصال الأسانيد، وخبر الغدير قد حصل فيه الوجهان، وكل له الطريقان، وأيضاً فإن علماء الأمة مطبقون على قوله، وإنما اختلفوا في تأويله»^(٧٩).

وقال الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠): «الذي يدلّ على صحة الخبر ما تواترت به الشيعة عن النبي ﷺ وقد رواه أيضاً من مخالفיהם من إن لم يزيدوا على حد التواتر لم ينقصوا عنه، لأنّه ليس في الشرع خبر اتفق أهل النقل على أنّه متواتر به نقل كنقل هذا الخبر .. فإن لم يكن مع ذلك متواتراً، فليس هنا خبر متواتر به»^(٨٠).

قال ابن البطريق (ت ٦٠٠) بعد ما أشار إلى طرق الطبرى وابن عقدة: «وهذا قد تجاوز حد التواتر فلا يوجد خبر قط نقل من طرق بقدر هذه الطرق، فيجب أن يكون أصلاً متبعاً وطريقاً مهيناً»^(٨١).

قال ابن جبر (ق ٧): «وروي أنّ يوم الغدير لعلي بن أبي طالب عليهما السلام ستون ألف شاهد، وقيل ستة وثمانون ألف شاهد، ومعلوم أنّ أولئك من الأماكن المترفة والأماكن المتباعدة، كل شهد ذلك المحفل العظيم من رسول الله ﷺ وإذا بلغ الخبر دون هذا المبلغ خرج عن حكم أخبار الأحاديث، وانتظم في سلك المتواترات، ووجب العمل عليه والانقياد له، والجاحد له كالجاحد للبلدان والواقع المشهورة التي لا يرتات فيها أحد من العقلاء»^(٨٢).

هذا عندنا، أما عند علماء السنة فقد صرّح بتواتره كثير من الأعلام، نوردهم فيما يأتي:

١- الإسکافی (ت ٢٦٠) فی المعيار والموازنة قال: «حديث الغدیر المتواتر بین المسلمين»^(٨٣):

٦ - شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨) قال بعد رواية الحديث: «هذا حديث حسن عال جداً، ومتنه فمتواتر»^(٨٤)، وقال ابن كثير (ت ٧٧٤) نقلأً عن الذهبي: «قال: وصدر الحديث متواتر أتيقّن أنّ رسول الله ﷺ قاله، وأما: «أللهم وال من والاه» فزيادة قوية للإسناد»^(٨٥).

٣ - الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤) نقل تواتر الحديث عن شيخه الذهبي
وارتضاه إذ لم يعلق عليه بشيء.

٤ - الحافظ ابن الجزري (ت ٨٣٣) قال في أسمى المطالب: «هذا الحديث حسن [أي حديث المناشدة برواية ابن أبي ليلى]، من هذا الوجه، صحيح من وجوه كثيرة، تواتر عن أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو متواتر أيضاً عن النبي عليه السلام رواه الجم الغفير عن الجم الغفيرة، ولا عبرة بمن حاول تضليله ممن لا اطلاع له في هذا العلم»^(٨٦).

٥ - جلال الدين السيوطي (ت ٩١١) أورده في الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة.

٦ - المتقي الهندي (ت ٩٧٥) لخص فيه كتاب الأزهار للسيوطى وسمّاه «قطف الأزهار» وأورد فيه حديث الغدير.

٧- جمال الدين عبد الرحمن الشيرازي النيشابوري (ت ١٠٠٠) أورده في كتاب الأربعين وصريح بتواتره^(٨٧).

٨- ملا علي القاري (ت ١٠١٤) نقل تواتره عن بعض الحفاظ، وصرّح هو بصحته^(٨٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْكِتَابُ عِزِيزٌ وَالرَّحْمَةُ وَاسِعَةٌ
لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَنْهَا
وَمَا يَنْهَا فَمَا يُرِيدُ
لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَنْهَا
وَمَا يَنْهَا فَمَا يُرِيدُ

- ٩ - المناوي (ت ١٠٣١) في فيض القدير نقل التواتر عن السيوطي وارتضاه^(٨٩).
- ١٠ - ضياء الدين المقبلي (ت ١١٠٨) قال: «فمجموعها يفيد التواتر المعنوي وشهادتها لا تحصر ... فإن كان مثل هذا معلوماً والاً فما في الدنيا معلوم»^(٩٠).
- ١١ - السيد ابن حمزة الحراني (ت. ١١٦) نقل في كتابه البيان والتعريف تواتر السيوطي^(٩١).
- ١٢ - أبو عبد الله الزرقاني (ت ١١٢٦) ذكر تواتره في شرح المواهب^(٩٢).
- ١٣ - العجلوني (ت ١١٦٦) قال بعد ذكر روايته عن الطبراني وأحمد وغيرهما: فالحديث متواتر أو مشهور^(٩٣).
- ١٤ - مفتى الشام العمادي الحنفي الدمشقي (ت ١١٧١) عده في الصلاة الفاخرة من الأحاديث المتواترة^(٩٤).
- ١٥ - محمد بن اسماعيل البصري (ت ١١٨٢) قال في الروضة الندية: «وحديث الغدير متواتر عند أكثر أئمة الحديث»^(٩٥).
- ١٦ - محمود الألوسي (ت ١٢٧٠) نقل تواتر النهي وارتضاه^(٩٦).
- ١٧ - الألباني (ت ١٤٢٠) قال: «إنّ حديث الترجمة حديث صحيح بشطريه، بل الأوّل منه متواتر عنه كما يظهر لمن تتبع أسانيده وطرقه»^(٩٧).
- ١٨ - شهاب الدين الغماري، قال: فتواتر عن النبي ﷺ من روایة ستين شخصاً^(٩٨).
- ١٩ - عبد الله العموري في كتابه: المقالات السننية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية، رد على ابن تيمية وأثبت تواتر الحديث^(٩٩).
- إذا عرفت هذا فاعلم أنّ جمّاً من متكلّمي أهل السنة لما ضاق بهم الخناق في إنكار أصل حديث الغدير، تمسّكوا بنفي تواتره وجعلوه من أخبار الأحاديث محتجين بأنّ أمثال البخاري ومسلم لم يروياه، وكذلك قد قدح فيه أمثال ابن أبي داود السجستاني وأبي حاتم الرازي وابن حزم وغيرهم.

قال التفنازاني (ت ٧٩٣): «والجواب منع تواتر الخبر، فإن ذلك من مكابرات الشيعة، كيف وقد قدح في صحته كثير من أهل الحديث، ولم ينقله المحققون منهم كالبخاري ومسلم والواقدي...»^(١٠٠).

وقال الجويني (ت ٤٧٨): «قلنا: هذا من أخبار الآحاد ثم هو منكر للاحتمالات»^(١٠١)، وكذلك قال الفخر الرازي (ت ٦٠٦) في الأربعين: «إنه خبر واحد»^(١٠٢)، وكذلك الأمدي (ت ٦٣١)^(١٠٣)، والقوشجي (ت ٨٧٩)^(١٠٤)، وغيرهم، وقد تجاوز ابن حجر الهيثمي (ت ٩٧٣) الحدّ وزعم تناقض الشيعة في استدلالها بحديث الغدير حيث قال: «إن فرق الشيعة اتفقوا على اعتبار التواتر فيما يستدلّ به على الإمامة، وقد علم نفيه لما مرّ من الخلاف في صحة هذا الحديث، بل الطاعون في صحته جماعة من أئمة الحديث وعدهم المرجع اليهم فيه... فهذا الحديث مع كونه آحاداً مختلفاً في صحته، فكيف ساغ لهم أن يخالفوا ما اتفقا علىه من اشتراط التواتر في أحاديث الإمامة، ويحتجّون بذلك، ما هذا الا تناقض قبيح»^(١٠٥).

ونقول في الجواب: قد ذكرنا في سند الحديث الإجابة على هذه الشبهات،
ونصف هنا:

أولاً: كفانا تصريح كثير من علماء أهل السنة ومحدثيهم الذين هم مدار
العلم والعمل في هكذا موارد، دون المتكلمين الذين يغلب عليهم الجدل وإنكار
الواضحات للتغلب في المناظرات، فهؤلاء صرّحوا بتواتر الحديث وكثرة طرقه
ورواته كما مرّ، وقد علق الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠) قائلاً: «وليس في شيء من
أخبار الشريعة ما نقل هذا النقل، فإن لم يكن هذا متواتراً فليس لها هنا خبر
متواتر»^(١٠٦).

ثانياً: لم يذكر العلماء في شروط تواتر الخبر كونه خالياً من القدح، وأن يكون متواتراً عند جميع الناس كافة بحيث لا يشتد عنه أحد، كيف وقد حكموا

بتواتر كثير من الأخبار لروايته من قبل رواة لا يتجاوزون أصابع اليد، فهذا ابن حزم يثبت توادر منع بيع الماء عن أربعة من الصحابة ويقول: «فهؤلاء أربعة من الصحابة، فهو نقل توادر لا تحل مخالفته»^(١٠٧).

ثالثاً: لقد تواترت الأُمّة الإسلامية على كون المعوذتين من القرآن، وقد قدح في هذا التواتر ابن مسعود حيث ذهب إلى عدم كونهما من القرآن، ولم يجعل العلماء قدحه هذا محلاً بالتواتر.

ولقد ألقى الفخر الرازي (ت ٦٠٦) شبهة أخرى وزعم توادر فضائل الشيختين ليلقي التنافي والتساقط، فقال في نهاية العقول: «أما دعواكم توادر هذا الخبر فمخالفوكم أيضاً يدعون توادر الأخبار الدالة على فضائل الشيختين ...» فرده ابن ميثم (ت ٦٩٩) قائلاً: «أما ما كان من تلك الأخبار مستلزم صحة إمامتهمما، أو قادحأ فيما علمناه بالضرورة في حق علي عليهما السلام فنحن نجزم بعدم صحته لاستحالة أن يتكلم النبي عليهما السلام بكلامين متناقفين، وما لم يكن كذلك من الأخبار الدالة على فضيلة هما من خارج، فنحن لا نمنع أن يقول النبي عليهما السلام في حق أحد كلاماً يستميل به قلبه، فتتأكد فيه محبة الإيمان ورسوخه، بعد ثبوت صحة ذلك النقل على وجهه». (١٠٨)

ثم قدح الرازي في تواتر الشيعة حيث قال: «تعویلکم على رواية الشيعة إما لأجل كثريتهم أو لأجل إجماعهم، والأول باطل لأنهم ما بلغوا في الزمن الأول حد التواتر» فردّه ابن ميثم قائلاً: «إن مثل هذا الخبر لا يختص بنقله الشيعة فقط حتى لا تكون كثريتهم تفید العلم، سلمنا أن الشيعة هم الناقلون فقط، لكن لم قلتم أنهم لم يبلغوا في الكثرة الى حد التواتر؟ وظاهر أنهم لم يزالوا بالغين الى حد التواتر، سلمنا لكن العلم التواتري لا يتوقف على الكثرة، فإن المخبر الواحد مع اضمام القرائن اليه قد يفيد خبره العلم، فليس من شرط التواتر تحقق الكثرة

وأخيراً فقد شدد علماء أهل السنة النكير على من ردّ حديثاً، نقل عن أحمد بن حنبل أنه قال: «من ردّ حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة»^(١٠)، وعن أبي حمزة الشعبي قال: «بلغ ابن أبي ذئب أنَّ مالكاً لا يأخذ بحديث «البيعان بالخيار» فقال: يستتاب فإن تاب وإن ضربت عنقه، قال أَحْمَدُ: وَمَا لَكَ لَمْ يَرَدِ الْحَدِيثَ لَكَ تَأْوِلَهُ»^(١١).

فإذا كان حكم رد الأحاديث، فما هو حكم رد خبر الغدير المتواتر؟!

شهود الغدير:

كانت حجّة الوداع أول حجّها رسول الله ﷺ وآخرها، وقد أذن بالناس قبل ذلك وحثّهم على الخروج ليعلمهم مناسك الحج، فامتثل لذلك المسلمون وخرجوا لينالوا هذا الشرف العظيم، ويتعلّموا مناسك حجّهم.

وقد اختلفت الروايات في عدد من خرج مع رسول الله ﷺ من المدينة، ومن التحق به في أثناء الطريق، وبتبّعه من شهد بعد حجّة الوداع غدير خم، ولا مبرر لهذا الخلاف الشاسع سوى عدم وجود آليات العد والفرز آنذاك، بل كل راو ذكر العدد الذي خُمِّنه، أو رأه في فترات مختلفة، مثلاً كان العدد عند الخروج من المدينة أقل منه عندما كان في منتصف الطريق، وكذلك عندما وصل ﷺ إلى مكة، وكذلك عندما حجّ وطاف، وكذلك عند رجوعه، فالإعداد تختلف اختلافاً كبيراً في هذه المراحل والحالات.

ويمكن تقسيم الروايات الواردة ضمن ثلاث طوائف:

الطاقة الأولى: التصرّح بالكثرة:

روى النّهي عن الإمام الصادق أنّه قال: أذن رسول الله ﷺ بالحج فاجتمع في المدينة بشر كثير^(١٢).

وعن ابن حبان في ثقاته: ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ أَنْ يَحْجُّ حَجَّةَ الْوَدَاعِ فَأَذْنَّ فِي النَّاسِ أَنَّهُ خَارِجٌ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ كَلَّمُوهُ يُلْتَمِسُ أَنْ يَاتِمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١١٣).

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: فعلم به من حضر المدينة وأهل العوالي والأعراب، فاجتمعوا فحج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١١٤).

وقال الفيروزآبادي: لَمَّا عَزَمَ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ الْحَجَّ أَعْلَمَ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ فَاسْتَعْدَدُوا لِلسَّفَرِ بِأَجْمِعِهِمْ، وَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى الْقُرَى وَالضِيَاعِ الْقَرِيبَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَتَجَهَّزُ الْمُسْلِمُونَ بِأَجْمِعِهِمْ نَحْوَ الْمَدِينَةِ، وَفِي حَالِ الْمَسِيرِ إِلَى مَكَّةَ تَلَاقَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ الْأَطْرَافِ حَتَّى تَجَاوَزُوا الْحَصْرَ وَالْعَدَ ... (١١٥).

وفي رواية جابر: خرجنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مهلين بالحج معنا النساء والولدان ... (١١٦).

الطاقة الثانية: ذكر القبائل وبعض الأشخاص:

روى الآجري عن جابر قال: كَتَّا بِالْجَحْفَةِ بِغَدِيرِ خَمٍ إِذْ خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَيَّاءِ أَوْ فَسْطَاطِ، فَقَالَ بِيدهِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ: هَلْ هَلْ هَلْ، وَثُمَّ نَاسٌ مِنْ خَرَّاعَةِ وَمَزِينَةِ وَجَهِينَةِ وَأَسْلَمْ وَغَفَّارِ ... (١١٧).

وفي رواية جرير بن عبد الله: فبلغنا مكاناً يقال له غدير خم، فنادي الصلاة جامعة، فاجتمعنا المهاجرون والأنصار (١١٨).

وفي رواية حبة بن جوين: إِنْ قَوْمًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَالُوا: سَمِعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يَوْمَ غَدِيرِ خَمٍ: «مَنْ كُنْتَ مُولَاهُ ...» فِيهِمْ جَبْلَةُ بْنُ عُمَرَ وَسَهْلُ بْنُ حَنْيفٍ، وَعُثْمَانُ بْنُ حَنْيفٍ فِي جَمَاعَةِ الْأَنْصَارِ (١١٩).

وفي رواية حذيفة بن اليمان: كُنْتَ وَاللَّهُ جَالِسًا بَيْنَ يَدِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ نَزَلَ بَنَا غَدِيرُ خَمٍ، وَقَدْ غُصَّ الْمَجْلِسُ بِالْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ (١٢٠).

وأخيراً لم يقتصر الحضور على المسلمين، بل شهد تلك الواقعة حتى بعض المشركين، فهذا مسلم بن كيسان الكوفي يروي عن حبة بن جوين حادثة الغدير، ويقول حبة في آخره: وأنا يومئذ مشرك^(١٢١).

وقد أجاب علاء الدين مغلطاي عن إشكال ابن الأثير بأنه لم يحج آنذاك مشرك، قائلاً: إن صح السند بذلك إليه، لا يمنع أن يكون حضر ذلك وهو غير متلبس بالحج إما في عهد أو ما أشبهه، أو يكون ماراً في الطريق فسمح ذلك فقطعه، والله أعلم^(١٢٢).

الطاقة الثالثة: ذكر العدد:

- وهو مختلف تماماً بين القلة القليلة، والكثرة الكثيرة، وإليك بعض ذلك :
- ١ - ١٣٠٠ شخصاً، ففي رواية عن الإمام الباقر عليه السلام: لما قال النبي عليه السلام يوم غدير خم بين ألف وثلاثمائة رجل: من كنت مولاه فعلي مولاه ...^(١٢٣).
 فهو إن صح يدل على الملتفين حول المنبر آنذاك .
 - ٢ - عشرة آلاف، روى العياشي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: العجب يا أبا حفص لما لقي علي بن أبي طالب، إنه كان له عشرة آلاف شاهد لم يقدر على أخذ حقه، والرجل يأخذ حقه بشهادتين، إن رسول الله عليه السلام خرج من المدينة حاجاً ومعه خمسة آلاف، ورجع من مكة وقد شيعه خمسة آلاف من أهل مكة^(١٢٤) .
 - ٣ - سبعة عشر ألفاً، ففي جامع الأخبار: وقد شيعه عليه السلام من مكة اثنا عشر ألف رجل من اليمن، وخمسة آلاف رجل من المدينة^(١٢٥) .
 - ٤ - أربعون ألفاً، ذكر المقرئي في وصف خطبة النبي عليه السلام بعرفة: فإنه شهد الخطبة نحو من أربعين ألفاً^(١٢٦) . وأشار إليه أيضاً الحلباني في سيرته بعنوان قيل^(١٢٧) .
 - ٥ - ستون ألفاً، قال ابن حجر: وروي أن يوم الغدير لعلي بن أبي طالب عليه السلام

ستون ألف شاهد^(١٢٨)

٦ - سبعون ألفاً، ففي الاحتجاج: وبلغ من حجّ مع رسول الله ﷺ من أهل المدينة وأهل الأطراف والأعراب سبعين ألف إنسان أو يزيدون على نحو عدد أصحاب موسى السبعين ألفاً الذين أخذ عليهم بيعة هارون فنكثوا واتبعوا السامرّي والعجل، وكذلك أخذ رسول الله ﷺ السبعين عليه عليه بيعة على عائلاً بالخلافة على نحو عدد أصحاب موسى عائلاً السبعين ألفاً، فنكثوا البيعة^(١٢٩).

٧ - ستة وثمانون ألفاً، قال ابن جبر في ذكر شهود الغدير: وقيل ستة وثمانون ألف شاهد^(١٣٠).

٨ - تسعون ألفاً، أشار إليه الحلي في سيرته بعنوان قيل، وكذلك ابن فهد المكي^(١٣١).

٩ - مائة ألف وأربعة عشر ألفاً، ذكره الحلي في السيرة بعنوان قيل، وكذلك ابن فهد المكي^(١٣٢).

١٠ - مائة وعشرون ألفاً، ذكر هذا العدد كلّ من السبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص، واللحلي في سيرته، وابن فهد المكي في اتحاف الورى^(١٣٣).

هذا وقد ذكر بعض المؤرخين اعتماداً على رواية أم معقل أنّ الناس أصابهم جدري أو حصبة قبل الحج، فلم يتمكّن كثير منهم من الخروج مع النبي ﷺ، قال ابن حزم: ثم أمر ﷺ بالخروج، فأصاب الناس جدري أو حصبة منعت من شاء الله أن يمنع من الحج معه^(١٣٤).

وقال الحلي: وعند خروجه ﷺ للحج أصاب الناس بالمدينة جُدري - بضم الجيم وفتح الدال، وبفتحها - أو حصبة منعت كثيراً من الناس من الحج^(١٣٥).

وفي لفظ ابن فهد المكي: فأصابهم جدري أو حصبة منعت بعضهم من الحج مع النبي ﷺ^(١٣٦).

والمعتمد لدى هؤلاء ماروي عن أم معقل حيث قالت: لِمَا تهياً رسول الله ﷺ

بِرْ الْقَدْرِ / الْمَدْهُودِ وَسَاهِيَ الْأَلْمَ

لحجّة الوداع أمر الناس بالخروج معه أصابتهم هذه القرحة: الجدري أو الحصبة،
قالت: فدخل علينا ما شاء الله أن يدخل لمرض أبي معقل ومرضت معه^(١٣٧).

وفيه أولاً: إنها لم تذكر عدد المصابين، بل اكتفت بذكر مرض زوجها
ومرضها، فمن أين استنبط المؤرخون أنَّ كثيراً من الصحابة لم يحج .

ثانياً: لو كان الخبر مضبوطاً لذكره أصحاب الصاحب والمسانيد والتاريخ
المعتنية بذكر جزئيات سيرة النبي ﷺ والصحابة، مع بعض التفصيل من حيث ذكر
عدد المصابين، أو ذكر بعض المعروفين منهم.

ثالثاً: توجد رواية أم معقل في باقي السنن والمسانيد من دون ذكر تعيم
المرض، بل تذكر أم المرض أصاب زوجها فقط، ففي سنن أبي داود:
«وأصابنا مرض وهلك أبو معقل»^(١٣٨).

وعليه نستنتج أنَّ المرض كان جزئياً ولم يصب إلا بيت أم معقل، وأنَّ كثيراً
من المسلمين - مع قطع النظر عن العدد - قد حضروا حجّة الوداع، وشهدوا حادثة
الغدير، وبايعوا علىاً عليه بالولاية والإمامية، ولكن تخلوا عنها فيما بعد لأسباب
مختلفة ذكرناها في دلالة الحديث، قسم رد الشبهات .

الكتب المؤلفة في حديث الغدير:

هناك كثير من الحفاظ والمحدثين قديماً وحديثاً، خرّجوا حديث الغدير
ورووه في كتبهم، وقد عدّهم العلامة الأميني (رحمه الله) (ت ١٣٩٠) في كتابه
الغدير الجزء الأول، ونحن هنا نذكر من أفرد تأليفاً مستقلاً في حديث الغدير،
وجمع طرقه ورواته من المتقدمين، وهم كما يأتي:

- ١ - محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠) جمع طرق حديث الغدير في كتاب
مستقلٌ سمّاه كتاب الولاية أو «الرد على الحرقوصية»، وقد أشار إلى كتاب الطبرى

هذا أو رأه ونقل عنه كل من السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤) والذهبي (ت ٧٤٨) وابن كثير (ت ٧٧٤) في البداية والنهاية والسيرة النبوية.

قال السيد ابن طاووس (رحمه الله): «من ذلك ما رواه محمد بن جرير الطبرى صاحب التاريخ الكبير، صنفه وسماه كتاب الرد على الحرقوصية، روى فيه حديث يوم الغدير، وما نص النبي عليه السلام بالولاية والمقام الكبير، وروى ذلك من خمس وسبعين طريقةً» (١٣٩).

وقال في الطرائف: «وقد روى حديث يوم الغدير محمد بن جرير الطبرى صاحب التاريخ من خمس وسبعين طريقةً، وأفرد له كتاباً سماه الولاية، ورأيت في بعض ما صنفه الطبرى في صحة خبر يوم الغدير أنَّ اسم كتابه الرد على الحرقوصية يعنى الحنبليَّة، لأنَّ أَحمد بن حنبل من ولد حرقوص بن زهير الخارجي، وقيل: إنما سماه الطبرى بهذا الأسم لأنَّ البربهارى الحنبلي تعرَّض للطعن في شيءٍ مما يتعلَّق بخبر يوم غدير خم»^(١٤٠).

وقال ياقوت الحموي (ت ٦٦٦) في ترجمة الطبرى: «وكان قد قال بعض الشيوخ ببغداد بتكميل غدير خم، وقال: إنّ علي بن أبي طالب كان باليمين في الوقت الذي كان رسول الله ﷺ ببغدير خم، وقال هذا الإنسان في قصيدة مزدوجة يصف بلدًاً ومنزلًاً أبيبًاً يلوح فيها إلى معنى حديث غدير خم فقال:

ثم مررنا بغمدیر خم کم قائل فيه بروز جم
على علی و النبی الْأَمِی

وبلغ أبا جعفر ذلك فابتداً بالكلام من فضائل علي بن أبي طالب، وذكر طرق حديث خم، فكثير الناس لاستماع ذلك...»^(١٤١).

ومَنْ ذَكَرَ كِتَابَ الطَّبَرِيِّ وَرَآهُ وَكَانَ سَبَباً فِي تَصْدِيقِهِ لِحَدِيثِ الْغَدَيرِ، الْحَافِظُ
الْذَّهَبِيُّ (ت ٧٤٨) حِيثُ قَالَ فِي سِيرِ أَعْلَامِ النَّبِلَاءِ فِي تَرْجِمَةِ الطَّبَرِيِّ: «وَجَمِيعُ طُرُقِ

الحديث غدير خم في أربعة أجزاء، رأيت شطره فبهرني سعة روایاته وجزمت بوقوع ذلك»^(١٤٢).

ورآه أيضاً الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤) حيث قال: «وقد رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث غدير خم في مجلدين ضخمين»^(١٤٣)، وقال أيضاً: «وقد اعتنى بأمر هذا الحديث أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى صاحب التفسير والتاريخ، فجمع فيه مجلدين أورد فيما طرقه وألفاظه، وساق الغث والسمين والصحيح والسقيم على ما جرت به عادة كثير من المحدثين...»^(١٤٤).

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٦): وقد جمعه ابن جرير الطبرى في مؤلف فيه أضعاف من ذكر»^(١٤٥).

إذا عرفت هذا فاعجب من السالوس حيث قال: «إن كتاب الولاية إما أنه ألف ونُسب إلى الطبرى زوراً انتصاراً للمذهب، وإما أن الطبرى جمع ما وجده عن الولاية بغير نظر إلى مصادر الروايات، وفي كلتا الحالتين لا وزن له ولا يبين رأي الطبرى»^(١٤٦)، فانظر إلى أتباع المدرسة السلفية كيف يتمسكون بكل حشيش لرد فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، حيث يروق لهم بكل سهولة ليس رد الشيعة فقط، بل رد كبار محدثيهم وحافظاتهم الذين عليهم مدار العلم والعمل في مدرسة أهل السنة، كل ذلك حذراً من أن تثبت لأمير المؤمنين عليه السلام فضيلة.

٢ - أحمد بن محمد أبو العباس ابن عقدة (ت ٣٣٦)، وقد صنف كتاباً مستقلاً في حديث الغدير، وذكر كتابه عدة من الحفاظ والمحدثين، وكانت نسخة منه عند السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤) حيث روى عنه وذكر أسماء الرواة الذين ذكرهم ابن عقدة لحديث الغدير.

قال السيد ابن طاووس عليه السلام: «ومَنْ صَنَفَ تَفْصِيلَ مَا حَقَّقْنَاهُ: أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ سَعِيدَ الْهَمْدَانِيِّ الْحَافِظِ الْمُعْرُوفِ بِابْنِ عَقْدَةَ، وَهُوَ ثَقَةٌ عِنْدَ أَرْبَابِ الْمَذَاهِبِ،

وجعل ذلك كتاباً محرراً سماه حديث الولاية، وذكر الأخبار عن النبي ﷺ بذلك، وأسماء الرواة من الصحابة، والكتاب عندي وعليه خط الشيخ العالم الرباني أبي جعفر الطوسي وجماعة من شيوخ الإسلام لا يخفى صحة ما تضمنه على أهل الأفهام، وقد أثني على ابن عقدة الخطيب صاحب تاريخ بغداد وزكاه.

وهذه أسماء من روى عنهم حديث يوم الغدير ونص النبي ﷺ على عالياتِه ...

- ١- أبو بكر عبد الله بن عثمان.
- ٢- عمر بن الخطاب.
- ٣- عثمان بن عفان.
- ٤- علي بن أبي طالب عالياتِه.
- ٥- طلحة بن عبيد الله.
- ٦- الزبير بن العوام.
- ٧- عبد الرحمن بن عوف.
- ٨- سعيد بن مالك.
- ٩- العباس بن عبد المطلب.
- ١٠- الحسن بن علي بن أبي طالب عالياتِه.
- ١١- الحسين بن علي بن أبي طالب عالياتِه.
- ١٢- عبد الله بن عباس.
- ١٣- عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.
- ١٤- عبد الله بن مسعود.
- ١٥- عمارة بن ياسر.
- ١٦- أبوذر جنده بن جنادة الغفاري.
- ١٧- سلمان الفارسي.
- ١٨- أسعد بن زرارة الأنباري.
- ١٩- خزيمة بن ثابت الأنباري.

- ٤٠ - أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري.
- ٤١ - سهل بن حنيف الأنصاري.
- ٤٢ - حذيفة بن اليمان.
- ٤٣ - عبد الله بن عمر بن الخطاب .
- ٤٤ - البراء بن عازب الأنصاري.
- ٤٥ - رفاعة بن رافع.
- ٤٦ - سمرة بن جندب.
- ٤٧ - سلمة بن الأكوع الأسليمي.
- ٤٨ - زيد بن ثابت الأنصاري.
- ٤٩ - أبو ليل الأنصاري.
- ٥٠ - أبو قدامة الأنصاري.
- ٥١ - سهل بن سعد الأنصاري .
- ٥٢ - عدي بن حاتم الطائي.
- ٥٣ - ثابت بن زيد بن وديعة.
- ٥٤ - كعب بن عجرة الأنصاري.
- ٥٥ - أبو الهيثم بن التيهان الأنصاري.
- ٥٦ - هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري.
- ٥٧ - المقداد بن عمرو الكندي.
- ٥٨ - عمر بن أبي سلمة.
- ٥٩ - عبد الله بن أبي عبد الأسد المخزومي.
- ٦٠ - عمران بن حصين الخزاعي.
- ٦١ - يزيد بن الحصيب الأسليمي.
- ٦٢ - أبو هريرة الدوسي.
- ٦٣ - أبو بربعة نضلة بن عتبة الأسليمي.
- ٦٤ - أبو سعيد الخدري.
- ٦٥ - جابر بن عبد الله الأنصاري.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رَبِّ الْفَلَقِ

- ٤٦ - حريز بن عبد الله.
- ٤٧ - زيد بن عبد الله.
- ٤٨ - زيد بن أرقم الأنصاري.
- ٤٩ - أبو رافع مولى رسول الله ﷺ.
- ٥٠ - أبو عمارة بن عمرو بن محسن الأنصاري.
- ٥١ - أنس بن مالك الأنصاري.
- ٥٢ - ناجية بن عمرو الخزاعي.
- ٥٣ - أبو زينب بن عوف الأنصاري.
- ٥٤ - يعلى بن مرة الشقفي.
- ٥٥ - سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري.
- ٥٦ - حذيفة بن أسد.
- ٥٧ - أبو شريحه الغفاري.
- ٥٨ - عمرو بن الحمق الخزاعي.
- ٥٩ - زيد بن حارثة الأنصاري.
- ٦٠ - ثابت بن وديعة الأنصاري.
- ٦١ - مالك بن حويرث أبو سليمان.
- ٦٢ - جابر بن سمرة السواني.
- ٦٣ - عبد الله بن ثابت الأنصاري
- ٦٤ - جيش بن جنادة السلوبي.
- ٦٥ - ضميرة الأسدية.
- ٦٦ - عبد الله بن عازب الأنصاري.
- ٦٧ - عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي.
- ٦٨ - يزيد بن شراحيل الأنصاري.
- ٦٩ - عبد الله بن بشير المازني .
- ٧٠ - النعمان بن العجلان الأنصاري.
- ٧١ - عبد الرحمن بن يعمر الديلي.



- ٧٢ - أبو حمزة خادم رسول الله ﷺ.
- ٧٣ - أبو الفضالة الأنصاري.
- ٧٤ - عطية بن بشير المازني.
- ٧٥ - عامر بن ليل الغفاري.
- ٧٦ - أبو الطفيلي عامر بن وائلة الكناني.
- ٧٧ - عبد الرحمن بن عبد رب الأنصاري.
- ٧٨ - حسان بن ثابت الأنصاري.
- ٧٩ - سعد بن جنابة العوفي.
- ٨٠ - عامر بن عمير النميري.
- ٨١ - عبد الله بن ياميل.
- ٨٢ - حبة بن جوين العرني.
- ٨٣ - عقبة بن عامر الجهني.
- ٨٤ - أبو ذؤيب الشاعر.
- ٨٥ - أبو شريح الخزاعي.
- ٨٦ - أبو جحيفة وهب بن عبد الله النسوبي.
- ٨٧ - أبو امامه الصدي بن عجلان الباهلي.
- ٨٨ - عامر بن ليلي بن جندب بن سفيان الغفلي البجلي.
- ٨٩ - اسامه بن زيد بن حرثة الكلبي.
- ٩٠ - وحشى بن حرب.
- ٩١ - قيس بن ثابت بن شماس الأنصاري.
- ٩٢ - عبد الرحمن بن مديح.
- ٩٣ - حبيب بن بديل بن ورقاء الخزاعي.
- ٩٤ - فاطمة بنت رسول الله ﷺ.
- ٩٥ - عائشة بنت أبي بكر.
- ٩٦ - أم سلمة أم المؤمنين.
- ٩٧ - أم هاني بنت أبي طالب.



٩٨ - فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب.

٩٩ - أسماء بنت عميس الخثعمية.

ثم ذكر ابن عقدة ثمانية وعشرين رجلاً من الصحابة لم يذكرهم ولم يذكر أسماءهم أيضاً^(١٤٧).

وقال ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٦) في فتح الباري: «وأما حديث من كنت مولاه فعلي مولاه، فقد أخرجه الترمذى والنسلائى، وهو كثير الطرق جداً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان»^(١٤٨)، كما قال في تهذيب التهذيب: «واعتنى بجمع طرقه أبو العباس ابن عقدة، فأخرجها من حديث سبعين صحابياً أو أكثر»^(١٤٩).

٣ - أبو طالب عبيد الله بن أحمد بن زيد الأنباري الواسطي (ت ٣٥٦)، له كتاب طرق حديث الغدير، ذكره له النجاشي في فهرسته^(١٥٠).

٤ - أبو غالب أحمد بن محمد بن محمد الزراري (ت ٣٦٨)، له جزء في خطبة الغدير، نصّ عليه هو بنفسه في رسالته في آل أعين^(١٥١).

٥ - أبو المفضل محمد بن عبد الله بن المطلب الشيباني (ت ٣٧٢)، له كتاب من روى حديث غدير خم، ذكره له النجاشي^(١٥٢).

٦ - الحافظ علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥)، قال الكنجي الشافعى: جمع الحافظ الدارقطني طرقه في جزء^(١٥٣).

٧ - الشيخ محسن بن الحسين بن أحمد النيشابوري الخزاعي، له كتاب بيان حديث الغدير، ذكره له الشيخ منتجب الدين في فهرسته^(١٥٤).

٨ - أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله بن إبراهيم الغضائري (ت ٤١١)، له كتاب يوم الغدير، ذكره له النجاشي في فهرسته^(١٥٥).

٩ - علي بن عبد الرحمن بن عيسى بن عروة بن الجراح القناني (ت ٤١٣)، له كتاب طرق خبر الولاية، عده النجاشي من تأليفه في فهرسته^(١٥٦).

١٠ - الحافظ أبو سعيد مسعود بن ناصر بن أبي زيد السجستاني (ت ٤٧٧) له كتاب الدرية في حديث الولاية، ذكره ابن شهر آشوب في المناقب، والسيد ابن طاووس في الإقبال^(١٥٧).

١١ - الحافظ شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨) له كتاب طرق حديث الولاية، قال هو في كتابه تذكرة الحفاظ: «أما حديث (من كنت مولاه) فله طرق جيدة، وقد أفردت ذلك أيضاً (أي أفرده بمصنف مستقل)»^(١٥٨).

١٢ - قال أحمد بن طاوس (ت ٦٧٣): «قال الفقيه برهان الدين حجة الإسلام أبو جعفر محمد بن علي الحمداني القزويني: سمعت بعض أصحاب أبي حنيفة يقول: شهدت بالكوفة شاباً بيده مجلدة فيها روایات هذا الكتاب مكتوب عليه «المجلدة الثامنة والعشرون» من طريق خبر قوله عائلاً: من كنت مولاه فعلي مولاه، ويتلوه في المجلدة التاسعة: أخبرني»^(١٥٩).

ويظهر أنّ هذا الكتاب هو الذي رأه أبو المعالي الجويني ببغداد، فقد قال ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨): «قال جدي شهر آشوب: سمعت أبا المعالي الجويني يتعجب ويقول: شاهدت مجلداً ببغداد في يد صحاف فيه روایات هذا الخبر مكتوباً عليه: المجلدة الثامنة والعشرون من طريق قوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه» ويتلوه المجلدة التاسعة والعشرون»^(١٦٠).

يراجع للمزيد: ببليوغرافية حديث الغدير.

وإذا عرفت هذا فلا حاجة لنا إلى رد ابن حزم (ت ٤٥٦) القائل: «أما (من كنت مولاه فعلي مولاه) فلا يصح من طريق الثقات أصلاً»^(١٦١)، أو ما ذكره الجويني (ت ٤٧٨) من قوله: «هذا اللفظ وما عداه وسواء نقله معدودون من الرواة، وهم عرضة الزلل والخطل والهفوات»^(١٦٢).

وما نقله المقدسي (ت ٨٨٨) عن الشيخ مجد الدين الفيروزآبادي حيث قال: «إنه لا يصح من طريق الثقات أصلاً والزيادة التي ألحقوها بها كذب»^(١٦٣).

وكفانا في الرد عليهم ما قاله ابن حجر الهيثمي (ت ٩٧٣) في الصواعق من قوله: «إنه حديث صحيح لا مرية فيه... وكثير من أسانيدها صحاح وحسان، ولا التفات لمن قدح في صحته»^(١٦٤)، وتبعه الحلبي (ت ١٠٤٤) حيث قال: «هذا حديث صحيح ورد بأسانيد صحاح وحسان، ولا التفات لمن قدح في صحته كأبي داود وأبي حاتم الرازي»^(١٦٥).

خطبة الغدير (١٦٦) :

خرج رسول الله ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة إلى الحج وهي حجة الوداع، ودعا الناس بالاتمام به ليعلّمهم مناسكهم، إذ كان يعلم بدئور حيله.

روى النهي عن الإمام الصادق عن أبيه عليهما السلام عن جابر أنه قال: أدن رسول

الله ﷺ في الناس بالحج فاجتمع في المدينة بشر كثير (١٦٧).

قال ابن حبان: ثم إن النبي ﷺ أراد أن يحجّ حجّة الوداع، فأذن في الناس

أَنَّهُ خارج فقدم المدينة بشر كثيرون يلتمسون أن يأتِمُّ برسول الله ﷺ (١٦٨).

وقال الفيروزآبادي: لما عزم عَلَى حجّ أعلم أصحابه بذلك، فاستعدوا للسفر بأجمعهم، ووصل الخبر إلى القرى والضياع القريبة من المدينة، فتجهز المسلمون بأجمعهم نحو المدينة، وفي حال المسير إلى مكة تلاحق الناس من كل الأطراف حتى تجاوزوا المحصر والعد (١٦٩).

كان معه جموع لا يعلمها إلا الله تعالى، قيل: كانوا أربعين ألفاً، وقيل: كانوا سبعين ألفاً، وقيل: كانوا تسعين ألفاً، وقيل: كانوا مائة ألف وأربعة عشر ألفاً، وقيل: وعشرين ألفاً، وقيل: كانوا أكثر من ذلك «(١٧٠)».

وفي حجة الوداع هذه حدث أعظم واقعة في التاريخ الإسلامي، حيث أمر النبي ﷺ بتبليغ ما إن لم يبلغه بطلت رسالته، فقد نزل عليه الوحي قائلاً: ﴿يَا أَيُّهَا

الرَّسُولُ بَلَّغَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ»^(١٧١) وذيل الآية الدال على حفظ الله تعالى لنبيه ﷺ من الناس يدل بصراحة على أهمية الموضوع وخطورته.

وبعد ما بلغ رسول الله ﷺ إماماً على عاليات، وأنه امتداد لخط الرسالة، نزل قوله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينَكُمْ»^(١٧٢).

وقد تخللت هاتين الآيتين خطبة عظيمة ذكر فيها رسول الله ﷺ أموراً كثيرة، منها حديث الغدير، وحديث الشقلين. قال ابن كثير (ت ٧٧٤): «فصل في إيراد الحديث الدال على أنه ﷺ خطب بمكان بين مكة والمدينة من حجة الوداع قريب من الجحفة يقال له غدير خم، فبین فيها فضل علي بن أبي طالب، وبراءة عرضه مما كان تكلّم فيه بعض من كان معه بأرض اليمن... فخطب خطبة عظيمة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عامئذ، وكان يوم الأحد بغدير خم تحت شجرة هناك فبین أشياء، وذكر من فضل علي وأمانته وعلمه وقربه إليه ما أزاح به ما كان في نفوس كثير من الناس منه»^(١٧٣).

يُلاحظ على هذا المقطع:

جعل ابن كثير في صدر كلامه سبب الحديث ما تكلّم به بعض من كان معه في اليمن، ثم يقول: خطب ﷺ خطبة عظيمة فبین فيها أشياء، وهذا ينافق الحصر الذي ذكره في صدر كلامه من اختصاص سبب الخطبة بحديث الشكوى لما صدر من أمير المؤمنين ﷺ بأرض اليمن، كما أنّ قوله: «فبین فيها أشياء» يفيد تطرق النبي ﷺ إلى أمور أخرى غير حديث الغدير لا يروق ابن كثير التحدث عنها. كما أنّ قوله: «وذكر من فضل علي وأمانته» يفيد أنّ تلك الأشياء التي أخفاها ابن كثير غير هذه الموارد، مضافاً إلى أنها أمور إضافية على أصل حديث



الغدير، وقد أهمل نصّها ابن كثير حاله حال غيره من المحدثين.

ومن حقنا أن نسأل المحدثين المهتمين بالسنة المطهرة: أين نصوص هذه الخطبة العظيمة التي ألقاها النبي ﷺ في تلك المناسبة وبتلك الحالة؟! ولماذا لم يبق منها فيتراث أهل السنة سوى حديث الغدير، مع تشكيك بعضهم في صدره وذيله؟!

هذا، وقد وردت روايات كثيرة عند أهل السنة تشير إلى هذه الخطبة إشارة عابرة، فقد ذكرها زيد بن أرقم حيث قال: خطبنا رسول الله ﷺ يوم غدير خم (١٧٤)، وفي لفظ آخر: خطبنا رسول الله ﷺ يوم الغدير (١٧٥). وفي لفظ آخر: قام فينا رسول الله ﷺ بoward بين مكة والمدينة يُدعى خمًا خطيباً (١٧٦).

وعن حذيفة قال: إن رسول الله ﷺ خطب بغدير تحت شجرات (١٧٧).

وعن أبي رافع قال: لما نزل رسول الله ﷺ غدير خم بمصدره من حجة الوداع قام خطيباً بالناس (١٧٨).

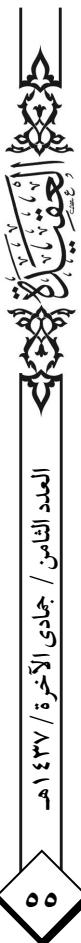
وعن أبي هريرة قال: نظرت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يخطب وعلى إلى جنبه (١٧٩).

وعن عمرو ذي مرّ وزيد بن أرقم قالا: خطب رسول الله ﷺ يوم غدير خم (١٨٠).

وعن عائشة بنت سعد عن أبيها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الجحفة وأخذ بيده عليٌ فخطب فحمد الله وأثنى عليه (١٨١).

وعن أم هاني قالت: رجع رسول الله ﷺ من حجته حتى إذا كان بغدير خم أمر بدوحات فقمن، ثم قام خطيباً بالهاجرة (١٨٢).

وعن أبي جنيدة جندع بن عمرو بن مازن قال: فلما نزل غدير خم قام في الناس خطيباً (١٨٣).



وقد أشار إليها ابن كثير كما مرّ، والخلبي حيث قال: لما وصل ﷺ إلى محلّ بين مكة والمدينة يقال له غدير خم بقرب رابع جمع الصحابة وخطبهم خطبة^(١٨٤).

وقال الجزري بعد رواية الحديث: وذلك في خطبة خطبها النبي ﷺ في حلقه^(١٨٥).

وقال اليعقوبي: وقام خطيباً وأخذ بيده علي بن أبي طالب^(١٨٦).

وقال الحموي نقاً عن الحازمي أنَّ خمًّا واد بين مكة والمدينة عند الجحفة، به غدير عنده خطب رسول الله ﷺ^(١٨٧).

وقال ابن دريد: وخم غدير معروفة، وهو الموضع الذي قام فيه رسول الله ﷺ خطيباً بفضل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب علثمة^(١٨٨).

وقال الزمخشري: ليلة الغدير معظمة عند الشيعة حياة فيهم بالتهجد، وهي الليلة التي خطب فيها رسول الله ﷺ بغدير خم على أقتاب الإبل^(١٨٩).

وقال الثعالبي: ليلة الغدير هي الليلة التي خطب رسول الله ﷺ في غدتها بغدير خم على أقتاب الإبل^(١٩٠).

وقال البخشاني بعد رواية الحديث: قاله بغدير خم حين خطب تحت شجرات بسند صحيح عن أبي الطفيلي عن حذيفة بن اليمان، وهذه الخطبة طويلة^(١٩١).

ومن المعلوم أنَّ التكلُّم بكلمات يسيرة - بحسب ما رووه - لا يقال له خطبة، فالخطبة لها مقدمة ونهاية يتخللها أمور كثيرة تتناسب مع سبب التوقف في تلك المنطقة وعلى تلك الحالة، سيما إذا نظرنا إلى ما رواه زيد بن أرقم حيث قال: أمر رسول الله ﷺ بالشجرات فقم ما تحتها ورُش ثم خطبنا، فوالله ما من شيء يكون إلى أن تقوم الساعة إلا وقد أخبرنا به يومئذ^(١٩٢).

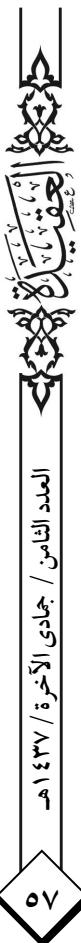


نعم وردت هذه الخطبة في مصادرنا عن الإمام الباقر عليه السلام، وزيد بن أرقم، وحذيفة بن اليمان، وقد رواها كل من السيد ابن طاوس في كتاب اليقين والإقبال والتحصين، والطبرسي في الاحتجاج، والفتال النيسابوري في روضة الوعظين، والبياضي في الصراط المستقيم، وعلي بن يوسف الحلي في العدد القوية، والشيخ جمال الدين الرازى في نزهة الكرام، وإليك نصها ملقاً عن هذه المصادر:

عن علقة بن محمد الحضرمي، عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام قال: حجّ رسول الله عليهما السلام من المدينة وقد بلغ جميع الشرياع قومه غير الحجّ والولاية ؛ فأتاه جبرئيل فقال: يا محمد، إنّ الله يُقرؤك السلام ويقول لك: «إني لم أقبض نبياً من أنبيائي ولا رسولاً من رسلي إلاّ من بعد كمال ديني وتمام حجّتي ، وقد بقي عليك من ذلك فريستان مما يحتاج أن تبلغ قومك: فريضة الحجّ وفرضية الولاية والخلافة من بعدي ؛ فإني لم أخل أرضي من حجّة ولن أخلّيها أبداً» ؛ وإنّ الله عزّ وجلّ يأمرك أن تبلغ قومك الحجّ، وليحّ معك من استطاع السبيل من أهل الحضر والأطراف والأعراب، فتعلّمهم من حجّهم مثل ما علّمتم من صلاتهم و Zakat them وصومهم، وثوّقهم من ذلك على مثل الذي أوقفتهم عليه من جميع ما بلّغتهم من الشرياع.

فنادي منادي رسول الله عليهما السلام: إنّ رسول الله يريد الحجّ، وأن يعلّمكم من ذلك مثل الذي علّمكم من شرياع دينكم ويوقفكم من ذلك على مثل ما أوقفكم.

قال: فخرج رسول الله عليهما السلام وخرج معه ناس وصّفوا له لينظروا ما يصنع، وكان جميع من حجّ مع رسول الله عليهما السلام من أهل المدينة والأعراب سبعين ألفاً أو يزيدون، على نحو عدد أصحاب موسى السبعين ألفاً الذين أخذ عليهم بيعة هارون فنكثوا واتّبعوا السامرّي والعجل، وكذلك أخذ رسول الله عليهما السلام البيعة لعلي عليه السلام بالخلافة على نحو عدد أصحاب موسى السبعين ألفاً، فنكثوا البيعة واتّبعوا



العجل والسامري، سنة بسنة ومثلاً بمثل لم يخرم منه شيء.

وأتصلت التلبية ما بين مكة والمدينة؛ فلما وقف رسول الله ﷺ بالوقف أتاه جبرئيل عليه السلام عن أمر الله عز وجل فقال: يا محمد، إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: «إنه قد دنا أجلك ومدتك، وإنني أستقدمك على ما لا بد منه ولا عنه محisco، فاعهد عهلك وتقديم في وصيتك، واعمد إلى ما عندك من العلم، وميراث علوم الأنبياء من قبلك، والسلاح والتاتبوت، وجميع ما عندك من آيات الأنبياء، فسلمه إلى وصيتك وخليفتك من بعدك حجّي البالغة على خلقي علي بن أبي طالب، فأقمه للناس وجدد عهلك وميثاقك وبيعته، وذكّرهم ما في الذرّ من بيوعي وميثاقى الذي واثقتم به، وعهدي الذي عهدت إليهم من الولاية لمولامهم ومولى كل مؤمن ومؤمنة علي بن أبي طالب؛ فإني لم أقبضنبياً بعد إكمال ديني وإتمام نعمتي بولاية أوليائي ومعاداة أعدائي، وذلك كمال توحيدى وتمام نعمتي على خلقي باتباع ولّي، وطاعته طاعتي؛ وذلك أني لا أترك أرضي بغير قيم ليكون حجّة لي على خلقي في **«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيَنَكُمْ وَأَنْمَتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»**^(١٩٣) بولاية ولّي ومولى كل مؤمن ومؤمنة علىّ، عبدي ووصيّنبي والخليفة من بعده، وحجّي البالغة على خلقي؛ مقرونة طاعته بطاعة محمد نبّي، ومقرونة طاعته مع طاعة محمد بطايعي، من أطاعه أطاعني ومن عصاه عصاني؛ جعلته علماً بيّني وبين خلقي، ومن عرفه كان مؤمناً ومن أنكره كان كافراً ومن أشرك بييعته كان مشركاً؛ من لقيني بولايته دخل الجنة ومن لقيني بعاداته دخل النار؛ فأقم - يا محمد - عليّاً علماً وخذ عليهم البيعة، وجدد عهدي وميثاقى لهم الذي واثقتم عليهم، فإني قابضك إلى ومستقدمك علىّ».

قال، فخشى رسول الله ﷺ قومه وأهل النفاق والشقاوة بأن يتفرقوا ويرجعوا جاهلية لما عرف من عداوتهم، وما تنطوي على ذلك أنفسهم لعلي عليه السلام من البغضاء، وسأل جبرئيل عليه السلام أن يسأل ربّه العصمة من الناس، وانتظر أن يأتيه

جبرئيل بالعصمة من الناس من الله عزّ وجلّ، فأخر ذلك إلى أن بلغ مسجد الخيف، فأتاه جبرئيل في مسجد الخيف فأمره أن يعهد عهده ويقيم علياً عليه علماء الناس، ولم يأته بالعصمة من الله تعالى بالذى أراد، حتى إذا أتى «كُرَاعَ الْغَمِيمِ» بين مكة والمدينة، فأتاه جبرئيل فأمره بالذى أتاه به من قبل ولم يأته بالعصمة فقال: «يا جبرئيل، إني أخشى قوي يكذبوني ولا يقبلون قولي في عليٍّ» !

دفع حتى بلغ «غدير خم» قبل الحجة بثلاثة أميال أتاه جبرئيل - على خمس ساعات مضت من النهار - بالزجر والانتهار والعصمة من الناس، فقال: يا محمد، إن الله عزّ وجلّ يقرئك السلام ويقول لك:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (١٩٤).

فكان أو لهم قرب الحجة، فأمره أن يردّ من تقدم منهم، ويحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان، وأن يقيمه للناس ويبلغهم ما أنزل في علي عليه علماء، وأخبره أن قد عصمه الله من الناس.

فأمر رسول الله ﷺ - عند ما جاءته العصمة - مناديه ينادي في الناس: الصلاة جامعة؛ وتنحى إلى ذلك الموضع - وفيه سلامات - فأمر رسول الله ﷺ أن يقّم ما تحتهن، وأن ينصب له أحجار كهيئة المنبر ليشرف على الناس فرجع أولى الناس واحتبس أواخرهم.

فقام رسول الله ﷺ فوق تلك الأحجار فقال (١٩٥):

الحمد لله الذي علا في توحده ودنا في تفرده وجَلَ في سلطانه وَعَظَمَ في أركانه، وأحاط بكل شيء علماً وهو في مكانه وقهـرـ جميع الخلق بقدرته وبرهانـهـ، حـمـيدـاًـ لـمـ يـزـلـ، مـحـمـودـاًـ لـاـ يـزـالـ (وـمـحـيـداًـ لـاـ يـزـوـلـ، وـمـبـدـيـداًـ وـمـعـيـداًـ وـكـلـ أـمـرـ إـلـيـهـ يـعـوـدـ) .

باري المسموكات وداعي المدحوات وجبار الأرضين والسموات، قدوس سُبحَّ،



رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ، مُتَفَضِّلٌ عَلَى جَمِيعِ مَنْ بَرَأَهُ، مُتَطَوِّلٌ عَلَى جَمِيعِ مَنْ أَنْشَأَهُ .
يُلْحَظُ كُلَّ عَيْنٍ وَالْعَيْنُونُ لَا تَرَاهُ .

كَرِيمٌ حَلِيمٌ ذُو أَنَاتٍ، قَدْ وَسَعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَتُهُ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ بِنِعْمَتِهِ .
لَا يَعْجَلُ بِإِنْتِقَامِهِ، وَلَا يُبَادِرُ إِلَيْهِمْ بِمَا اسْتَحْقَوْا مِنْ عَذَابِهِ .

قَدْ فَهِمَ السَّرَّايرَ وَعَلِمَ الضَّمَائِرَ، وَلَمْ تَخْفَ عَلَيْهِ الْمَكْنُونَاتُ وَلَا اسْتَبَهَتْ عَلَيْهِ
الْخَفَيَّاتُ .

لَهُ الْأَحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْغَلَبةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَالْقُوَّةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَالْقُدْرَةُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ وَلَيْسَ مِثْلَهُ شَيْءٌ .

وَهُوَ مُنْشِئُ الشَّيْءِ حِينَ لَا شَيْءَ دَائِمٌ حَيٌّ وَقَائِمٌ بِالْقِسْطِ، لَا إِلَهٌ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ .

جَلَّ عَنْ أَنْ تُدْرِكَهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ .
لَا يَلْحُقُ أَحَدٌ وَصَفَهُ مِنْ مُعَايِنَةٍ، وَلَا يَجُدُ أَحَدٌ كَيْفَ هُوَ مِنْ سِرٍ وَعَلَانِيةٍ إِلَّا بِمَا
ذَلَّ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَفْسِهِ .

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي مَلَأَ الدَّهْرَ قُدْسُهُ، وَالَّذِي يَعْشَى الْأَبْدَدُ نُورُهُ، وَالَّذِي يُنْفِذُ أَمْرَهُ
بِلَا مُشَاوِرَةٍ مُشِيرٍ وَلَا مَعْهُ شَرِيكٌ فِي تَقْدِيرِهِ وَلَا يُعَاوَنُ فِي تَدْبِيرِهِ .

صَوَّرَ مَا ابْتَدَعَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ، وَخَلَقَ مَا خَلَقَ بِلَا مَعْوَنَةٍ مِنْ أَحَدٍ وَلَا تَكَلُّفٍ وَلَا
احْتِيَالٍ .

أَنْشَأَهَا فَكَانَتْ وَبَرَأَهَا فَبَانَتْ .

فَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهٌ إِلَّا هُوَ الْمُتَقْنُ الصَّنْعَةَ، أَحْسَنُ الصَّنْعَةِ، الْعَدْلُ الَّذِي لَا
يَجُورُ، وَالْأَكْرَمُ الَّذِي تَرْجِعُ إِلَيْهِ الْأُمُورُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي تَوَاضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِهِ، وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لِعَزَّتِهِ، وَاسْتَسْلَمَ كُلُّ
شَيْءٍ لِقُدْرَتِهِ، وَخَضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِهَمْبَتِهِ .

مَلِكُ الْأَمْلَاكِ وَمَقِيلُ الْأَفْلَاكِ وَمُسَخِّرُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمِّيٍّ .

يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ يَطْلُبُهُ حَيْثَاً .

فاصُمُ كُلِّ جَبَارٍ عَنِيدٍ وَمُهْلِكٍ كُلِّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ.

لَمْ يَكُنْ لَهُ ضِدٌ وَلَا مَعْهُ نِدٌّ أَحَدٌ صَمَدٌ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ.

إِلَهٌ وَاحِدٌ وَرَبُّ مَا حِدَّ يَشَاءُ فَيُمْضِي، وَيُرِيدُ فَيُقْضِي، وَيَعْلَمُ فَيُحْصِي، وَيُمْسِي
وَيُجْهِي، وَيُفْقِرُ وَيُغْنِي، وَيُضْحِكُ وَيُبْكِي، (وَيُدْنِي وَيُقْصِي) وَيَمْنَعُ وَيُعْطِي، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ
الْحَمْدُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

يُولُجُ اللَّيلَ فِي التَّهَارِ وَيُولُجُ التَّهَارَ فِي اللَّيلِ، لَا إِلَهٌ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ .

مُسْتَجِيبُ الدُّعَاءِ وَمُجْزِلُ الْعَطَاءِ، مُحْصِي الْأَنْفَاسِ وَرَبُّ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ، الَّذِي لَا
يُشْكِلُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَلَا يُضْجِرُهُ صُرَاخُ الْمُسْتَضْرِخِينَ وَلَا يُبْرِمُهُ إِحْرَاجُ الْمُلْحِينَ .

الْعَاصِمُ لِلصَّالِحِينَ، وَالْمُوْفِقُ لِلْمُفْلِحِينَ، وَمَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ وَرَبُّ الْعَالَمَيْنَ .

الَّذِي اسْتَحْقَّ مِنْ كُلِّ مَنْ خَلَقَ أَنْ يَشْكُرْهُ وَيَحْمَدْهُ (عَلَيْ كُلِّ حَالٍ) .

أَحْمَدُهُ كَثِيرًا وَأَشْكُرُهُ دَائِمًاً عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ وَالشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَأَوْمَنْ بِهِ
وَبِسِلَامَكَتِيهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ .

أَسْمَعُ لِأَمْرِهِ وَأَطِيعُ وَأَبَادِرُ إِلَى كُلِّ مَا يَرْضَاهُ وَأَسْتَسْلِمُ لِمَا قَضَاهُ، رَغْبَةً فِي طَاعَتِهِ
وَحَوْفًا مِنْ عُقوَبَتِهِ، لِأَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ مَكْرَهًا وَلَا يُخَافُ جَوْرَهُ .

وَأَقْرَأَ لَهُ عَلَى نَفْسِي بِالْعُبُودِيَّةِ وَأَشْهَدُ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَوْدِي مَا أَوْحَى بِهِ إِلَيَّ حَدَرًا مِنْ
أَنْ لَا أَفْعَلَ فَتَحِلَّ بِي مِنْهُ قَارِعَةٌ لَا يَدْفَعُهَا عَيْ أَحَدٌ وَإِنْ عَظِمَتْ حِيلَتُهُ وَصَفَتْ حُلَّتُهُ -
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ - لِأَنَّهُ قَدْ أَعْلَمَنِي أَنِّي إِنْ لَمْ أُبَلِّغْ مَا أُنْزَلَ إِلَيَّ (فِي حَقِيقَتِي) فَمَا بَلَّغْتُ رِسَالَتُهُ،
وَقَدْ ضَمِنَ لِي تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْعِصْمَةُ (مِنَ النَّاسِ) وَهُوَ اللَّهُ الْكَافِي الْكَرِيمُ .

فَأَوْحَى إِلَيَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رِبِّكَ
- فِي عَلَيْ يَعْنِي فِي الْخِلَافَةِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتُ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ
يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، مَا قَصَرْتُ فِي تَبْلِيغِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْيَ، وَأَنَا أُسِّيْنُ لَكُمْ سَبَبَ هَذِهِ الْآيَةِ: إِنَّ جَبْرِيلَ هَبَطَ إِلَيْيَ مِرارًا ثَلَاثًا يَأْمُرُنِي عَنِ السَّلَامِ رَبِّي - وَهُوَ السَّلَامُ - أَنْ أَقُومَ فِي هَذَا الْمَسْهَدِ فَأَعْلَمَ كُلَّ أَبْيَضَ وَأَسْوَدَ: أَنَّ عَلَيْ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخِي وَوَصِيِّيَ وَخَلِيفَتِي (عَلَيْهِ أُمَّتِي) وَالإِمامُ مِنْ بَعْدِي، الَّذِي مَحَلَّهُ مِنِي حَمْلُ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا تَبِعِي بَعْدِي وَهُوَ وَلِيُّكُمْ بَعْدَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْ بِذِلِّكَ آيَةً مِنْ كِتَابِهِ (هِيَ): «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَذَرُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ»، وَعَلَيْ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي أَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَهُوَ رَاكِعٌ يُرِيدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ حَالٍ .

وَسَأَلْتُ جَبْرِيلَ أَنْ يَسْتَعْفِي لِي (السَّلَامَ) عَنْ تَبْلِيغِ ذَلِكَ إِلَيْكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - لِعِلْمِي بِقِلَّةِ الْمُتَّقِينَ وَكُثْرَةِ الْمُنَافِقِينَ وَإِدْغَالِ الْلَّائِئِينَ وَحِيلِ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالْإِسْلَامِ، الَّذِينَ وَصَفَّهُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ بِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِالْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَيَخْسَبُونَهُ هَيَّنَا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ.

وَكُثْرَةُ أَذَاهُمْ لِي غَيْرَ مَرَّةٍ حَتَّى سَمَّوْنِي أُذْنَانِ وَرَعَمُوا أَنِّي كَذِيلَ لِكُثْرَةِ مُلَازِمَتِهِ إِلَيْهِ وَإِقْبَالِي عَلَيْهِ (وَهَوَاهُ وَقَوْلِهِ مِنِي) حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ «وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ الشَّيْءَ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذْنُنِ، قُلْ أَذْنُنِ - (عَلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُ أَذْنُنِ) - حَبْرٌ لَكُمْ، يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ» الْآيَةُ.

وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيُ الْقَاتِلِينَ بِذِلِّكَ بِأَسْمَانِهِمْ لَسَمَّيْتُ وَأَنْ أُوْمِئِي إِلَيْهِمْ بِأَعْيَانِهِمْ لَأَوْمَأْتُ وَأَنْ أَدْلَلَ عَلَيْهِمْ لَدَلْكُتُ، وَلَكِتِي وَاللَّهُ فِي أُمُورِهِمْ قَدْ تَكَرَّمْتُ.

وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يَرْضِي اللَّهُ مِنِي إِلَّا أَنْ أُبَيْغَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْيَ (فِي حَقِّ عَلِيِّ)، ثُمَّ تَلَـ: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ يَأْتِيَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ - فِي حَقِّ عَلِيِّ - وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» .

فَاعْلَمُوا مَعَاشِرَ النَّاسِ (ذَلِكَ فِيهِ وَأَفْهَمُوهُ وَأَعْلَمُوا) أَنَّ اللَّهَ قَدْ نَصَبَهُ لَكُمْ وَلِيَا وَإِمَاماً فَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ يَإِحْسَانَ، وَعَلَى الْبَادِي

والحاضر، وعَلَيِ الْعَجَبِيِّ وَالْعَرَبِيِّ، وَالْأَخْرِيِّ وَالْمُمْلُوكِ وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَعَلَيِ الْأَبْيَاضِ
وَالْأَسْوَدِ، وَعَلَيِ كُلِّ مُوَحَّدٍ.

ماض حُكْمُهُ، جاز قَوْلُهُ، نافِذٌ أَمْرُهُ، مَلْعُونٌ مَنْ خَالَفَهُ، مَرْحُومٌ مَنْ تَبَعَهُ وَصَدَّقَهُ،
فَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلَمْنَ سَمِعْ مِنْهُ وَأَطَاعَ لَهُ.

مَا شَرِّ النَّاسِ، إِنَّهُ أَخْرُ مَقَامِ أَقْوَمِهِ فِي هَذَا الْمَشْهَدِ، فَاصْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَانْقَادُوا لِأَمْرِ
(الله) رَبِّكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ مَوْلَاكُمْ وَإِلَهُكُمْ، ثُمَّ مِنْ دُونِهِ رَسُولُهُ وَنَبِيُّهُ
الْمُخَاطِبُ لَكُمْ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِي عَلَيْ وَلِيُّكُمْ وَإِمَامُكُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ رَبِّكُمْ، ثُمَّ الْإِمَامَةُ فِي
ذُرِّيَّتِي مِنْ وُلُودِي إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.

لَا حَلَالٌ إِلَّا مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَهُمْ، وَلَا حَرَامٌ إِلَّا مَا حَرَمَهُ اللَّهُ (عَلَيْكُمْ)
وَرَسُولُهُ وَهُمْ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَ عَرَفَنِي الْخَلَالَ وَالْحَرَامَ وَأَنَا أَفْضَلُ بِمَا عَلِمْنِي رَبِّي مِنْ كِتَابِهِ
وَخَلَالِهِ وَحَرَامِهِ إِلَيْهِ.

مَا شَرِّ النَّاسِ، (فَضِّلُوهُ).

مَا مِنْ عِلْمٍ إِلَّا وَقَدْ أَحْصَاهُ اللَّهُ فِي، وَكُلُّ عِلْمٍ عُلِمْتُ فَقَدْ أَحْصَيْتُهُ فِي إِيمَامِ
الْمُتَّقِينَ، وَمَا مِنْ عِلْمٍ إِلَّا وَقَدْ عَلِمْتُهُ عَلَيْهِ، وَهُوَ الْإِمَامُ الْمُبِينُ (الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي سُورَةِ
يُسُّوسِ: (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ)).

مَا شَرِّ النَّاسِ، لَا تَضِلُّوا عَنْهُ وَلَا تَنْفِرُوا مِنْهُ، وَلَا تَسْتَكْفُوا عَنْ وِلَائِتِهِ، فَهُوَ
الَّذِي يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيُزِيقُ الْبَاطِلَ وَيَنْهَا عَنْهُ، وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَا يَمْلِئُ
أَوْلُ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ (لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَى الْأَيْمَانِ بِأَحَدٍ)، وَالَّذِي فَدَى رَسُولَ اللَّهِ
بِنَفْسِهِ، وَالَّذِي كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا أَحَدَ يَعْبُدُ اللَّهَ مَعَ رَسُولِهِ مِنَ الرِّجَالِ غَيْرُهُ.
(أَوْلُ النَّاسِ صَلَاةً وَأَوْلُ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ مَعِي).

أَمْرُتُهُ عَنِ اللَّهِ أَنْ يَنَامَ فِي مَضْجَعِي، فَفَعَلَ فَادِيَا لِي بِنَفْسِهِ).

مَا شَرِّ النَّاسِ، فَضِّلُوهُ فَقَدْ فَضَلَهُ اللَّهُ، وَاقْبَلُوهُ فَقَدْ نَصَبَهُ اللَّهُ.

مَا عَاهِرَ النَّاسِ، إِنَّهُ إِمَامٌ مِنَ اللَّهِ، وَلَنْ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَى أَحَدٍ أَنْكَرَ وَلَا يَتَهَوَّ وَلَنْ يَعْفُرَ لَهُ، حَتَّمًا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَفْعُلَ ذَلِكَ بِمَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ وَأَنْ يُعَذِّبَهُ عَذَابًا نُكْرًا أَبَدًا الْآبَادَ وَدَهْرَ الدُّهُورِ .

فَاحْذَرُوا أَنْ تُخَالِفُوهُ.

فَتَضْلُلُوا نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعَدَّتُ لِكُفَّارِينَ .

مَا عَاهِرَ النَّاسِ، بِي - وَاللَّهُ - بَشَّرَ الْأُولَوْنَ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَأَنَا - (وَاللَّهُ) - خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْحَجَّةُ عَلَى جَمِيعِ الْمَخْلُوقِينَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَينَ .

فَمَنْ شَكَّ فِي ذَلِكَ فَقَدْ كَفَرَ كُفَّرَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَمَنْ شَكَّ فِي شَيْءٍ مِنْ قَوْلِي
هَذَا فَقَدْ شَكَّ فِي كُلِّ مَا أُنْزِلَ إِلَيَّ، وَمَنْ شَكَّ فِي وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ فَقَدْ شَكَّ فِي كُلِّ مِنْهُمْ،
وَالشَّاكُّ فِينَا فِي التَّارِ .

مَا عَاهِرَ النَّاسِ، حَبَانِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِذِهِ الْفَضْيَلَةِ مَنَّا مِنْهُ عَلَى وَإِحْسَانًا مِنْهُ إِلَيْ
وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَلَا لَهُ الْحَمْدُ مِنِي أَبَدًا الْآيَدِينَ وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ .

مَا عَاهِرَ النَّاسِ، فَضِلُّوا عَلَيْاً فَإِنَّهُ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدِي مِنْ ذَكَرِ وَأُنْثِي مَا أُنْزَلَ اللَّهُ
الرِّزْقَ وَبَقِيَ الْخُلُقُ .

مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ، مَغْضُوبٌ مَغْضُوبٌ مَنْ رَدَ عَلَى قَوْلِي هَذَا وَلَمْ يُوافِقْهُ .

أَلَا إِنَّ جَبْرِيلَ حَبَّرَنِي عَنِ اللَّهِ تَعَالَى بِذَلِكَ وَيَقُولُ: «مَنْ عَادِي عَلَيَا وَلَمْ يَنَوَّلْهُ
فَعَلَيْهِ لَعْنَتِي وَغَضَبِي»، (وَلَتَنْتَظِرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمْتُ لِيَغْدُ وَاتَّقُوا اللَّهَ - أَنْ تُخَالِفُوهُ فَتَزِلَّ قَدْمُ
بَعْدَ ثُبُوتِهَا - إِنَّ اللَّهَ حَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) .

مَا عَاهِرَ النَّاسِ، إِنَّهُ جَنْبُ اللَّهِ الَّذِي ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، فَقَالَ تَعَالَى (خُبِيرًا عَمَّا
يُخَالِفُهُ): (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ) .

مَا عَاهِرَ النَّاسِ، تَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ وَأَفْهَمُوا آيَاتِهِ وَأَنْظُرُوا إِلَى مُحْكَمَاتِهِ وَلَا تَتَنَعَّوا
مُتَشَابِهَهُ، فَوَاللَّهِ لَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ زَوَاجِرَهُ وَلَنْ يُوضَحَ لَكُمْ تَفْسِيرَهُ إِلَّا الَّذِي أَنَا آخِذُ بِيَدِهِ

وَمُصْعِدُهُ إِلَيْ وَشَائِلٍ بِعَضِيهِ (وَرَافِعُهُ بِيَدِي) وَمُعْلِمُكُمْ: أَنَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهُدَا عَلَيْ
مَوْلَاهُ، وَهُوَ عَلَيْ بْنِ أَيِّ طَالِبٍ أَخِي وَوَصِيٍّ، وَمُوَالَاتُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَهَا عَلَيْ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ عَلَيْنَا وَالظَّبِيبَيْنَ مِنْ وُلْدِي (مِنْ صُلْبِيْهِ) هُمُ الشَّقْلُ الْأَصْغَرُ،
وَالْقُرْآنُ الشَّقْلُ الْأَكْبَرُ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُنْبِئٌ عَنْ صَاحِبِهِ وَمُوَافِقٌ لَهُ، لَنْ يَفْتَرِقا حَتَّى
يَرِدا عَلَيْهِ الْحُوشَ.

أَلَا إِنَّهُمْ أَمْنَاءُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَحُكَّامُهُ فِي أَرْضِهِ.

أَلَا وَقَدْ أَدَيْتُ.

أَلَا وَقَدْ بَلَغْتُ، أَلَا وَقَدْ أَسْمَعْتُ، أَلَا وَقَدْ أَوْضَحْتُ، أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ وَإِنَّا
قُلْتُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَلَا إِنَّهُ لَا «أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ» غَيْرَ أَخِي هَذَا، أَلَا لَا تَحِلُّ إِمْرَةٌ
الْمُؤْمِنِينَ بَعْدِي لِأَحَدٍ غَيْرِهِ.

ثُمَّ قَالَ: «أَيَّهَا النَّاسُ، مَنْ آوَى بِكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ.

فَقَالَ: أَلَا مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهُدَا عَلَيْهِ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِّيْ مَنْ وَالِّيْ وَعَادِ مَنْ عَادَهُ
وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، هَذَا عَلَيْ أَخِي وَوَصِيٍّ وَوَاعِيٍّ عَلْمِيٍّ، وَخَلِيفَتِيٍّ فِي أَمْتَقِي عَلَيْ مَنْ آمَنَ
بِي وَعَلَيْ تَفْسِيرِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالدَّاعِي إِلَيْهِ وَالْعَالِمُ بِمَا يَرِضَهُ وَالْمَحَارِبُ لِأَعْدَاءِهِ
وَالْمُوَالِي عَلَى طَاعَتِهِ وَالتَّاهِي عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

إِنَّهُ خَلِيقُ رَسُولِ اللَّهِ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْإِمَامُ الْهَادِي مِنَ اللَّهِ، وَقَاتِلُ التَّاكِثِينَ
وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ بِأَمْرِ اللَّهِ.
يَقُولُ اللَّهُ: (مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيْ).

بِأَمْرِكَ يَا رَبِّ أَقُولُ: اللَّهُمَّ وَالِّيْ مَنْ وَالِّيْ وَعَادِ مَنْ عَادَهُ (وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ
مَنْ خَذَلَهُ) وَالْعَنْ مَنْ أَنْكَرَهُ وَاغْضَبْ عَلَيْ مَنْ جَحَدَ حَقَّهُ.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْزَلْتَ الْآيَةَ فِي عَلِيٍّ وَلِيَّكَ عِنْدَ تَبْيَانِ ذَلِكَ وَصَبِيكَ إِيَّاهُ لِهَذَا الْيَوْمِ:
«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيَنَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيَنًا»،

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ أَنِّي قَدْ بَلَّغْتُ .

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّمَا أَكْمَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دِينَكُمْ بِإِيمَانِهِ .

فَمَنْ لَمْ يَأْتِمْ بِهِ وَبَمْ يَقُولُ مَقَامَهُ مِنْ وُلْدِي مِنْ صُلْبِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالْعَرْضِ
عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَوْلَئِكَ الَّذِينَ حَيَطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ وَفِي التَّارِيْخِ هُمْ
خَالِدُوْنَ، ﴿لَا يُحَقِّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُوْنَ﴾ .

مَعَاشِرَ النَّاسِ، هَذَا عَلَيْكُمْ أَنْصُرُكُمْ لِي وَأَحَقُّكُمْ بِي وَأَقْرِبُكُمْ إِلَيْيَّ وَأَعْرِكُمْ عَلَيْكُمْ .
وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَا عَنْهُ راضِيٌّ .

وَمَا نَرَلْتُ آيَةً رِضاً (فِي الْقُرْآنِ) إِلَّا فِيهِ، وَلَا خَاطَبَ اللَّهَ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا بَدَأْتُ بِهِ،
وَلَا نَرَلْتُ آيَةً مَدْحُونَةً فِي الْقُرْآنِ إِلَّا فِيهِ، وَلَا شَهَدَ اللَّهُ بِالْجَنَّةِ فِي «هُلْ أَنِّي عَلَى الْإِنْسَانِ» إِلَّا
لَهُ، وَلَا أَنْزَلَهَا فِي سُوَاهٍ وَلَا مَدَحَ بِهَا عَيْرَةً .

مَعَاشِرَ النَّاسِ، هُوَ نَاصِرُ دِينِ اللَّهِ وَالْمُجَادِلُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَهُوَ الشَّقِيقُ النَّقِيقُ
الْهَادِيُّ الْمَهْدِيُّ .

تَبِيِّنُكُمْ حَيْرُنَّي وَوَصِيِّكُمْ حَيْرُ وَصِيٌّ (وَبَنُوهُ حَيْرُ الْأَوْصِياءِ) .

مَعَاشِرَ النَّاسِ، ذُرِّيَّةُ كُلِّ نَبِيٍّ مِنْ صُلْبِهِ، وَذُرِّيَّيَّةُ مِنْ صُلْبِ (أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) عَلَيْهِ .

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ إِبْلِيسَ أَخْرَجَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ بِالْحُسْدِ، فَلَا تَحْسُدُوهُ فَتَحْبِطُ
أَعْمَالُكُمْ وَتَنْزَلُ أَقْدَامُكُمْ، فَإِنَّ آدَمَ أُهْبِطَ إِلَى الْأَرْضِ بِخَطِيئَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهُوَ صَفْوَةُ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ، وَكَيْفَ يُكْمِنُ وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ وَمِنْكُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ، أَلَا وَإِنَّهُ لَا يُبْغِضُ عَلَيْاً إِلَّا شَقِيقٌ، وَلَا
يُوَالِي عَلَيْاً إِلَّا تَقِيٌّ، وَلَا يُؤْمِنُ بِهِ إِلَّا مُؤْمِنٌ مُخْلِصٌ .

وَفِي عَلَيْ - وَاللَّهُ - نَرَلْتُ سُورَةَ الْعَصْرِ: ﴿سُبْنَ اللَّهَ الرَّحْمَانَ الرَّحِيمَ، وَالْعَصْرِ، إِنَّ
الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، (إِلَّا عَلَيْاً الَّذِي آمَنَ وَرَضِيَ بِالْحَقِيقَ وَالصَّابِرِ) .

مَعَاشِرَ النَّاسِ، قَدِ اسْتَشَهَدْتُ اللَّهُ وَبَلَّغْتُكُمْ رِسَالَتِي وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ
الْمُبِينُ .

مَعَاشِرَ النَّاسِ، ﴿أَتَقْوَى اللَّهُ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، ﴿آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطَّمَسَ وُجُوهاً فَتَرْدَهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنُهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبَّ﴾.

(بِاللَّهِ مَا عَنِّي بِهِنْدِي الْآيَةِ إِلَّا قَوْمًا مِنْ أَصْحَابِي أَغْرِفُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَدْسَابِهِمْ، وَقَدْ أُمِرْتُ بِالصَّفْحِ عَنْهُمْ فَلَيَعْمَلْ كُلُّ أَمْرِئٍ عَلَى مَا يَجِدُ لِعِنْيَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْحُبِّ وَالْبُعْضِ).

مَعَاشِرَ النَّاسِ، التُّورُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَسْلُوكٌ فِي ثُمَّ فِي عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ فِي السَّلْ سِمْنَهُ إِلَى الْقَائِمِ الْمَهْدِيِّ الَّذِي يَأْخُذُ بِحَقِّ اللَّهِ وَبِكُلِّ حَقٍّ هُوَ لَنَا، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَنَا حُجَّةً عَلَى الْمُقَصِّرِينَ وَالْمُعَانِدِينَ وَالْمُخَالِفِينَ وَالْخَائِنِينَ وَالْآثِمِينَ وَالظَّالِمِينَ وَالْغَاصِبِينَ مِنْ جَمِيعِ الْعَالَمِينَ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، أَنْتُرُكُمْ أَنَّى رَسُولُ اللَّهِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِ الرَّسُولِ، أَفَإِنْ مِتْ أَوْ قُتِلْتُ أَنْقَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ؟ وَمَنْ يَنْقِلِبُ عَلَى عَقِبِيهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (الصَّابِرِينَ).

أَلَا وَإِنَّ عَلَيَّ هُوَ الْمَوْصُوفُ بِالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ وُلْدِي مِنْ صُلْبِهِ .

مَعَاشِرَ النَّاسِ، لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ يَإِسْلَامَكُمْ، بَلْ لَا تَمُنُّوا عَلَى اللَّهِ فَيُحِيطُ عَمَلَكُمْ وَيَسْخَطُ عَلَيْكُمْ وَيَتَلَمَّكُمْ بِشُواطِنَ مِنْ نَارٍ وَنَحَاسٍ، إِنَّ رَبَّكُمْ لِيَ الْمُرْصادِ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ بَعْدِي أَنَّمَّا يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ .

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ اللَّهَ وَأَنَا بَرِيئٌ مِنْهُمْ .

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّهُمْ وَأَنْصَارَهُمْ وَأَتْبَاعَهُمْ وَأَشْيَاءَهُمْ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَيْسَ مَثْوَيَ الْمُتَكَبِّرِينَ .

أَلَا إِنَّهُمْ أَصْحَابُ الصَّحِيقَةِ، فَلَيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ فِي صَحِيقَتِهِ!!

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنِّي أَدْعُهَا إِمَامَةً وَوِرَاثَةً (فِي عَقِبِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)، وَقَدْ بَلَغْتُ مَا

أُمِرْتُ بِتَبْلِيغِهِ حُجَّةً عَلَى كُلِّ حَاضِرٍ وَغَائِبٍ وَعَلَى كُلِّ أَحَدٍ مِمَّنْ شَهَدَ أَوْلَمْ يَشْهُدُ، وُلَدَ أَوْلَمْ

يُولَّد، فَلَيُبَلِّغُ الْحَاضِرُ الْغَايَبَ وَالْوَالِدُ الْوَلَدَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وَسَيَجْعَلُونَ الْإِمَامَةَ بَعْدِي مُلْكًاً وَاعْتِصَابًاً، (أَلَا لَعْنَ اللَّهِ الْغَاصِبِينَ الْمُغْتَصِبِينَ)،
وَعِنْدَهَا سَيَفِرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الشَّقَالَنِ (مَنْ يَفْرَغُ) وَيُرِسْلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ
فَلَا تَنْتَصِرَانِ .

مَاعَشَرَ النَّاسِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَكُنْ لِيَدْرُكُمْ عَلَيْهِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ
الْخَيْثَ مِنَ الطَّيْبِ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلَعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ .

مَاعَشَرَ النَّاسِ، إِنَّهُ مَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَاللَّهُ مُهْلِكُهَا يَتَكَذِّبُهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
وَمُمْلِكُهَا الْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ وَاللَّهُ مُصَدِّقٌ وَعَدَهُ .

مَاعَشَرَ النَّاسِ، قَدْ ضَلَّ قَبْلَكُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ، وَاللَّهُ لَقَدْ أَهْلَكَ الْأَوَّلِينَ، وَهُوَ
مُهْلِكُ الْآخِرِينَ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «أَلَمْ نُهَلِّكِ الْأَوَّلِينَ، ثُمَّ نُتَبِّعُهُمُ الْآخِرِينَ، كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ،
وَيُلْيِلُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ».

مَاعَشَرَ النَّاسِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَنِي وَنَهَايِي، وَقَدْ أَمَرْتُ عَلَيْيَا وَنَهَيْتُهُ (بِأَمْرِهِ) .
فَعِلْمُ الْأَمْرِ وَالنَّهِيِّ لَدِيهِ، فَاسْمَعُوا لِأَمْرِهِ تَسْلِمُوا وَأَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَانْتَهُوا لِنَهْيِهِ
تَرْشُدُوا، (وَصِيرُوا إِلَى مُرَادِهِ) وَلَا تَتَفَرَّقُ بِكُمُ السُّبُلُ عَنْ سَبِيلِهِ .

مَاعَشَرَ النَّاسِ، أَنَا صَرَاطُ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي أَمْرَكُمْ بِاتِّبَاعِهِ، ثُمَّ عَلَى مِنْ بَعْدِي .
ثُمَّ وُلْدِي مِنْ صُلْبِهِ أَئْمَةُ (الْمَهْدِيُّ)، يَهْدُونَ إِلَى الْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ .

ثُمَّ قَرَأَ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .. » إِلَى آخِرِهَا، وَقَالَ: فِي
نَرَلَثُ وَفِيهِمْ (وَاللَّهُ نَرَلَثُ، وَلَهُمْ عَمَّتْ وَإِيَاهُمْ حَصَّتْ، أَوْلَئِكَ أَوْلَيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا حَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ .

أَلَا إِنَّ أَعْدَائِهِمْ هُمُ السُّفَهَاءُ الْغَاوُونَ إِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ
رُخْرَقَ الْقَوْلِ غُرُورًا .



أَلَا إِنَّ أُولَائِهِمُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَائِهِمْ أَوْ أَبْنَائِهِمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَاتِهِمْ، أَوْ لِئَلَّكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ» إِلَى آخر الآية .

أَلَا إِنَّ أُولَائِهِمُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أَوْ لِئَلَّكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) .
«أَلَا إِنَّ أُولَائِهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرْتَابُوا» .

أَلَا إِنَّ أُولَائِهِمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِسْلَامًا مِنْ نَحْنُ، تَتَلَاقَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِالثَّسْلِيمِ يَقُولُونَ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ .

أَلَا إِنَّ أُولَائِهِمُ، لَهُمُ الْجَنَّةُ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ .
أَلَا إِنَّ أَعْدَاءَهُمُ الَّذِينَ يَصْلُوْنَ سَعِيرًا .

أَلَا إِنَّ أَعْدَاءَهُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ لِجَهَنَّمَ شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ وَيَرْوَنَ لَهَا رَفِيرًا .

أَلَا إِنَّ أَعْدَاءَهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: (كُلَّمَا دَخَلْتُ أُمَّةً لَعَنْتُ أُخْتَهَا) الآية .

أَلَا إِنَّ أَعْدَاءَهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَالَّهُمْ حَرَّنَّهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ، قَالُوا بَلِي قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبُنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ» إِلَى قَوْلِهِ: (أَلَا فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ) .

أَلَا إِنَّ أُولَائِهِمُ الَّذِينَ يَخْسُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ .

مَعَاشِرَ النَّاسِ، شَتَّانَ مَا بَيْنَ السَّعِيرِ وَالْأَجْرِ الْكَبِيرِ .

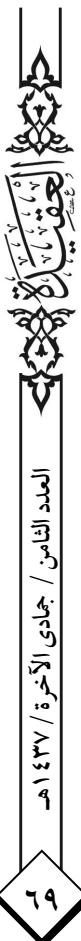
(مَعَاشِرَ النَّاسِ)، عَدُونَا مَنْ دَمَّهُ اللَّهُ وَلَعَنَهُ، وَوَلَيْسَا (كُلُّ) مَنْ مَدَحَهُ اللَّهُ وَاحَّبَهُ .

(مَعَاشِرَ النَّاسِ)، أَلَا وَإِنِّي (أَنَا) النَّذِيرُ وَعَلَى الْبَشِيرِ .

مَعَاشِرَ النَّاسِ، أَلَا وَإِنِّي مُنْذِرٌ وَعَلَى هَادِ .

مَعَاشِرَ النَّاسِ (أَلَا) وَإِنِّي نَبِيٌّ وَعَلَى وَصِيبَيِّ .

(مَعَاشِرَ النَّاسِ)، أَلَا وَإِنِّي رَسُولٌ وَعَلَى الْإِمَامِ وَالْوَصِيِّ مِنْ بَعْدِي، وَالْأُلْمَةُ مِنْ بَعْدِهِ



أَلَا وَإِنِّي وَالدُّهُمْ وَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْ صُلْبِهِ) .
 أَلَا إِنَّ خَاتَمَ الْائِمَّةَ مِنَ الْقَائِمِ الْمَهْدِيِّ .
 أَلَا إِنَّهُ الظَّاهِرُ عَلَى الدِّينِ .
 أَلَا إِنَّهُ الْمُنْتَقِمُ مِنَ الظَّالِمِينَ .
 أَلَا إِنَّهُ فَاتِحُ الْحُصُونِ وَهَادِمُهَا .
 أَلَا إِنَّهُ غَالِبٌ كُلَّ قَبْيلَةٍ مِنْ أَهْلِ الشَّرِكَ وَهَادِيهَا .
 أَلَا إِنَّهُ الْمُدْرِكُ بِكُلِّ ثَارٍ لِأُولَائِي اللَّهِ .
 أَلَا إِنَّهُ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ .
 أَلَا إِنَّهُ الْغَرَّافُ مِنْ بَحْرِ عَمِيقٍ .
 أَلَا إِنَّهُ يَسِّمُ كُلَّ ذِي فَضْلٍ بِفَضْلِهِ وَكُلَّ ذِي جَهْلٍ بِجَهْلِهِ .
 أَلَا إِنَّهُ خَيْرَةُ اللَّهِ وَمُخْتَارُهُ .
 أَلَا إِنَّهُ وَارِثُ كُلِّ عِلْمٍ وَالْمُحيطُ بِكُلِّ فَهْمٍ .
 أَلَا إِنَّهُ الْمُخِيرُ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْمُشَيْدُ لِأَمْرِ آيَاتِهِ .
 أَلَا إِنَّهُ الرَّشِيدُ السَّدِيدُ .
 أَلَا إِنَّهُ الْمُفَوَّضُ إِلَيْهِ .
 أَلَا إِنَّهُ قَدْ بَشَّرَ بِهِ مَنْ سَلَفَ مِنَ الْقُرُونِ بَيْنَ يَدَيْهِ .
 أَلَا إِنَّهُ الْبَاقِ حُجَّةً وَلَا حُجَّةً بَعْدَهُ وَلَا حَقٌّ إِلَّا مَعَهُ وَلَا نُورٌ إِلَّا عِنْدَهُ .
 أَلَا إِنَّهُ لَا غَالِبَ لَهُ وَلَا مَنْصُورَ عَلَيْهِ .
 أَلَا وَإِنَّهُ وَلِيَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَحَكَمُهُ فِي حَلْقِهِ، وَأَمِينُهُ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ .
 مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنِّي قَدْ بَيَّنْتُ لَكُمْ وَأَفْهَمْتُكُمْ، وَهَذَا عَلَيْكُمْ يُفْهَمُكُمْ بَعْدِي .
 أَلَا وَإِنِّي عِنْدَ انْقِضَاءِ خُطْبَتِي أَذْعُوكُمْ إِلَى مُصَافَقَتِي عَلَى بَيْعَتِهِ وَالْإِقْرَارِ بِهِ، ثُمَّ مُصَافَقَتِهِ بَعْدِي .

أَلَا وَإِنِّي قَدْ بَايعْتُ اللَّهَ وَعَلَيْ قَدْ بَايعَنِي .
وَإِنَّا أَخِذُكُمْ بِالْبَيْعَةِ لَهُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفَ بِمَا عاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ الْحَجَّ وَالْعُرْمَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ، ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَوَّفَ بِهِمَا﴾ الْآيَةُ .

مَعَاشِرَ النَّاسِ، حُجُّوا الْبَيْتَ، فَمَا وَرَدَهُ أَهْلُ بَيْتٍ إِلَّا اسْتَغْنَوْا وَأَبْشَرُوا، وَلَا تَخَلَّفُوا عَنْهُ إِلَّا بَتَرُوا وَأَفْتَرُوا .

مَعَاشِرَ النَّاسِ، مَا وَقَفَ بِالْمَوْقِفِ مُؤْمِنٌ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا سَلَفَ مِنْ ذَنْبِهِ إِلَى وَقْتِهِ ذَلِكَ، فَإِذَا انْقَضَتْ حَجَّتُهُ اسْتَأْنَفَ عَمَلَهُ .

مَعَاشِرَ النَّاسِ، الْحِجَاجُ مُعَاوُنُونَ وَنَفَقَانُهُمْ مُخْلَفَةٌ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ .

مَعَاشِرَ النَّاسِ، حُجُّوا الْبَيْتَ بِكَمَالِ الدِّينِ وَالتَّقْفَةِ، وَلَا تَنْصَرُوا عَنِ الْمَشَاهِدِ إِلَّا بِتَوْبَةٍ وَإِقْلَاعٍ .

مَعَاشِرَ النَّاسِ، أَقْيَمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ كَمَا أَمْرَكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ طَالَ عَلَيْكُمُ الْأَمْدُ فَقَصَرُوهُمْ أَوْ نَسِيْتُمْ فَعَلِيٌّ وَلِيُّكُمْ وَمُبَيِّنٌ لَكُمْ، الَّذِي نَصَبَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكُمْ بَعْدِي أَمِينَ حَلْقِهِ .

إِنَّهُ مِنِّي وَإِنَّا مِنْهُ، وَهُوَ وَمَنْ تَخَلَّفَ مِنْ ذُرِّيَّيِّ يُخْبِرُونَكُمْ بِمَا تَسْأَلُونَ عَنْهُ وَبِيَبْيَنُونَ لَكُمْ مَا لَا تَعْلَمُونَ .

أَلَا إِنَّ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ أُحْصِيَهُمَا وَأُعَزِّيَهُمَا فَأَمْرَ بِالْحَلَالِ وَإِنْهِ عَنِ الْحَرَامِ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ، فَأَمْرُتُ أَنْ آخِذَ الْبَيْعَةَ مِنْكُمْ وَالصَّفَقَةَ لَكُمْ بِقَبُولِ مَا جِئْتُ بِهِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي عَلَيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَوْصِيَاءِ مِنْ بَعْدِهِ الَّذِينَ هُمْ مِنِّي وَمِنْهُ إِمَامٌ فِيهِمْ قَائِمَةٌ، خَاتِمُهَا الْمَهْدِيُّ إِلَى يَوْمِ يُلْقَى اللَّهُ الَّذِي يُقْدِرُ وَيَقْضِي .

مَعَاشِرَ النَّاسِ، وَكُلُّ حَالٍ دَلَّتُكُمْ عَلَيْهِ وَكُلُّ حَرَامٍ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَإِنِّي لَمْ أُرْجِعْ
عَنْ ذَلِكَ وَلَمْ أُبَدِّلْ.

أَلَا فَادْكُرُوا ذَلِكَ وَاحْفَظُوهُ وَتَوَاصَوْبِهِ، وَلَا تُبَدِّلُوهُ وَلَا تُغَيِّرُوهُ.

أَلَا وَإِنِّي أُجِدُّ الْقَوْلَ: أَلَا فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَا عَنِ
الْمُنْكَرِ.

أَلَا وَإِنَّ رَأْسَ الْأُمْرِ بِالْمَعْرُوفِ أَنْ تَنْتَهُوا إِلَى قَوْلِي وَتُبَلَّغُوهُ مَنْ لَمْ يَخْضُرْ وَتَأْمُرُوهُ
بِقَبُولِهِ عَنِي وَتَهْوُهُ عَنْ خُلَافَتِهِ، فَإِنَّهُ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنِّي .
وَلَا أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ وَلَا نَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ إِلَّا مَعَ إِمامٍ مَعْصُومٍ .

مَعَاشِرَ النَّاسِ، الْقُرْآنُ يُعَرِّفُكُمْ أَنَّ الْأُلْئَمَةَ مِنْ بَعْدِهِ وُلْدُهُ، وَعَرَفْتُكُمْ إِنَّهُمْ مِنِّي
وَمِنْهُ، حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: «وَجَعَلَهَا كَلْمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ».
وَقُلْتُ: «لَنْ تَضُلُّوا مَا إِنْ تَمَسَّكُتُمْ بِيهِما» .

مَعَاشِرَ النَّاسِ، التَّقْوَى، التَّقْوَى، وَاحْذَرُوا السَّاعَةَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «إِنَّ
زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ».

أَذْكُرُوا الْمَمَاتَ (وَالْمَعَادَ) وَالْحِسَابَ وَالْمَوَازِينَ وَالْمَحَاسِبَةَ بَيْنَ يَدِي رَبِّ الْعَالَمَيْنَ
وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ.

فَمَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ أُثِيبَ عَلَيْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَيَسَ لَهُ فِي الْجِنَانِ نَصِيبٌ .

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّكُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُصَافِقُونِي بِكَفٍّ وَاحِدٍ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَقَدْ
أَمَرَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ آخُذَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الْإِقْرَارَ بِمَا عَقَدْتُ لِعَلِيٍّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلِمَنْ
جَاءَ بَعْدَهُ مِنَ الْأُلْئَمَةِ مِنِّي وَمِنْهُ، عَلَى مَا أَعْلَمْتُكُمْ أَنَّ ذُرِّيَّتِي مِنْ صُلْبِهِ .

فَقُولُوا بِأَجْمَعِكُمْ: إِنَا سَامِعُونَ مُطِيعُونَ راضُونَ مُنْقَادُونَ لِمَا بَلَّغْتَ عَنْ رَبِّنَا
وَرَبِّكَ فِي أَمْرِ إِمَامِنَا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ وُلِدَ مِنْ صُلْبِهِ مِنَ الْأُلْئَمَةِ .

نُبَايِعُكَ عَلَى ذَلِكَ بِقُلُوبِنَا وَأَنْفُسِنَا وَأَلْسِنَتِنَا وَأَيْدِينَا .

عَلَى ذَلِكَ نَحْنُ وَعَلَيْهِ نَمُوتُ وَعَلَيْهِ نُبَعْثُ.

وَلَا نُغَيِّرُ وَلَا نُبَيْلُ، وَلَا نُشُكُ (وَلَا نَجْحَدُ) وَلَا نَرْتَاقُ، وَلَا نَرْجِعُ عَنِ الْعَهْدِ وَلَا
نَنْقُضُ الْمِيثَاقَ .

وَعَظَّنَا بِوَعْظِ اللَّهِ فِي عَلَيْهِ أَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَئِمَّةِ الَّذِينَ ذَكَرْتَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ مِنْ وُلْدِهِ
بَعْدَهُ، الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَمَنْ نَصَبَهُ اللَّهُ بَعْدَهُمَا .

فَالْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ لَهُمْ مَا حُوذَ مِنَّا، مِنْ قُلُوبِنَا وَأَنْفُسِنَا وَالْمِسْنَاتِنَا وَضَمَائِرِنَا وَأَيْدِيَنَا .
مَنْ أَذْرَكَهَا بِيَدِهِ وَإِلَّا فَقَدْ أَفَرَّ بِلِسَانِهِ، وَلَا نَبْتَغِي بِذِلِّكَ بَدْلًاً وَلَا يَرِي اللَّهُ مِنْ
أَنْفُسِنَا حِوَالًا .

نَحْنُ نُؤَدِّي ذَلِكَ عَنْكَ الدَّانِي وَالْقَاصِي مِنْ أَوْلَادِنَا وَأَهْالِنَا، وَنُشَهِّدُ اللَّهَ بِذِلِّكَ
وَكَفِي بِاللَّهِ شَهِيدًا وَأَنْتَ عَلَيْنَا بِهِ شَهِيدٌ» .

مَعَاشِرَ النَّاسِ، مَا تَقُولُونَ؟ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ كُلَّ صَوْتٍ وَخَافِيَّةَ كُلِّ نَفْسٍ، «فَمَنْ
اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضْلُلُ عَلَيْهَا»، وَمَنْ بَايَعَ فَإِنَّمَا يُبَايِعُ اللَّهَ، «إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ
أَيْدِيهِمْ» .

مَعَاشِرَ النَّاسِ، فَبَايِعُوا اللَّهَ وَبَايِعُونِي وَبَايِعُوا عَلَيَّ أَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ
وَالْأَئِمَّةَ (مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) لِكَمَّةَ باقِيَّةِ .

يُهْلِكُ اللَّهُ مَنْ عَدَرَ وَيَرْحُمُ مَنْ وَفَى، «وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ
أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا» .

مَعَاشِرَ النَّاسِ، قُولُوا الَّذِي قُلْتُ لَكُمْ وَسَلِّمُوا عَلَى عَلَيِّيْرَمَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقُولُوا:
«سَمِعْنَا وَأَطْعَنَا عُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمُصِيرُ»، وَقُولُوا: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا هُنَّا وَمَا
كُنَّا لِنَهْتَدِي لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ» الآيَةِ .

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ فَضَائِلَ عَلَيْ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - وَقَدْ أَنْزَلَهَا فِي
الْقُرْآنِ - أَكْثَرُ مِنْ أَنْ أُحْصِيَهَا فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ، فَمَنْ أَنْبَأَكُمْ بِهَا وَعَرَفَهَا فَصَدِّقُوهُ .

مَعَاشِرَ النَّاسِ، مَنْ يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَلَيْهِ وَالْأئمَّةِ الَّذِينَ ذَكَرْتُهُمْ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً^ا
عَظِيمًا .

مَعَاشِرَ النَّاسِ، السَّابِقُونَ إِلَى مُبَايَعَتِهِ وَمُوَالَاتِهِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ
أُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ .

مَعَاشِرَ النَّاسِ، قُولُوا مَا يَرْضِي اللَّهَ بِهِ عَنْكُمْ مِنَ الْقَوْلِ، فَإِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ
فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ (بِمَا أَدَيْتُ وَأَمَرْتُ) وَاغْضِبْ عَلَى (الْجَاهِدِينَ) الْكَافِرِينَ،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

* هوامش البحث *

- (١) انظر: الشافي للمرتضى: ٢: ٢٦١ - ٢٦٢، والذخيرة: ٤٤٣، وتقريب المعرف لأبي الصلاح: ٤٥٠.
- (٢) كنز الفوائد للكراجي: ٢: ٨٥.
- (٣) نهاية العقول للفخر الرازي: ٣٨٦ (خ).
- (٤) النجاة في القيامة لابن ميثم: ١٢٥.
- (٥) الصراط المستقيم للبياضي: ١: ٣٠٦.
- (٦) عماد الإسلام للسيد دلدار علي: ٤: ٢١٧ (خ)، عبقات الأنوار لمير حامد حسين: ٢: ٧ - ٨.
- (٧) تقريب المعرف لأبي الصلاح الحلي: ٦: ٢٠٦ - ٢٠٧.
- (٨) تقريب المعرف للحلبي: ٦: ٢٠٩ - ٢٠٨.
- (٩) الشافي للمرتضى: ٢: ٢٦٢، وانظر: كنز الفوائد للكراجي: ٢: ٨٦، تمهيد الأصول للطوسي: ٣٩٤.
- (١٠) تقريب المعرف للحلبي: ٦: ٢٠٧.
- (١١) النجاة في القيامة لابن ميثم: ١١٠.
- (١٢) الأربعين للرازي: ٩٨.
- (١٣) نهاية العقول للفخر الرازي: ٣٨٣ (خ).
- (١٤) النجاة في القيامة لابن ميثم: ١٢٧.
- (١٥) الشافي للمرتضى: ٢: ٢٦٣ - ٢٦٤، تلخيص الشافي للطوسي: ٢: ١٧٠.

- (١٦) نهاية العقول للفرخر للرازي: ٣٨٢ (خ)، وذكر هذه الشبهة كل من الأمدي (ت ٦٣١) في أبكار الأفكار: ١٨١، والتفتازاني (ت ٧٩٣) في شرح المقاصد: ٥، والجرجاني (ت ٨١٦) في شرح المواقف: ٨، والقوشجي (ت ٨٧٩) في الشرح التجريدي: ٣٦٩، وقد أشار السيد المرتضى (ت ٤٣٦) إلى هذه الشبهة في الشافعى: ٢٦٣ وردّها.

(١٧) النجاة في القيامة لابن ميثم: ١٤٥، الصراط المستقيم للبياضى: ١: ٣٠٦ ملخصاً.

(١٨) فتح الباري لابن حجر: ٧، ١٤٧، عنه العبقات، حديث الغدير: ٦: ٣٧.

(١٩) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ١: ٤١.

(٢٠) شرح صحيح مسلم للنووى: ١: ٩٤، عنه العبقات، حديث الغدير: ٢: ٢٧٠.

(٢١) المنهل الروي في علم اصول حديث النبي ﷺ: ٦، عنه العبقات، حديث الغدير: ٢: ٢٧٠ .

(٢٢) زاد المعاد لابن القيم: ٤: ٦٠، عنه العبقات، حديث الغدير: ٢: ٢٧٣ - ٢٧٣ .

(٢٣) صحيح البخاري: ٣: ٤٦ غزوة خيبر، صحيح مسلم: ٥: ١٥٤ كتاب الجهاد.

(٢٤) فتح الباري لابن حجر: ٧: ٣٧٩ .

(٢٥) إزالة الغبن: ٥٨٤، عنه العبقات، حديث الغدير: ٢: ٣٠٣ .

(٢٦) المصدر نفسه: ٥٩٣، عنه العبقات، حديث الغدير: ٢: ٣١٠ .

(٢٧) منهاج السنة لابن تيمية: ٧: ٢١٥، ٥: ١٠١ .

(٢٨) الإمتاع في أحكام السماع للأدفوبي: ٤٠٩، الفصل العاشر في الكلام على الآلات، عنه العبقات حديث الغدير: ٢: ٣٣٣ - ٣٣٥ .

(٢٩) سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٦: ٤٨١ .

(٣٠) ميزان الاعتadal للذهبي: ١: ٤١٦، تهذيب الكمال للمزمى: ١: ٤١٩ .

(٣١) سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٣: ٧١ .

(٣٢) أشار الى ذلك الذهبي في المغني: ٢: ٤٦٨، وأيضاً في طبقات السبكى: ١: ١٩٠ وفيض القدير للمناوي: ١: ١٠ .

(٣٣) سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٦: ٤٥٦، فتح الباري لابن حجر: ١: ٤٩٦ .

(٣٤) سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٦: ٤٥٩ .

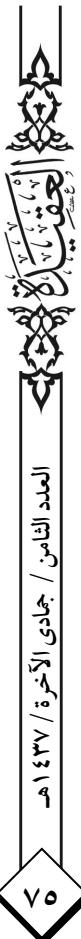
(٣٥) المصدر نفسه: ١٦: ٤٦٠ .

(٣٦) مناقب الشافعى للرازي: ١٤٨، عنه العبقات، حديث الغدير: ٢: ٣٣٥ .

(٣٧) الغدير للعلامة الأميني: ١: ٥٨٠ .

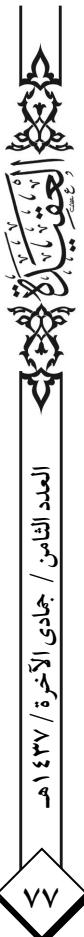
(٣٨) البداية والنهاية: ٥: ٢١٤ .

(٣٩) نهاية العقول للرازي: ٣٨٢ (خ)، وتبعه الأمدي في أبكار الأفكار: ٥، والجرجاني في شرح المواقف: ٨، والزعى فى بينيات فى الرد على أباطيل المراجعت: ١٥٠ .



- (٤٠) منهاج السنة لابن تيمية ٧: ٣١٩، واقتضاء الصراط المستقيم: ٤١٨، المقدسي رسالة في الرد على الرافضة: ٤١٩، الفخاري في أصول مذهب الشيعة: ٣٠٩.
- (٤١) الشافي للمرتضى ٢: ٢٦٣ - ٢٦٤، تلخيص الشافي للطوسي ٢: ١٧٠، وتمهيد الأصول: ٣٩٤.
- (٤٢) كنز الفوائد للكراجي ٢: ٨٧.
- (٤٣) منهاج السنة لابن تيمية ٢: ٤٠٧، عنه العبرات، حديث الغدير ٣: ٨٦.
- (٤٤) الشافي للمرتضى ٢: ٤٦٤، تلخيص الشافي للطوسي ٢: ١٧٣، تمهيد الأصول: ٣٩٤، المنقد من التقليد للحمصي ٢: ٣٣٥.
- (٤٥) تقريب المعرف لإبي الصلاح الحلي: ٤٠٧ - ٤٠٨.
- (٤٦) الخصائص للنسائي: ١٧.
- (٤٧) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٣: ٢٢٨.
- (٤٨) م ن.
- (٤٩) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٣: ٤٦٠.
- (٥٠) م ن ١٣: ٨١.
- (٥١) كنز الفوائد للكراجي ٣: ٨٧.
- (٥٢) فتح الباري ٧: ١٤٢.
- (٥٣) عمدة القاري للعیني ٩: ٤٤٥.
- (٥٤) فيض القدير للمناوي ٥: ١٣٤.
- (٥٥) الاستيعاب: رقم ١٨٥٥، عنه الغدير للأميني ١: ٤٥٤.
- (٥٦) تذكرة الخواص: ٢٩ - ٣٠، عنه الغدير للأميني ١: ٥٤٦.
- (٥٧) كفاية الطالب: ٦٤، عنه الغدير للأميني ١: ٥٤٧.
- (٥٨) العروة لأهل الخلوة: ٤٢٢، عنه الغدير للأميني ١: ٥٤٨.
- (٥٩) المواهب اللدنية ٣: ٣٦٥، عنه الغدير للأميني ١: ٥٥٦.
- (٦٠) وسيلة المال: ١١٧، ١١٨، عنه الغدير للأميني ١: ٥٥٧.
- (٦١) شرح المواهب ٧: ١٣، عنه الغدير للأميني ١: ٥٦٣.
- (٦٢) الفصل في الملل والأهواء والتحلل ٣: ٧١.
- (٦٣) المناقب لابن المغازلي: ٣٧ ح ٣٩.
- (٦٤) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٣ - ٣٥.
- (٦٥) نهج الإيمان لابن جبر: ١٣٣.
- (٦٦) الإقبال لابن طاوس ٢: ٣٣٩.
- (٦٧) الطرائف لابن طاوس ١: ٤١٥ - ٤١٦.

- (٦٨) بناء المقالة الفاطمية لأحمد بن طاووس: ٣٠٢ - ٩٩٩.
- (٦٩) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٤: ٢٧٦.
- (٧٠) فتح الباري لابن حجر: ٦٠.
- (٧١) الصواعق المحرقة ١: ١٠٦ - ١٠٧.
- (٧٢) كشف الخفاء للعجلوني: ٣٤٣ رقم ٥٩١.
- (٧٣) الفصل لابن حزم ٣: ٧١.
- (٧٤) غياث الامم للجويني: ٢٨.
- (٧٥) نصب الراية للزيلعي ١: ٤٨٣، عنه تحفة الأحوذى للمباركفورى ٣: ١٣٧.
- (٧٦) أثر الإمامة، السالوس: ٩١.
- (٧٧) البداية والنهاية لابن كثير ٥: ٤٦٨، والسيره النبوية ٤: ٤١٤.
- (٧٨) نقله عنه السيوطي في اتمام الدراء ٥٤، راجع العبقات، حديث الغدير ٦: ٣٥.
- (٧٩) الذخيرة للمرتضى: ٤٤٣.
- (٨٠) تمهيد الأصول للطوسى: ٣٩٣.
- (٨١) العمدة لابن البطريق: ١١٦.
- (٨٢) نهج الإيمان لابن جبر: ١٤٣، ١٤٢، ونحوه الصراط المستقيم للبياضى ١: ٣١٣.
- (٨٣) المعيار والموازن: ٢١٠.
- (٨٤) سير أعلام النبلاء ٨: ٣٣٤.
- (٨٥) البداية والنهاية ٥: ٣٣٤.
- (٨٦) أنسى المطالب: ٣، عنه العبقات، حديث الغدير ١: ١٧٢.
- (٨٧) الأربعين: ١١، عنه العبقات، حديث الغدير ١: ٤٢٤.
- (٨٨) المرقة شرح المشكاة ١٠: ٤٦٤ ح ٦٠٩١.
- (٨٩) فيض القدير للمناوي ٦: ٢١٨ ح ٩٠٠.
- (٩٠) الأبحاث المسددة في الفنون المتعددة: ١٤٢، عنه العبقات، حديث الغدير ١: ٢٢٩ - ٢٣١.
- (٩١) البيان والتعریف ٢: ٢٣٠، ١٣٦، عنه الغدير للأميني ١: ٥٦٣.
- (٩٢) شرح المواهب ٧: ١٣، عنه الغدير للأميني ١: ٥٦٣.
- (٩٣) كشف الخفاء للعجلوني: ٣٩٤.
- (٩٤) الصلاة الفاخرة: ٤٩، عنه الغدير للأميني ١: ٥٦٦.
- (٩٥) الروضة الندية شرح التحفة العلوية: ٦٧، عنه العبقات، حديث الغدير ١: ٢٢٩ - ٢٣١.
- (٩٦) روح المعاني ٥: ١٩٥.
- (٩٧) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤: ٣٤٣.



- (٩٨) تشنيف الآذان: ٧٧.
- (٩٩) المقالات السنوية: ٣٦٠ - ٣٦١.
- (١٠٠) شرح المقاصد: ٥ - ٢٧٤.
- (١٠١) الإرشاد للجويني: ٣٥٥.
- (١٠٢) الأربعين: ٢٩٨.
- (١٠٣) أبكار الأفكار: ١٨١.
- (١٠٤) شرح تجريد العقائد: ٣٦٩.
- (١٠٥) الصواعق المحرقة: ١، ١٠٧، عنه السيرة الحلبية: ٣، ٢٧٥ ملخصاً.
- (١٠٦) المفصح في الإمامة (ضمن رسائل الشيخ الطوسي): ١٣٤.
- (١٠٧) المحتل لابن حزم: ٧، عنه العبقات، حديث الغدير: ٦، ١٩.
- (١٠٨) النجاة في القيامة لابن ميثم: ١٢٦.
- (١٠٩) م: ١٢٦.
- (١١٠) سير أعلام النبلاء للذهبي: ١١، ٢٩٧.
- (١١١) م: ٧، ١٤٢.
- (١١٢) تاريخ الإسلام (المغازي): ٧٠١.
- (١١٣) كتاب الشفات: ٤، ١٩٤، الطبقات لابن سعد: ٢، ١٧٢، نهاية الإرب للنويري: ١٧، ٣٧١، المغازي للواقدي: ٢، ١٠٨٨.
- (١١٤) الكلافي للكليني: ٤، ٤٤٥.
- (١١٥) سفر السعادة: ٧٠.
- (١١٦) صحيح مسلم: ٢ ح ٧٩١، المصنف لابن أبي شيبة: ٤، ٣٤ ح ١، مما يدل على الاستنفار العام.
- (١١٧) الشريعة: ٣ ح ٢١٦، ١٥٧٧ ح ٢١٦.
- (١١٨) المعجم الكبير للطبراني: ٤، ٣٥٧ ح ٤٠٥.
- (١١٩) تخريج الأحاديث للزيلعي: ٢، ٤٤٠ رقم ٦٨١.
- (١٢٠) تفسير فرات الكوفي: ٥١٦ ح ٦٧٥.
- (١٢١) أسد الغابة: ١، ٦٦٦٩ رقم ١٠٣١.
- (١٢٢) إكمال تهذيب الكمال: ٣، ٣٥١ رقم ١١٤٤.
- (١٢٣) المناقب لابن شهر آشوب: ٣، ٦٦، البخاري: ٣٧، ١٥٨.
- (١٢٤) تفسير العياشي: ١، ٣٣٢، البخاري: ٣٧، ١٤٠ ح ٣٣.
- (١٢٥) جامع الأخبار: ٤٧، البخاري: ٣٧، ١٦٥ ح ٤٩.

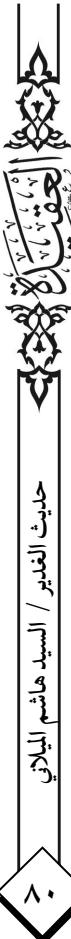


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَهْذِيبُ الْأَدْبَارِ

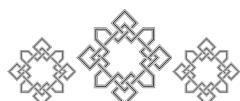
٧٨

- (١٢٦) إمتاع الأسماع: ٤: ١١٢ .
- (١٢٧) السيرة الحلبية: ٣: ٣٠٨ .
- (١٢٨) نهج الإيمان: ١٢٢ .
- (١٢٩) الاحتجاج للطبرسي: ١: ١٣٤ ، كما أشار إلى العدد الحلبى في سيرته: ٣: ٣٠٨ .
- (١٣٠) نهج الإيمان: ١٢٢ .
- (١٣١) السيرة الحلبية: ٣: ٣٠٨ ، اتحاف الورى بأخبار أم القرى: ١: ٥٦٨ .
- (١٣٢) السيرة الحلبية: ٣: ٣٠٨ ، اتحاف الورى: ١: ٥٦٨ .
- (١٣٣) تذكرة الخواص: ٣٠ ، السيرة الحلبية: ٣: ٣٠٨ ، اتحاف الورى: ١: ٥٦٨ .
- (١٣٤) حجّة الوداع لابن حزم: ٥١، ٣٤ .
- (١٣٥) السيرة الحلبية: ٣: ٣٠٨ .
- (١٣٦) اتحاف الورى بأخبار أم القرى: ١: ٥٦٨ .
- (١٣٧) حجّة الوداع لابن حزم: ٥١، ٣٤ .
- (١٣٨) سنن أبي داود: ٣٠٦ ح ١٩٨٩ .
- (١٣٩) الإقبال لابن طاووس: ٦: ٤٣٩ .
- (١٤٠) عنه عبقات الأنوار، حديث الغدير: ١: ١٤٤ .
- (١٤١) معجم الأدباء: ١٨: ٨٤ .
- (١٤٢) سير أعلام النبلاء: ١٤: ٢٧٦ ، وفي تذكرة الحفاظ: ٢: ٧١٣ وقال: فاندهشت له ولકثرة تلك الطرق.
- (١٤٣) البداية والنهاية: ١١: ١٦٧ ترجمة الطبرى.
- (١٤٤) م من: ٥: ٤٢٨ ، السيرة النبوية: ٤: ٤١٤ ، عنه الآلوسي في روح المعاني: ٥: ١٩٥ .
- (١٤٥) تهذيب التهذيب: ٧: ٢٩٧ رقم ٥٦٦ .
- (١٤٦) أثر الإمام للسائلوس: ٩١ .
- (١٤٧) الطراف لابن طاوس: ١: ٢١٢ - ٢١٥ ، والإقبال: ٢: ٢٣٩ ملخصاً ، كما أشار إلى كتاب ابن عقدة كل من ابن شهر آشوب في المناقب: ٣: ٣٤ ، وابن البطريق في العمدة: ١١٦ ، وابن جبر في نهج الإيمان: ١٣٣ - ١٣٤ ، وغيرهم من علمائنا.
- (١٤٨) فتح الباري: ٧: ٦٠ .
- (١٤٩) تهذيب التهذيب: ٧: ٢٩٧ رقم ٥٦٦ .
- (١٥٠) رجال التجاشي: ٢٣٢ رقم ٢١٧ ، عنه الغدير للأميني: ١: ٣١٧ .
- (١٥١) رسالة أبي غالب الزراوي: ١٨٠ ، عنه الغدير للأميني: ١: ٣١٧ .
- (١٥٢) رجال التجاشي: ٢٣٦ رقم ١٠٥٩ ، عنه الغدير للأميني: ١: ٣١٧ .

- (١٥٣) كفاية الطالب: ٦٠، عنه الغدير للأميني ١: ٣١٧.
- (١٥٤) الفهرست: ١٥٦ رقم ٣٦٠، عنه الغدير للأميني ١: ٣١٧.
- (١٥٥) م: ٦٩ رقم ١٦٦، عنه الغدير للأميني ١: ٣١٨.
- (١٥٦) رجال النجاشي: ٢٦٩ رقم ٧٠٦، عنه الغدير للأميني ١: ٣١٨.
- (١٥٧) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٤٠، والإقبال ٢: ٢٣٩.
- (١٥٨) تذكرة الحفاظ ٣: ١٠٤٢ رقم ٩٦٦.
- (١٥٩) بناء المقالة الفاطمية: ٣٠٢.
- (١٦٠) نقله عنه ابن جبر في نهج الإيمان: ١٣٣، والبياضي في الصراط المستقيم ١: ٣٠١، وانظر القندوزي في ينابيع المودة ١: ٣٤.
- (١٦١) الفصل في الملل والأهواء والتخل لابن حزم ٣: ٧١.
- (١٦٢) غيث الأُمَّ للجويني: ٤٨.
- (١٦٣) رسالة في الرد على الرافضة: ٤٣.
- (١٦٤) الصواعق المحرقة ١: ١٠٧.
- (١٦٥) السيرة الحلبية ٣: ٢٧٤.
- (١٦٦) أنا مدين في هذا المدخل إلى ما كتبه فضيلة الشيخ أمير تقدمي في كتابه القيّم «نور الأمير» في تثبيت خطبة الغدير».
- (١٦٧) تاريخ الإسلام (المغازي): ٧٠١.
- (١٦٨) كتاب الشقات ٢: ١٤٤، ونحوه الطبقات لابن سعد ٢: ١٧٢، نهاية الأرب للنويري ١٧: ٣٧١.
- (١٦٩) سفر السعادة: ٧٠.
- (١٧٠) السيرة الحلبية ٣: ٣٠٨، ونحوه اتحاف الورى لابن فهد المكي ١: ٥٦٨.
- (١٧١) المائدة: ٦٧.
- (١٧٢) المائدة: ٣.
- (١٧٣) البداية والنهاية ٥: ٤٤٨.
- (١٧٤) تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ٢١٧ ح ٨٧٠٧، تاريخ الإسلام للذهبي (عهد الخلفاء): ٦٣٢، وقال: وله طرق أخرى ساقها الحافظ ابن عساكر في ترجمة علي يصدق بعضها بعضاً.
- (١٧٥) المعجم الكبير للطبراني ٥: ١٩٤ ح ٥٠٦٦.
- (١٧٦) كنز العمال للمتقى الهندي ١٣: ٦٤١ ح ٣٧٦٢١، مشكلة المصايح ٣: ١٧٣٦ ح ٦١٣١.
- (١٧٧) كنز العمال للمتقى ١: ١٨٨ ح ٩٥٨، جواهر العقدين للسمهودي، القسم الثاني ٧٨، المعجم الكبير للطبراني ٣: ١٨٠ ح ٣٠٥٣.
- (١٧٨) وسيلة المال: ١١١، استجلاب ارتقاء الغرف، الورقة ٢٠.



- (١٧٩) أنساب الأشراف للبلاذري: ٤٥ ح (ترجمة الإمام علي عليه السلام).
- (١٨٠) المعجم الكبير للطبراني ٥: ١٩٦ ح ٥٠٥٩.
- (١٨١) السنة لابن أبي عاصم: ٥٥١ ح ١١٨٩.
- (١٨٢) وسيلة المآل: ١١٦.
- (١٨٣) أسد الغاية ١: ٥٧٢ رقم ٨١٢.
- (١٨٤) السيرة الحلبية ٣: ٣٠٨.
- (١٨٥) أسفى المطالب: ٤٨.
- (١٨٦) تاريخ العقوبي ٢: ١١٦.
- (١٨٧) معجم البلدان ٢: ٤٤٥.
- (١٨٨) جمهرة اللغة ١: ١٠٨.
- (١٨٩) ربيع الأبرار ١: ٨٤.
- (١٩٠) ثمار القلوب ٦٣٦ رقم ١٠٨٦.
- (١٩١) تحفة المحبين ١٦٣ (مخطوط).
- (١٩٢) المعجم الكبير للطبراني ٥: ٤١٢ ح ٦١٤٨، مجمع الزوائد للهيثمي ٩: ١٠٥ وقال: فيه حبيب بن خلاد ولم أعرفه، بقية رجاله ثقات، ورواه البزار وفيه ميمون أبو عبد الله البصيري وثقة ابن حبان وضعفه جماعة.
- (١٩٣) المائدة: ٣.
- (١٩٤) المائدة: ٦٧.
- (١٩٥) «اليمين باختصاص مولانا علي عليه السلام يأمر المؤمنين» ٣٤٦٣٤٣ الباب ١٢٧، وقال في صدره: فيما نذكره عن هذا أحمد بن محمد الطبرى المعروف بالخليلى من روایته للكتاب الذى أشرنا إليه في حديث يوم الغدير وتسمية مولانا علي عليه السلام فيه مراراً بلفظ «أمير المؤمنين» نرويه برجالهم الذين ينقلون لهم ما ينقلونه من حرامهم وحلاتهم، والدرك فيما نذكره عليهم، وفيه ذكر المهدي عليه السلام وتعظيم دولته؛ «الاحتجاج» ١/١٣٣ - ١٣٨ ح ٣٢؛ «روضة الوعظين» ٨٩-٩٠.



السلفية

مح(*)

(١)

السلفية بالمعنى العقائدي والفقهي أو فكريًا وثقافيًّا

في المقال الأول كان بودنا أن نتناول مسألة السلفية بمنظور قطاعي، أو في حيز جغرافي معين ولتكن الجزائر، وحاولنا أن نتقمص روح الموضوعية والعقلانية والحياد أو اتخاذ مسافة واحدة من المظومات العقائدية والفقهية، وآلينا على أنفسنا أن تتسم مقاربتنا، بشيءٍ من التميز والتجدد وأن تبتعد قدر الإمكان عن الأساليب المعهودة، والمفاهيم والمصطلحات الدارجة، أو المكررة على نحو ممل، حتى لانزلق أو نكُبَّ إلى الغرق في سجال لا ينصر قضية، ولا يهزم خصم، ونفقد القدرة على التشريح والمراجعة، والنقد، أو نفسر الماء بالماء.

أـ السلفية بمعاني ودلالات عصرنا:

وهل تعني السلفية شيئاً آخر، غير حصر معاني النصوص ودلالاتها، التي تتخذها مرجعاً وسندًا، وتركيزها، وتكتيفها، وتضخيمها وتعظيمها، إلى الحد الذي

(*) باحث إسلامي من الجزائر.

يخرجها من أصلتها، ويفقدها هويتها التي لا تتم وتكلماً، أو لا يحتمل أن تتجلّى

وتظهر، بالقدر الذي ييسر لها التنزيل على الواقع، من دون بروز مضعفات، أو حصول رجات وجولات، ما لم يتبّه إلى مكانة هذه النصوص، وموقعها، وعلاقاتها، وارتباطاتها، بمجمل النصوص، قرآنية وحديثية، واستؤنس بفهم العلماء والمراجع لها عبر الحقب والعصور، وفي مختلف الظروف، على تعاكسها وتتجددتها، وما يمكن أن تحمل من صدمات ومفاجآت، عفواً على السهو والنسيان مرة، وعلى التعسف والمكابرة مرة أخرى، وعلى الحيلة والماروغة مرة ثالثة، وعلى ما بالنفس من بقايا الجاهلية أحياناً، ومن الجاهلية في حالتها البكر، أو بتمام هويتها، وكامل ذاتيتها، أحياناً أخرى، فكراً ووجداناً وسلوكاً، إن هذه الصيغة، أو المنظومة، تعبّر عن عناصر مختلف العلوم الإسلامية في اتساقها، وروحها، وصدق تمثيلها للإسلام الحق أو (الإسلام الأصيل) والتمزوج الإدراكي الذي تحمله، أو تسکبه في عقول معتنقها، أو تلهمهم إياها، فيغدو قناعة راسخة، أو بعداً تكوينياً، يطفو على الجسد، وتصرخ به ملامح الوجه، فضلاً عن القوة الإدراكية، وحينئذ لا تسأل عن السلوك كيف يكون؟!، ولا كيف تكون مخرجاً؟!

لم تنبثق هذه الصيغة، وهذه المنظومة بفترة، ومن دون سابق إنذار وتنفجر وتشظي في زمننا هذا، وفي عصرنا الحالي، فتثير الاستغراب والاندهاش، وتغشانا بهيجان أمواجها المخيفة، أو بغضب رياحها العاصفة التي تنفس الاستقرار، وتقتلع الثبات وتبعـد النشاط الذي تكون به حماية البيضة، والدفاع عنها، والذي يكون به بعـث العمـان والدفع به إلى النـمو والازـدهار، أو إلى التجـاوز والرقـى، عمل واحد يتـقنه هـؤلاء، ويفـنون في الإـخلاص لـهـ، هو تـبـيـدـ الإـمـكـانـياتـ، وـاستـهـلاـكـ التـارـيخـ على نـحوـ صـبـيـانـيـ، أو بـعـبـثـ طـفـوليـ، وـماـ يـؤـسـيـ، وـيـثـيرـ الحـفيـظـةـ، وـيـحـدـثـ خـلـلاـ فيـ العـقـلـ، وـاخـتـلـلاـ فيـ الشـرـيعـةـ، شـكـلـ تعـاطـيـهـمـ، معـ النـصـوـصـ تـدـبـرـاـ وـتـصـرـيفـاـ لـهـ، عـلـىـ غـيـرـ هـدـىـ، أوـ بـهـوىـ جـامـحـ، ماـ أـفـضـعـ العـشـوـائـيـةـ وـالتـخـبـطـ، وـماـ أـفـضـحـ التـسـاهـلـ

والارتجالية !!٩٩

هؤلاء سلف في التاريخ، وهذا النبات شتلة في الماضي، لم تخل منه أي من التاريخ فترة من فتراته الحاسمة، ولا محطة من محطاته المفصلية، بربوا في حياة النبي الأكرم ﷺ ولكن بروزهم كان بشكل ضيق جداً وبخجل وعلى استحياء، إلا أن هناك ملامح لم تتبيّن بوضوح، والقبض عليها أو الإمساك بها، بنحو التمكّن والحيازة، يحتاج إلى ورشة عمل، تتنطّح لقراءة النصوص بما فيها نص التاريخ على مهل ويتأنّ شديد، أن قدرًا من الفهم والتعقل مشتركاً، بينهم وبين جسم المنافقين، وهو كبير ومعرفته بدديهيّة، تواتّأت عليه جميع فرق المسلمين، أو أنهم والمنافقين، يتواجدون في موقع واحد، أو في موقع متقاربة ومتجاورة، أما في عهد الإمام علي (عليه أفضّل الصلاة والسلام)، فقد خرّجوا إلى العلن، وبرزوا للعداوة، وانتصبوا للاستئصال، وجفوا المودة، فاض كيدهم، وانهمر غضبهم وسخطهم، على موضع كانوا قد غادروه من قبل، موضع أو موقع الالتزام الشديد الملتبس بالمن والخير، كاقتدار وانتزاع، لا كتفّيق إلهي وتأييس روسي، أو كرحمّة غامرة شملتهم واستغرقتهم، فأخرجتهم من ذواتهم، أو أنقذتهم من تملك غرائزهم وشهوّاتهم، ومن تحكم عصبياتهم، أو تفاقم أنايّاتهم، كانوا الشوكّة التي أصابت مسألة الحكم في الإسلام في خاصرته الضعيفة، ولم يبعد كثيراً إذا قلنا عكروا صفو الأجواء، وخلطوا الأمور أو دفعوا الفتنة إلى أقصاهما، فإذا أضفنا إليهم الذين كانوا في العتمة، حتى في حياة الرسول ﷺ، وكانوا على أحر من الجمر في انتظار هذه الفرصة، حتى يهجموا وقد خلا لهم الجو وواتّهم الظروف، فإذا رفعنا رأسنا ومديانا ببصرينا إلى قطاع آخر مهم وحساس من المجتمع في تلك الفترة يسمى (الطلقاء)، وهم الذين كانوا يسعون إلى الالتفاف على الحقائق والمبادئ منذ دخلوا إلى الإسلام واندمجوا في الكيان الوليد على مضض بتبيّن نياتي، والحال أن هؤلاء رأس الأمر كلّه، أي (الطلقاء)، ولا تسأل عن براعتهم، أو حرفيتهم في الإصطياد في الماء

العكر[؟]، والحال هذه، أو بالإحالة الى هذه الحيثيات، وقد اكتملت نموا ونضوجاً، وتمت ارادة وقدرة على مباشرة الفعل، ومسك الواقع من خلال تناقضاته، والمهيمنة عليه وإخضاعه وشده الى المصلحة الخاصة، من خلال تصدعاته وشقوقه، وكان ذلك ممكناً أو ليناً وطيناً تحت اليد تحكماً وتصريفاً، أو تلاوباً وتزييفاً، أو قلباً ومسخاً، بعد العصر النبوي، وفترة من بعده، ليست بالطويلة ولا القصيرة، - وإن ساورها قلق وتوتر، أو هزها تطلع واستشراف للسلطة - لم تزيلها القدسية، وإن خفت وبدت قابلة للاختراق، ولم يفارقها المعنى، بكل جماله وجلاله، وبكل قوته وعنفوانه، حيث سور المجتمع الوليد في عصر النبوة، وصار له أرضاً وسقفاً، وغداً ضبطاً دقيقاً، وقانوناً مرعياً، على جميع المستويات، وفي معظم المراتب والدرجات، بحيث تم الاستغناء عن حق استعمال العنف، المادي خاصة، في أغلب الأحوال، وفي مختلف الظروف، ولكن في فيما بعد أي: في عصر الصحابة، فترت حدته، وخبا توهجه، أو مال الى ذلك وبذا يسري فيه الوهن، في هذا الحين أو في هذه الأجواء التي بدأت تنزاح عن السوية، أو تغشاها حالة غير اعتيادية، إذ أخذ شيء من الشذوذ الفكري والسلوكي والعائقي، يطفو على السطح، فور مغادرة الرسول الأكرم عليه السلام الحياة والتحاقه بالرفيق الأعلى، عفواً بل في اللحظات الأخيرة من لمعة الحياة المقدسة وهي تودع، وبقية النفس الشريف، وقد أخذته الرحمة والشفقة والرأفة بما قد ينشأ مما قد لا تحمد عقباه من وقائع تؤزم حياتهم، وتشكل الفهم والوعي الذي استودعه إياهم، وتحدث خللاً في النفوس وفي الروابط، أو تميل بهم الى مزاج يستمرئ الخوض في الظنون والشكوك، ويستلذ الرحيل أو السفر في مطاوي الأوهام، ومراكب أضغاث الأحلام، وركوب أجنحة الأخيلة، ظناً به عليهم من هذا كله عليه السلام، طلب منهم الوسائل أو الأدوات ليكتب لهم وصية، تحملهم على الجادة، وتلزمهم التمهل والتوعدة، أو الرزانة والاعتدال، وتعصّمهم من الاختلاف المضر، والتلاخي والشقاق المشين، والمؤذى، وحفظ نصاب السلطة من التلاعب، أو

المزيدات، أو وضع النقاط على الحروف في مسألة الشرعية والمشروعية، لكن القوم خرجوا عن طورهم، وتعدوا حدودهم، وأدلوا بدلهم فيما هم غير مؤهلين له، ولا هو من اختصاصهم، ولم يراعوا المقام، ولا خصوصية اللحظة الفارقة، ارتفع اللغط وسادت موجة من الضجيج، فكثير على النبي الأكرم عليه السلام، أن يحصل هذا في حضرته، فطلب منهم الانصراف وقال: «لا ينبغي الخصم عندي».

قال تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(١).

وقال أيضاً: ﴿أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ يَرْعَمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أَمْرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضْلِلَهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَوُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٣).

وقال أيضاً: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مَمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُو تَسْلِيمًا﴾^(٤).

وقال أيضاً: ﴿وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوا إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَشْيِتاً﴾^(٥).

عن أنس بن مالك، عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه [والله] وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين».

وفي رواية لمسلم: «حتى تكون أحب إليه من أهله وماليه والناس أجمعين»، وبنحوه ورد عند البخاري من حديث أبي هريرة^(٦).

إن المرء ليتسائل ويتساءل بجد، أو بشكل ملحاً، لأن الحيرة تأخذ بمناقبه، فلا تدعه يستقر على حال، ولا تسمح له بالرُّكون إلى وجه من الأوجه المتعددة، التي

تناول الحقيقة، إن التردد والرواحة، في المكان لها نتائجها الوخيمة، ولذلك غير المرجحة، على مستوى التصرف والتدبير، وعلى مستوى بناء السلوك الفردي، وعمارة المجتمع كمجتمع متراوط متسق، في كل ما يأتيه ويدعه، متناغم مع ما يعتقد، ويدين به، أو يتمتع باستقرار معرفي (إبستيمولوجي) على مستوى قناعته، ومن ثم لا يصدر في تعقله وتفكيره، إلا عن حيادية هذه القناعة، ولا يمشي إلا بهدف هذه البوصلة، أما وقد حدث تزحج أو إنزياح، عن المفعول العقائدي، والأرضية المعرفية، وإن بمنسوب متواضع أو شحيح في أول أمره، وفي إبان حصوله، فهو خرق أو تضعضع نشأ في الوقت المحرج والمخرج جداً، ولم يتداع إليه لتلافيه أو محاصرته، ريشما يتم إصلاحه أو ترميمه.

وإذا وضعنا في الحسبان أن مرحلة هؤلاء الخلفاء التي اكتنفها بعض الستر، ومحمرها بعض الاستقرار، كانت في عمر الزهور وما أن شارت على النهاية، واستعدت للانقضاض، حتى حصل المذبور، وانتصب المتربيص والموتور، وخرجت الفتنة العمياء من جحورها، وألقت بظلها البارد على أرض الإسلام، وكما نعرف ويعرف غيرنا أن الفتنة ككرة الثلج كلما دحرجتها، كبرت وتضخمـت.

قال الإمام علي عليه السلام: «إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفَتْنَى أَهْوَاءً تُتَبَعُ وَأَحْكَامٌ تُتَبَدَّلُ يُخْلَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ وَيَتَوَلَّ عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى عَيْرِ دِينِ اللَّهِ فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِرَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَجْعَلْ عَلَى الْمُرْتَادِينَ وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبِسِ الْبَاطِلِ انْتَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ وَمِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَيُمَرِّجَانِ فَهُنَالِكَ يَسْتَوِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقُتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى»^(٧).

وقال عَلَيْهِ الْمَرْءُوسُ: «كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابِنِ الْلَّبُونِ لَا ظَهْرٌ فَيُرْكَبُ وَلَا ضَرْعٌ فَيُسْحَلَّ»^(٨)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (يُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ)،

وَالْفَتْنَ، وَيَكُثُرُ الْهَرْجُ) قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْهَرْجُ؟ فَقَالَ: (هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَفَهَا، كَأَنَّهُ يُرِيدُ الْقَتْلَ^(٩).

وقال الله تبارك وتعالى: «وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ»^(١٠).

وقال سبحانه: «لَوْ خَرَجُوا فِيْكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيمُكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيهِ بِالظَّالِمِينَ * لَقَدِ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحُقُقُ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئْذَنْ لِي وَلَا تَفْتَنِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقُطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ»^(١١).

وعليه مما ألم بمرحلة الصحبة حسب قولهم من هنات وعثرات وفلتات ناهيك عن رؤاهم السديمية أو الضبابية وعطل استيعابهم لمقومات الإسلام، وعمد الإيمان وأساسياته، فضلاً عن قراره ونضجه، وحينئذ فمن خطل الرأي أن ننتظر ظهور مقتضياتهما وانبساطها، وفيضان عطاءاتها، فضلاً عن الشريحة العريضة من الصحابة التي انسحبت من الساحة، أو سحبت، وقضت ما تبقى لها من العمر في العتمة، حتى كتب التاريخ والسير قفرت عليها، واستغفلتها أو تناستها، وقطاعات أخرى من المسلمين كالأنصار مثلاً، وهذه وإن نالت شيئاً من الذكر، وتمتعت بإشارات إلى مشاركتها وأهميتها، إلا أن التقدير لها لم يكن وزانا، المهم أن عرى الحكم في الإسلام تضعضعت، وخربت، ثم سقطت سقوطاً مريعاً، وتولى الدفة الطلقاء، في واقع غاية في التركيب والتعقيد، وسارط الأمور في طريق كثير التعاريف والمنعطفات، أو دفعت في الجهة المقابلة والمعاكسة، لمقتضيات الإسلام ومطالبه، ومن طبيعة الأشياء التي لاتنفك عنها، أن يكون لكل سلطة قوة اجتماعية، أو قواعد شعبية، تسند سلطتها وحكمها، أو تحوطها كالسياج، فما كان منهم (أي: من الطلقاء) إلى أن وضعوا أيديهم على القوة التي كانوا يدخلونها، وخليطاً من المتعصبين الموتورين والغاضبين الذين دينهم العنف، والإرهاب، ووضيفتهم أن

يُحشرُوا النَّاسُ فِي الْأَمَاكِنِ الضِّيقَةِ، أَوْ يُسَوقُوهُمْ فِي الدُّرُوبِ الْمَسْدُودَةِ، وَلَا نَعْدُمُ
أَنْ نَجِدُ لَهُمْ اسْتِهْنَاتٍ وَتَبَيِّنَاتٍ فِي السَّنَةِ النَّبُوَيَّةِ الْمَطْهَرَةِ، وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَلَيْسَ
هَذَا بِمُسْتَغْرِبٍ، أَوْ مَا يُعْجِبُ مِنْهُ، أَوْ يُصْدِمُ الْعُقْلَ وَيُحِيرُهُ فَهُوَ مَعْرُوفٌ، وَدَارِجٌ
الْحَصْوَلُ، فِي كُلِّ الْمَجَامِعِ الْبَشَرِيَّةِ، إِنْ عَلَى مَسْتَوِيِ الْأَدِيَانِ أَوْ مَسْتَوِيِ الْمَذاَهِبِ،
أَوْ مَسْتَوِيِ الْإِدِيُّولُوْجِيَّاتِ، أَوْ مَسْتَوِيِ الْقَوْمِيَّاتِ، وَفِي الْفَلْسُفَةِ وَالْأَدَبِ وَالفنِّ، وَإِنَّمَا
الْمَسْتَغْرِبُ، وَالْمُتَحِيرُ مِنْهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ أَنْ يَجْتَلِ هَذَا الْفَرِيقُ الْعَنْفِيُّ وَالْمُتَطَرِّفُ، مَرْكَزُ
السَّاحَةِ، وَوَسْطُ الْجَمَاعَاتِ وَالْجَمَاهِيرِ، أَوْ أَنْ يَكْتَسِبْ مَبْرَاتِ وَجُودَهُ، وَمَسْوَغَاتِ
خُطَابِهِ، وَشَرْعِيَّةِ رَؤْيَتِهِ، بِمَعْنَى أَنْ يَقْبِلُ وَيَتَبَيَّنُ، وَهَذِهِ هِيَ الدَّاهِيَّةُ الْعَظِيمَةُ، أَوْ
الْخُرُوجُ الْصَّرَاحُ عَلَى الْعُقْلِ وَالنَّصِّ وَالْعَرْفِ، وَخِيَانَةُ الْذَّاتِ، وَمَنَاكِفَةُ السُّوَيْدَةِ، أَوْ هُوَ
النَّذَرُ بِالْإِنْسَاخِ مِنَ الْأَمَانَةِ، وَالشَّهَادَةِ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبِدُّ
قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (١٢).

فِي هَذَا الزَّمَانِ وَفِي هَذَا الْمَكَانِ وَفِي هَذَا الْجَوِّ، جَوَ اخْتِلاَطُ الْحَابِلِ بِالْبَنَابِلِ، أَوْ
فَضَاءُ الْفَوْضِيِّ وَمَنْهَجُ ذَرِ الرَّمَادِ فِي الْعَيْنَيْنِ، تَحْلَقَتْ نَطْفَةُ السَّلْفِيَّةِ الْمَشْؤُومَةِ، أَوْ
مَنْطِقُ السَّلْبِ الَّذِي يَنْفِي كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا ذَاتَهُ وَأَفْكَارَهُ، وَهَذَا قَبْلَ التَّدوِينِ، تَدوِينُ
الْعِقِيدَةِ، وَالْفَقِيْهِ، وَالْأَخْلَاقِ، وَالتَّارِيْخِ، وَالسِّيرِ، وَالَّذِي سِيَجِدُ لَهُ مَسْتَقِبَلًا مَكَانًا فِي
الْمَدْوَنَةِ الْكَبِيرِ لِلْعِلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمِنْ ثُمَّ زَخًّا لِلْإِدِيُّولُوْجِيَّةِ السُّلْطُوْنِيَّةِ، فِي عَقُولِ
النَّاسِ وَوَجْهَانَهُمْ، مَتَوَاتِرًا وَمَسْتَمِرًا، وَعَلَيْهِ فَالْمَعْارِفُ تَكُونُ أَقْلَى وَأَضْعَفُ مَعْرِفَيَّةً،
مَا نَتَوَقَّعُ، وَالْحَقَائِقُ نَسْخًا بَاهْتَةً لِلْحَقَائِقِ، لَكِنْ لَحْنُ الْحَظْ وَرِعَايَةُ الْقَدْرِ، أَنْ
الْهَاشَمِيُّونَ، وَالْأَطْهَارُ مِنْهُمْ عَلَى الْخُصُوصِ، لَمْ يَتَرَكُوا الْأَمْرَ عَلَى عَوَاهْنَهُ، غَائِمًا ضَبَابِيًّا
بَغِيرِ حدٍ ولا قِيدٍ يَعْرُفُ بِهِ، انْكَبُوا عَلَى الْعِلْمِ يَتَدَارِسُونَهُ، وَيَدْرُسُونَهُ، وَيَنْشِرُونَهُ،
يَكْشِفُونَ حَقَائِقَ الدِّينِ، وَيَبْرُزُونَ مَعَالِمَهُ، وَتَعْهِدُوْنَ الدُّعَوَةَ إِلَيْهِ، عَلَى مَا يَجِبُ أَنْ
تَكُونَ عَلَيْهِ، جَهَدًا وَعَنْيَةً وَتَتَبعًا، وَخَدْمَةً الْمُؤْمِنِينَ وَالنَّصْحَ لَهُمْ، سَرُوا فِي الْعُرُوقِ
وَهَرَعُوا إِلَى الْمَفَاصِلِ، سَكَنًا وَإِقَامَةً، تَوَهَّجَتْ مَعَانِيهِمْ وَلَعْتْ رَموزُهُمْ، أَوْ تَأْلَقَتْ

واشتدّ ألقها ما كان مداعاة لزهد الناس في هيل وهيلمان السلطة، وامتعاظهم من المعرف التي تنتج في حجرها، معارف غسل الأدمغة، وتدجين الأجساد.

ب - سلفية المركز وسلفية الأطراف:

كيف نقتصر هذا المركز ونقبض عليه بوصفه أداة لفهم والتفسير أو للتفكيك والتشريح، أو مفهوماً يرسم لنا الخريطة، ويعطينا مفاتيح قراءتها، قد يكون هذا الأصل نصاً، وقد يكون شخصية كارزماتية، وقد يكون منطقة جغرافية، وقد يكون ايديولوجياً، قوى اجتماعية معينة، وقد يكون مزاجاً وذاكرة ومخيلة، لم تغادر ما انطوت عليه من قبل، ولا معهودها، أي إنها أرادت أن تدخل الدين الجديد في حجرها، ولم تشاً أن تخرج من حجرها إلى فضاء الدين وحقول معارفه، وتقبل ما يفرضه عليها الدين، ومعارفه، من تكيف وتكييف، أو بمعنى نافذ تأهيل ورسكلة.

ومن تحصيل الحاصل، أن الانعطافة إلى التراث الفكري والثقافي وخاصة الجانب السياسي منه، الذي انحدر إلينا من تلك الفترة المازومة، أو اللحظة الحرجة والقلق، حين ضربت الفتنة أوتادها، ونصبت خيامها، لا يشير ولا يدل على معاني القرآن، ولا تمثل النبي الأعظم ﷺ لها، ليس بمعنى التطابق، وهو مستحيل في حق القطاع الكبير من المسلمين، ولكن بالمعنى الراجم والظن القوي، الذي يلامس اليقين، بقدر ما يشير ويدل على أن هذا الإرث الفكري والثقافي، هو نتيجة أو محصلة التكيف مع السلطة القاهرة، أو الغاشمة، أو الواقع في استقطابها، وليس هو السيلان السلس، والإنصباب السهل والعفوبي، لمعنى الثرة، المنبوجة، من قلب القرآن، ومن عقول الأفذاذ، ومن قمم العصمة، على بسيطة الإسلام، وصفحة سلطته، ما جعل المركز مركزاً خطأ، وزحزح نقاط نفوذه، ومحظى فعاليته، إلى الأطراف والهوامش، أو إلى الاستعدادات والقابليات، حيث المعطى البكر، والعقل المتوجب، أو حيث الاستضعفاف، والقهر المادي والمعنوي، وغياب الفكر،

والجوع الثقافي، في هذا المحيط، وفي هذا الجو، وفي هذه المناسبات والمواقعات، التي التقت على نحو ما، بربت الرموز، وانتهضت ونشطت وتحركت وأعطت، فنشأت المعرفة ونمّت وربت، فاستمالت قلوب الناس، فحصل وعي وفهم وتمييز، فنّأ صعيد المهدى وتجلى، كأفضل ما يكون التجلي، واستبان وهد الضلال، أو غسل الظلام، أو الانحراف والنكوث، فلم يعد خافياً، أو مشتبهاً وملتبساً، هنا في هذا المكان، مهبط نزول الوحي، وتهيء جميع الإمكانيات، وتتوفر جميع العناصر والعوامل، لتلقي الرسالة، على النحو الذي يجب أن تكون عليه، فهما وهضما وتمثلا، وعكساً لحقائقها، على الأرض توازنَا بين المادة والروح، وتوازنَا بين العقل والغرائز، وتسلি�طاً للروح، وللإلهام، على التسخير المادي، أو المنجز الحضاري، أنس الحضارة والمدنية، ونسغ ازدهارها، وانتاجها، واثمارها، حتى وان ضلت تلك السلطة، أو ذلك الملك، واستطاع أن يبقى قائماً يتمتع بالتحكم والضبط، والهيل والهيلمان، فإنه لم يستطع ولم يتمكن من أن يوقف أو يحد من موجات العلم والمعرفة والهدي التي كانت تغشى المجتمع وتخترق المناطق العصبية فيه، فتمده بماء الحياة والحيوية، وبمصل الجد والاجتهاد، وباللحمة والتمسك، وبالأمل والطموح، ولم يشأ أن يقلب الأمر رأساً على عقب، ويدفع إلى التغيير، بصورة الإكراه والعنّ، أو بالشكل الذي لا يراعي التدرج وتهيأ الأرض للقبول، فيوقع في الفتنة، أو الحيص بيص، بحيث يقابل بنقيض المقصود، ما نريد أن نقوله ونؤكّد عليه بإلحاح، وإصرار، أن الحلول الجذرية، أو مسألة الخروج من المخانق، وإنها المازق، وتجاوز الإشكاليات التي انغلقت على نفسها، وتأبّت على التجاوز (في إطار السلطة السياسية والثقافية، أو المعنوية)، وطبعاً في الجهة الأخرى، وما نسميه في لغة عصرنا المعاصرة، هذه الحلول المقترحة، طاوعت بسلامة في الحيز الطرفي أين كانت تطبخ ثقافة جديدة، وكان العقل ينفتح ويرتقي وينضج ويراكم المكتسبات والإنجازات، أو التجارب والخبرات، في جو من الطهر والحرية، والانضباط والإلتزام، وكانت الروح تتعلّق وتتألق، لأنها اتصلت من جديد بالمنبع والمورد،

وكانَت القيادات تتكشف شيئاً فشيئاً للناس، وتتوضح ملامحها ومميزاتها، وطفق التطلع إليها والأشرُّباب نحوها بالأعناق، وحينئذ لم يفتَ الناس يطلبونها ولو على جهة الأمل والطموح، ما جعل (السلفية) وهو اسم إشهاري ودعائي، أكثر منه إسم يتطابق مع المسمى، أو يحتوي حقائقه ويجلبها، لأن سلطة تلك الأزمنة، كانت تدعم شرعيتها ومشروعيتها لهذا الإشهار، وأدرك الناس إدراكاً لا تشوبه شائبة الريب، خواص السلطة المخيف من كل معنى يجذب إلى الإيمان، أو الإسلام، وحل خريف رموزها فتساقطت كتساقط أوراق أشجاره، وأصاب العطب شرعيتها ومشروعيتها، فتضعضع كيانها المادي، واهترأت أركانه، وبطلت فاعلية أدواتها التي استعملتها أول مرة للصعود، وهي كثيرة العصبية عمود خيمتها ..

ج- السلفية كلغة لقراءة الأصل :

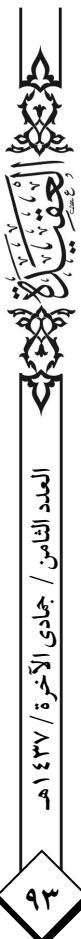
إن السلفية بوصفها نسأة مستأنفة، أو صناعة شيء يراد، أو لغرض استراتيجي، زرعت في أرضنا أو في أرض الإسلام، واختير لها المكان، واختير لها الجو الثقافي، واستجلبت لها سلطة، ودعمت لتحالف معها، وترعاها وتحميها، واختيرت لها لغة، ومنهج، ومفاهيم، ومصطلحات، بعناية كبيرة، وكأنها نتاج مراكز الأبحاث، ودوائر التخطيط، وإن كانت لغتها في بساطتها وابتدايتها تجاري لغة الكوبوي، أو لغة الهنبوغر، ليضمن لها الانتشار، بين غمار الناس ورعايهم، إن حرصهم وتشدیدهم على الأصل، أو السلف الصالح، كما يقولون، يوحى للقارئ النبيه، وللمتأمل الذكي، بأنهم أولى بال المسلمين من الأصل، وبأنهم أولى بال المسلمين من أنفسهم، وإن استبدالهم الفقه، بالأحاديث والسنة، يوهم المسلمين بأنهم يتماهون مع الأصل، أو يتبايقون معه، فضلاً عن أنهم يرمون الثروة الفقهية، في ساحة المهمل المهجور، وينبذون المعرفي أو (الإستيمولوجي) كما يقال في عصرنا، أو البحث والاستقصاء والتنقيب، والمراجعة والنقد، وهي ميزات تحمد في عالم علمنا ومعرفتنا، وهي إن دلت على شيء تدل على عبريات ومواهب وملكات، إن انطلق



منها وبني عليها، في ميادين علمية أخرى فإنها ت smear ولاشك، وقراءتهم المذكورة سلفاً، تقتل إمكانيات الذكاء والتأمل، واستعمال العقل، وتقليل النظر، وهو عين تهافتها، وسر عقدها، وإذا حاكمتها بالأصل الذي تريد أن تركبها و تستوي عليه، أو تحوله إلى عملة، وتنفقه وتصرفه، أو إلى عصا تسوق بها الناس، إلى الجنة، أو إلى النار، أو إلى تریاق يشفى المسلمين، من أن أمراض الزندقة، والهرطقة، والشرك، والنفاق، لم ينطلي على ذوي الألباب، ولن يمر على أصحاب الحجى، لأنهم وهو يقرؤونهم ويتعاطون مع مقارباتهم، يطرحون على أنفسهم، سؤالاً مهما ينشأ بأدنى التفات، وينتأت عفواً ومن دون تأمل عقل، وتدقيق نظر، أين مؤلفاتهم التي تضاهي مؤلفات الأقدمين، وأين طروحاتهم التي لا نقول تبز بل تقترب منها في العمق والإحاطة والاستدلال، وحسن التناول، ما يمكن أن نجزم به ونعده من إنجازاتهم (الفذة)، هو أنهم دفعونا للانكشاف، وسهلوا استباحثتنا من ارتهاش شخصيتنا إلى سرقة مقدراتنا ..

د- السلفية والانتقاء في التعامل مع النصوص:

وتندرج قراءتها للأصل واستعادتها له في فوضاتها في التعامل مع النصوص وحرف معانيها، ولئن أعنقتها لتتلاءم مع خلفياتها ومسبقاتها، ولتدعم منطق هيمنتها، على فهوم ومدارس ومذاهب، وقضايا اعتقادية، وتيارات كلامية وفلسفية، أو لتمحوها وتلغيها من ساحة المسلمين، الدينية والمذهبية والثقافية، الصن الأول الذي نال حيفهم، أو بعدهم وجفائهم، هو الصن القرآني، وهو على فرض كثرة تلاوته لهم، وإظهار الاحتفاء به، وامتداح من يدمّن على تلاوته وتكلّرها، فهو لا يحضر في جميع المواضيع، التي يطرقها، وفي جميع القضايا، التي يتناولها، في المعارف التي ينتجونها، وفي المسائل التي يجتهدون فيها، أو على الأقل يبدون رأياً فيها، يحضر فقط ويستدعى فحسب، في مواضيع محددة، ومسائل وقضايا منتقاة، أو تلتجئ إليها الحاجة الإيديولوجية، والهواء السلطوي، والتقوي



الشوفوني بالدين، بوصفه رأس مالٍ رمزيٍّ يسلم له المسلمون طرأً، وينصرفون غير عابئين بشيء عن معظم المواضيع والقضايا والمسائل في حياتنا، تطلب القرآن أو تجد بغيتها في الذكر الحكيم، وهم في المواضيع التي يستدعون فيها القرآن، كالعقيدة، والتربية، فلا يستنكفون أن يأتوا بالعجب العجاب، أو بما يصدم عقول اليقظة، وبراهم الشرع الساطعة، ويخالفون أعراف الصفووة وتقاليدها لعلماء الإسلام كالتجسيد والتجمسيم، والتکفير، إذاً القرآن باعتبارات معينة عندهم مهجور، أما السنة القولية والفعالية، فهي لم تنج من تلاعيبهم وعبثهم، ولم تفلت من نياتهم المبيتة، وأغراضهم المريضة، فأعملوا فيها تخريباً وفتناً، سواءً في تصحيحها وتوثيقها، سندًاً ومتناً، أو في تفسيرها وتنزيلها على الواقع، وهذا من دون مراعاة لاختلاف الشروط والظروف والحيثيات ..

هــ السلفية والتشویش على التاريخ :

إذا كانت عادة الأمم خاصة الحضارية منها، تلجمأ إلى تاريخ ثقافتها، وتاريخ أفكارها، فتعيد قراءتهم المرة بعد الأخرى، من منطلقات العصر الذي هي فيه، أو من مطالب الواقع وحاجاته، الذي هي منغمسة فيه، وتعانيه، ومن منطق المستضعف الذي يريد أن يتقوى، أو المتخلف الذي يريد أن يتقدم، أو المستعمร بأي صورة من الصور، الذي يريد أن يتحرر ويملك زمام أمره، ويدبر حياته، على التحو الذي يحقق مصالحه، ويجعله في منعة من غيره، أو في عصمة من الاختراق، والانتهاك بما يمليه عليه دينه، وتقبله ثقافته، وتحتويه، أو تکيفه، في صيغ مرضية، وفي نماذج محضية، وفي شعارات مسببة، غير إشهارية ولادعائية، الوهابية عكست هذه الصبغة ﴿صِبْغَةُ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ (١٣)، هذه الآية تحيل إلى تعريف الثقافة، في مبادئها كافة، وفي أكمل نسيجها، عند علماء الثقافة، وزيادة، ونحن في غنى عن ذكر تعاريفها عند علمائنا فهي موجودة في كتابات كثيرة، وفي كتاب المفكر مالك بن نبي (١٤)، وقد قتلها بحثاً، وكسرت هذا



وفضول القول.

و- السلفية تشنج من العصر :

إستنتاجاً مما سبق، وتحشية عليه، نقدر أن نقول تدقيقاً وانطواءاً على يقين أن هذا الجسم، أو هذا الشبح والكابوس، الذي يأتي بما لا تقره العقول ولا تقبله الشرائع، وليس الشرع فقط، ولا ما تواضعت عليه الجماعات والمجتمعات، هذيان حديث، ومحون فعل، قبح سلوك، وشئوخ أخلاق، بطلان نجاعة، وشح فاعلية وعطاء، فقر طموح، وارتخاء أمل، أو محدوديته، تكبير الصغار، وتصغير الكبار، الانحياز إلى الاقتصاد الريعي، وتحقير أو الاستخفاف بالاقتصاد المنتج، تكريس مبدأ تأييد السلطة وتقويتها، على حساب انحرافها عن الدين الحق، أو عن استغلاله بطرق ملتوية، اعطاء الظهر لمصالح المجتمع والأمة ككل، أو المقامرة بمصيرها وقدرها، يستغرب الإنسان حقاً أو يفقد عقله، ولن تبقى بقية منه فيه، وهو يطفو بهذه الوضعية ويتأمل أصولها وفصولها، أو كليتها ودقائقها، فلا يعثر على عنصر قادر للاستغلال والتوظيف، أو مستحق للتمييز والاحتفاظ، غير تشنجات مزمنة تشير إلى مرض عضال، مأقى هذه التشنجات أفكار ميتة ومعاني سحرية مفوتة وردت من ماضٍ سحيق، من بدأوة سبقت الإسلام، بكل ملفوفاتها ومخباتها، وأخرى جاءت من أطوار، ومراحل، وحقب، من داخل الحاضرة الإسلامية، وجدت لها محضناً في

شقوق المذاهب، وفي أخاديد الخلافات العقائدية، والكلامية، ومغارات في الآداب السلطانية، وفي بثور السلطة الواقعية وأورامها، وفي الصراع والتصادم، وما يخلفهما من حفائظ وإحن، وتصفية حسابات، وتقطيع أوصال جسم المملكة أو السلطة، إلى إمارات أو ما يشبهها، فلا عجب أن يكون النص فقهياً أو كلامياً أو أدبياً، بهذه الصورة الشوهاء، أو المبتورة والمعيبة، إلى حد التقرز والغثيان، لأنه - أي النص - ولid التكيف مع السلطة، أو نص الأمر الواقع ...

(٢)

السلفية في ميزان العقل والفكر تقييم نصوصي أو تشيري واقعي

المطلوب هو التعریج على السلفية في بقعة محددة، هي الجزائر، أو في بقعة أوسع، وأرحب، تحكمها تجانسات وتشابهات، من الكثرة بمكان بحيث توحد بين هذه الأقطار، التي تشغل هذه البقعة الواسعة والرحبة، والتي نسميها المغرب العربي، أو المغرب الإسلامي كما يحلو للإعلام أن يسميتها، وهي تسمية تأخذ في اعتبارها التيار الإسلامي، أو الحركة الإسلامية، بوصفه عاملاً طفح على السطح، وعنصراً يتحفز لتغيير المنطقة، بأي ثمن، أو اقتلاع أطر الإدراك والدمج، بوصفها مفاهيم ومصطلحات ومؤسسات، ومذاهب، وطرق للتبعد والتقارب إلى الله، وأدوات للتجانس الاجتماعي، والاستقرار النفسي، والانتظام السياسي، ومفاهيم ومصطلحات النفاذ إلى غور العقيدة الإسلامية، أو إلى المنظومة الكلامية، وحامل لقناعات مستقرة، ومعاني حصل حولها إجماع من لدن ذوي الشأن، أو الأئمة الذين نظروا لهذا العلم وعززوه بالأدلة العقلية، والشرعية، وأعطوا مدى لدوره ووظيفته، في تثبيت هذا الدين وترسيخه وتحصين معتقديه، من كل هوى وزيغ، الذي قد يطرأ في كل لحظة على فضاء المسلمين، نتيجة ظهور تيار فكري، إما نتيجة تغير الأوضاع

بصورة درامية، أو غزو ثقافي محتمل، أو اختراق عقائد معينة، بشكل مفاجئ، وفي غفلة من المجتمع، وهذا الذي نذكره، ليس تقديرات عقلية، أو إحتمالات فكرية متوقعة، بل هي وقائع حدثت بشكل محسوس، ومتزال تستغل بوصفها بؤراً للتوتر، في منطقة المغرب العربي، تخيف السلطة، وتقلق المجتمع المدني، أو تدفعه للانزواء والانكفاء، لهذه الأسباب، ولغيرها، اجتاحت السلفية الوهابية، هذه البلدان، وهذه الأقطار، لأنها جاءت من باب الإسلام، ومن حيضة الدين، وأنها وجدت فراغاً رهيباً في إنتاج المعارف الدينية، وتطويرها لتلائم التغيرات المستجدة، والتبدلات المتلاحقة، ووجدت ما هو تقليدي وعتيد، وما هو أساسي وأثيل، قد حد من فاعليته، وقتل أدواته في الحركة والهجوم، طول انشغاله بالدفاع، وتقوّعه في نفس الموضع، وهذا زمن طويل وثقيل جداً، مرحلة الانحطاط، وتلتتها مرحلة الاستعمار (الاستدمار)، وعليه فإن السلفية، منذ مرحلة السبعينيات، إلى الآن، انتشرت كالنار في الهشيم في بلادنا، ومن نافل القول أن نذكر أنها جاءت في ركاب الحركة الإسلامية، الحركة الإسلامية كما نعرف ويعرف المهتمون، بهذا الشأن هي رد سياسي بالدرجة الأولى، على إخفاق الدولة القطرية، في وعودها: بالتنمية، والعدالة، والحرية، وخلق الفرص المتكافئة للمواطنين على حد سواء، وتحرير فلسطين، والوهابية وإن كانت لوناً وعنصراً في هذا المشهد إلا أنها على الضد من هذا الطرح، وعلى النقيض من هذه المقاربة، غير أنها سطت على هذه الإمكانيّة، وجيرتها لصالحها، ونظرًا لما كانت تتمتع به من دعم مادي، أو ما يسمى (البيترو دولار)، وسند معنوي سلطوي، وثقافة دينية شعبوية، تكاد تكون فلكلورية، وكتابات مبسطة إلى حد الابتذال، تركز على التواوه والترهات، تستغل الأمية والجهل، وجوع الناس المؤسي، لتحصيل ثقافة دينية، تحسن مواقعهم، في عالم القرب من الله، غياب المنافس الشريف، الذي يتسلح بمعارف راسخة ورصينة، تسمى علمًاً بالمعنى الكبير والواسع للكلمة، وهي وإن كانت تحت غطاء اسم تعرف به وتسوق نفسها به، فهي تيارات ومنازع شقي، وتحتخص كل منها باسم فرعى، وهذا

لانيفي، أن الخطوط العريضة توحدها، وأن عدت سلفيات أخرى، غير السلفية
العلمية ..

أ- السلفية العلمية، أو المرجئة الحديثة:

ولها تفرعات، واليكم التعريف الذي يعرفون به أنفسهم، (السلفية العلمية أحد فصائل التيار السلفي، وهو فصيل سلمي معتدل، يحمل أطروحة دعوية علمية، وعظية بالأساس، لتعليم الناس، كل أمور الإسلام، أو باختصارهم علماء أو طلبة علم (أهل السنة والجماعة)، ويركز دعاتها جهودهم، على طلب العلم، لتحقيق عقيدة التوحيد، وإنكار الشرك أولاً مع اتباع السنة وإنكار البدع، ولمعرفة الأحكام الشرعية (الحلال، الحرام، الواجب، المستحب، المكره) بتعلم ودراسة كل ما يلزم من تفسير ومصطلح الحديث، وأصول الفقه... إلخ، وهم في ذلك متقيدون بالقرآن والسنة، بفهم السلف الصالح، أي: بعيداً عن التعصب، وعن التطرف، أو تأويل بفكر منحرف، لتصفية الدين الإسلامي مما دخل فيه، من ضلالات وتطبيقه، وهذا ما كان يطلق عليه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني التصفية والتربية، وانتشر هذا الوعي في بلدان كثيرة من الدول العربية كمصر، واليمن، وسوريا، والجزائر، والكويت، وخاصة المملكة العربية السعودية، التي عرفت تجدیداً في دعوة التوحيد الوهابية، في السعودية، انتشرت مجدداً هذه الصحة في تسعينيات القرن الماضي، واجتهدوا في تبليغ العلم الشرعي، في صفوف الشباب، وازداد انتشاره عن طريق مؤلفات أهل العلم، من كتب، ومحالس العلم، وفي المساجد، أو من أشرطة سمعية، وعبر الفضائيات، وشبكة الانترنت، أما عن موقفهم من السلطة، فإن السلفيين العلميين، يحرمون الخروج عن الحاكم ولو كان ظالماً)، وتفرعاتها أو انقساماتها ومدارسها هي:

السلفية الفقهية:

وهي التي عليها المؤسسة الرسمية التقليدية (المفتى وهيئة كبار العلماء

بـ سلفية الحركة والتنظيم والمجابهة السياسية:

السلفية الإخوانية:

فهؤلاء قالوا نحن سلفيون في العقيدة، ونسير على خطى جماعة الإخوان

وهؤلاء من يوصفون بالجامية، فهؤلاء سلفيون في العقيدة والفقه، ولكنهم غلوا في مسائل المنهج، والخلاف المنهجي، فكل من اختلف معهم بدعوة هجروه، ووصل بهم الأمر إلى أن هجر بعضهم بعضاً، وبذَّاع بعضهم بعضاً، وأقرب مثال على هذا النزاع الذي حصل بين ربيع المدخلي، وأبي الحسن، كل طرف منهم، اتهم الآخر بأنه يسب الصحابة، وأقرب مثال أيضاً، طلاب الوادعي، فقد تمزقاً، وتفرقوا..

السلفية المنهجية:

هذه السلفية تهتم بعلم الحديث، والتصحيح، والتضعيف، (كمنهج الشيخ الألباني، وعبد الله السعد وغيرهم)، وهذا أمر حسن، ولكنهم غير متخصصين في الفقه، وهذا لا يُعاب عليهم، ولكن يعاب على بعضهم إنكاره على التخصص في الفقه، أو إنكاره دراسة كتب المدارس الفقهية.

السلفية الحديثية:

والقضاء) فمنهجها دراسة الفقه على كتب المدرسة الحنبلية، ولكن (من دون تعصب)؟، وإذا اختلف المذهب والدليل الشرعي فإن الدليل هو المقدم؟، وهذا المنهج رسخه (محمد بن عبد الوهاب)؟، في كتاب التوحيد، (باب من أطاع العلماء، والأمراء، في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله)، وهذه السلفية هي التي عليها عاملاً طلبة العلم وال العامة وهي الصحيحة إن شاء الله، وأما من تعصب للمذهب، فهذا خرج عن السلفية إلى المذهبية، ولكنه يبقى سلفياً في العقيدة.

المسلمين، التي أسسها، حسن البنا، لما لها من نشاط فكري وحركي، والمنزع العقدي والهوى الفقهي في أدبيات الإخوان، على اختلاف المواقف التي تتناولها، ليس سراً ولا متنسراً عليه، فهو بارز واضح، ويمجد ويغتر به..

السلفية الجهادية:

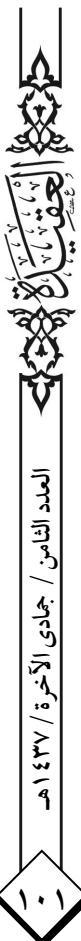
وهذه الجماعة موجودة وكانت في أفغانستان، وهذا أمر حسن، ولكن غالباً بعضهم، وخرج من الجهاد، إلى تكفير بعض المسلمين، والخروج على ولی الأمر المسلم، وخرج بعضهم إلى مسألة إنكار المنكر باليد وهو غير ذي سلطان، وهي التي خرج من تحت عباءتها العنف والإرهاب والتکفير، وكانت لها صولات وجولات في جميع أنحاء البلاد الإسلامية، وقد أضاقتنا المرى في الجزائر، طيلة عشر سنوات حمراء، وهذا هي الآن في العراق، وسوريا، ومصر، ولم تنج منها حتى أوروبا..

وعليه فإن امتداداتها في الجزائر، وجميع بلاد المغرب العربي، كتيارات، بل وحتى مدارس وشيوخ وطلبة، وأتباع، يتکاثر عدهم باستمرار، وأجزم أنهم يسيرون من مكان بعيد، ويستغلون لحساب أجناد، وهذا المنزع أو الهوى العقدي، لا نعدم أن نجد له وجوداً في مسيرة الإسلام في الجزائر، وافتعال واصطناع الخصومات والنزاعات والصراعات والصدامات، دونها المؤرخ الشيخ المهدى البواعظى، وأطلعتنا في نفس الوقت على تواجد الشيعة، وحضورها، في مناطق عديدة في الجزائر، في أزمنة متقطعة من مسيرة الإسلام في الجزائر، وكانت تدفع وتخارب، صحيح أن السلفية، في هذه الأزمنة البعيدة، لم تكن بنفس القوام، ولا نفس الهوية، وإن قلنا الجوهر هو هو، ولكنه خضع لفعل الزمان، وفعل الظروف والتغيرات التي أکسبته لوناً آخر، وأعطته فعالية مختلفة...

(٢)

السلفية ومشكلات الثقافة الاختزال والاحتلال

إذا كان الانطلاق من الصعيد العقائدي، إذا كانت الرؤية لا تحصل أو لا تكون قضية أنطولوجية، أو وجودية، حتى تحتاج إلى تموقع، وإشراف، لتملك الأبعاد الزمنية والمكانية، في طور، وفي طور آخر التموقع في نقطة أبعد من ذلك بكثير، هي السيطرة والهيمنة المتمكنة، على أبعاد ترسمها، استراتيجية الغائب والمطلق، ويدعى العقل بوصفه قوة فارقة أو مرتبة وجودية تتضمن خصائص رفيعة، ومزايا معتبرة، ومؤهلات مركبة تتيح له أن يستغل على ما فوق الحسي، والاستواء على المادي، والاستحواذ عليه وتدبيره، كما لديه اليد الطولى، على القوة الأخرى التي في الإنسان كالذاكرة والخيال، وغيرهما من القوى واستثمار منتجاتها، أو تجิئها لصالحه، واستخدامهما لحاجاته، العقل طبعاً من حركته التي لا ينفك عنها، وهويته اللصيقة به، ذلك أن ينزع نحو العقلانية، أو تكوين نظام، يلم به شعب الواقع وأطرافه، أو مزقه وبقوعه وحيزاته المتباشرة، أو المتناقضة، والمتباعدة، فيجلبها إلى ساحتها، ويضعها تحت رعايتها، من خلال نظام يشيع فيها التألف، والتجانس، يهذب وحشيتها، ويصلق جساؤتها، ويلين صلابتها، ويأتي إلى كثافة الواقع فيجعله شفافاً، والى تفلته وتملصه فيجعله طيماً، ليناً، هيناً، بعد العقل، أو عقب معرفته، بالحجم والمساحة، المستغرقتين فيه، أو المستهلكتين في طاقته وقدرته، نقاد ونرشد على مهاد هذه المعرفة، أو نحمل على أشعتها، إلى كيفية تشكل الثقافة بوصفها أنماطاً للتفكير، وأنماطاً للسلوك، وأنماطاً للتقديس، وأنماطاً للتذوق الجمالي، وهذه ليست ممكنة، ولا هي قيد التحقق، إلا في نطاق علاقات غاية في الدقة، والتركيب، والتعقيد، تأخذ الأفراد كذرات شاردة، فتصنعوا ترابطهم، وتقيم تعارفهم وتألفهم، في دوائر صغيرة، في الأسرة والقبيلة والعشيرة، وفي دوائر



أرفع، كاللغة، والمذهب، والدين، أو كالوطن، والأمة، والقومية، أين تتشكل عادات وتقالييد وبروتوكولات، تطاول الزمن وتنافس المجال في رسوخها، ومن وبهذا يكون جهداً مشتركاً، يتتوفر على كل الإمكانيات المودعة في الإنسان، أو المضمرة في قابلياته، من فكرية ونفسية، واجتماعية، أو (علائقية)، وعضلية، أين يصنع أو ينتج الحضارة، ولكن في أطر، وهل هناك أطر غير الأطر التي ذكرناها سلفاً، كالأمة أو القومية، ولكن بضميمة أخرى، أو بعامل طارئ، قد يكون متوقعاً، وقد يكون غير متوقع، كرسالة سماوية، وظهور مفكر خارق استثنائي، أو تيار فكري تنويري، ومنعرج تاريخي، يصير الشأن الثقافي، أو العامل الثقافي، عامل محوري، يخلق حقولاً حيوياً، وجواً من الأصوات، والألوان، والروائح، أو مصدرأً للمواقف، والأفعال، وردود الأفعال، ولما يصبح، وينفر، فيستنكر، ويدفع، إلى الصدود، والإشاحة بالوجه، وإلى ما يطمئن، ويريح، ويعجب، أو يستحسن فيقبل عليه بلهفة، أو يرحب فيه، فيطلب، أو يكون من الإضافات التي تكون بها الحياة حلوة سعيدة، وللعلم فإن الثقافة، أو شخصيتها، تضع حدوداً دقيقة للمقبول، والمرفوض، أو لما له قيمة، ولما ليس له قيمة، سواء بالنسبة لما يخص التفكير، أو لما يخص الروح، أو لما يخص المشاعر والإحساسات، وحتى تغدو هذه القضايا واضحة جداً، نذكر مثلاً حصل للمفكر مالك بن نبي، يقول: (شاهدت مسرحية عطيل للكاتب الكبير الإنجليزي شكسبير في أوروبا فلما وصلت المسرحية إلى محل عقتها حيث قتل عطيل ديدمونة، ويعلق حيث ادخر المؤلف لها كامل عقريته، يخلع التأثير الشديد على الإنسان الأوروبي، ويتصاعد منسوب حزنه وتفيض عيناه بالدموع، لأنه ينظر إليها نظرة جمالية، وشاهدتها في المسارح العربية، فلم يبال المشاهد العربي، ولم يرف له جفن، لأن رؤيته لها أخلاقية)، ما الذي يعنيه بالضبط أن نتكلم عن السلفية الوهابية، في إطار الثقافة، ومن خلالها أو بموجهاها، وإيحاءاتها، بل بمعاييرها وموازيتها، إن الثقافة عندما تكون في أفضل حالاتها، وأوج نشاطها، وأشد فاعليتها، أو ثقافة الحضارة، تكون محصنة، ومعتصمة، تلفظ

ما ينبع فيها، أو يمسها من كائنات غريبة، تخرّب حركتها، أو تعطل سيرها، أو تخرّب اتساقها وتناغمها، وتتصد كل ما يأتيها من خارجها، إلا إذا كان قابلاً للتهذيب والتبيئة، وعندما تعجز وتخمل وتنكمش، وتفقد التجديدات المستمرة، والمواكبة المقتدرة، أو تكون ثقافة الانحطاط، قد غادرتها المناعة، وارتخي دفاعها حينئذ، وحينئذ فقط تستباح بالغزو الخارجي، والفكري والثقافي، وتتسامح مكرهة مضطرة، أو تتخل، لأنها فقدت جميع الخيارات، للتغيرات الهماسية، أو تيارات المفازات والأحراس، أو فرق الصعلكة، أن تحتل الساحة الثقافية، وتغرس فيها أوتادها، وتقيم عليها خيامها، وهذا في حال تسرب الاستقالة، لكيانات الأفراد والمجتمعات، أو ما يسميه المفكر الجزائري مالك بن نبي (القابلية للاستعمار)، ويسميه الآخرون (التفاوت التاريخي)، أو (الانحطاط)، إن المأزق أو الإشكالية، بالنسبة لهذا التيار السلفي، الذي طفح على السطح، في عدة محطات من تاريخنا، وأذاق المسلمين وبال شرو، وترك ندوب وبثورا في جسم الدين، أو أوهن عقائد الأغرار والضعاف، أو الهمل، حين حال بينهم وبين المذاهب، والمدارس الفقهية، أو أوهن ثقتهم بها، وفرمل أو كبح فواعل الثقافة، وأزال حدودها، فأشعل بهم فوضة وهرجاً ومرجاً، هي في الحقيقة، انتفاشه أو انتفاخه مفتر، أو زبد نهر وبحر، أو تشنجات جسم زايلته السلامة والصحة، وإذا عدنا مرة أخرى إلى تعريف الثقافة، وأضفنا إليها ما هو من مكملاتها، أو من أجزائها التي تكون من دونها ناقصة ومبورة، وهو المتخيل، والرمز، والثقافة الشفهية، وهي ربما في نظرنا الخاصة الضعيفة للثقافة، أو جوانبها الرخوة والهشة، التي تكون مدخلاً للاختراق، أو لتنفس الفوضى، أو ثوران براكين الحمم، بالمعنى الإنساني، والمجتمعي، وغداً هذا ممكناً، أو سهلاً ومتيسراً، لما كفت الثقافة الكتابية، عن التحكم والضبط، أو عن التجديدات، والإبداعات، ودرست أنماط التفكير، وأنماط السلوك، وأنماط التقديس، أو أصبحت أطلالاً، وغابت المؤسسات، بمختلف أصنافها، وغاب التنسيق بينها، حيث أصبحت كل مؤسسة، تدور في فلكها الخاص، أو في خط

مصالحها الضيقة، وانعزلت عن غذاء الدين، ومدد الثقافة، يقع العلاج ويتأكد، فقط بتنشيط فواعل الثقافة ككل، وتجنيد كل مفراداتها، هنا يمكن محاصرة توحشها، وأصواتها النكرة، وفيضان سيلانها المدمر، وحتى ربما خنقها، هذا إذا عززنا كل ذلك بالقدس ...

(٤)

السلفية والمجتمع الانفصال والحرث في الماء

طغى كلامنا على الثقافة، وسطعت مهمتنا في المقاربة على إيلاء مكونات تشكيلات الثقافة، وما يمكن أن تنھض به من جهد، وهو على الحقيقة جهدٌ لا يمكن أن يستعارض عنه، أو نعثر له على بديل، أو نقيم له نائب، وهي أي: الثقافة، تتأي بنفسها عن الاعتباطية والارتجالية، وتحرم أو تمنع بعفوية وتلقائية، التغيرات والسرعة، أو المتلاحقة والمترتبة، التي يلجأ إليها ويتبعها المغامرون، والطائشون، أو المغرورون، والذين يرون في أنفسهم شيئاً، لذا نرى سلوك الثقافة، أو ردودها المفحمة، وإعراضها عن مشاريع، وأفكار، وطروحات، وآراء، ومقترنات تعرض نفسها، لختار في هذا السلوك، ولا نجد له تفسيراً، ويستشيط غضباً، من تصدوا للإصلاح والترميم، أو للتغيير والتبديل، أو للإنقاذ والانتثال، أو للتنوير والتبيشير بالنهضة، أو من شمروا وتجمّهروا حول هؤلاء، ومحضوهم التأييد المادي، والمعنوي، نقول إن الثقافة، لو تجاوיבت مع كل ناعق، وتفاعلـت مع كل زعم، لانسحب بساط الاستقرار من أصله، ولأنفصمت وانفرطـت العلاقات، ما بين مكونات المجتمع، أولاً، وما بين المجتمع والنخبة، ثانياً، وما بينه أيضاً، وبين السلطة، وهي كثيرة في المجتمع، وتقضي بعضها إلى بعض، أو تتبادل التأثير والتأثير، أو الدعم والتساند، يحصل لدينا، أو نورد الفهم القويم، أو المسدد، لو سايرت الثقافة التغيير في كل

حين، والاستجابة للآراء والمقترنات، في كل آن، لتزعمت اسسه، والآخر نظمها، وتحلل تماسكها، وهذا ضد طبائع الأشياء، إن زمنية الثقافة طويلة، وطويلة جداً، أو تستغرق أحقاباً من الزمن، حتى تكتمل، وتؤتي أكلها، وكذلك بالنسبة لإصلاحها، وإدخال التجديفات، والإبداعات، إلى حقلها، فإنها لا تقبلها إلا بتكييفات، وتعديلات، ومواءمات، ومناسبات، وشروط، والحال أن هذا لا يتحقق إلا بشق الأنفس، وفي زمن ليس في مكنتنا تقديره، لأن التاريخ، يأتي بأشياء لم تكن بالحسبان، ويصدمنا بمفاجآت لم نكن قد أعددنا لها العدة.

المجتمع في الحقيقة، أو في الجوهر، هو نتاج وانعكاس للثقافة، أو هو الثقافة وقد صارت نظاماً، في تركيب علائقى، وفي توزع نشاطي، أو تقسيم عملى، إن المجتمع بوصفه وحدة متكاملة، اعتبارية، حضر في نقطة معينة من الزمان والمكان، كولادة، أو كاستئناف، ومعاودة لصناعة التاريخ، والمشاركة في الحضارة، أو المسك برسالته، وقد اقدر على ذلك أو ملك مقومات هذه الرسالة، ونفذ إلى روحها على نحو التشبع، أو الامتلاء، فكان همه وشغلة، ودينه، الذي يعيش عليه، ويحيا من أجله، ومن خلاله (أي الرسالة)، يعي وجوده، فاندفع كالسهم ينشرها في الآفاق، ولا يألو جهداً في التمكين لها، والحال أن اقتران الحضارة بالرسالة أمرٌ بدبيهي، وكما نعرف من حوادث التاريخ، ومن سنن الاجتماع البشري، ومن إدراك العقل الاعتباري، الذي يجمع بين هذا وذاك، أن هذا الطريق ليس مهدأً، بل فيه كثير من الحاجز، وليس شاغراً، أو خالياً، بل مزدحماً، وليس سهلاً ميسراً، بل صعباً مستصعباً، هنا في هذه النقطة، وهذه المحطة الحساسة، والحساسة جداً، أو بتعبير آخر في هذه الإشكالية المنغلقة، التي لا تقبل الحل، ولا تلين له، إلا أنها تقبل التجاوز، لأنها عبارة عن كم هائل من المشاكل تشدها خيوط، بعضها إلى بعض، كل مشكلة في هذا الكم، لا تقبل الحل منفردة، قد يقع في روع من يتبع كلماتنا المتواضعة هذه، أو يقرأ مقالنا، إننا نطوف بالمشكلة، ونلف حولها، من دون أن نذهب إليها رأساً،



وعلى الفور، أو نمد إليها أيدينا، أين هي؟ وهي في وكرها، وحصتها، من دون مواربة، ولا ذهاب يمنة ويسرة، وصعود وهبوط – (المأذق أو الإحراج الوهابي)، وقد بلغ منه السيل الربي، وطفح الكيل: إطاحة بالمؤسسات السياسية، ومحابتها متعاظمة للمؤسسات العسكرية، وتهجين دورها، أو تشويش لوظيفتها، وتشويه لسمعتها، وأما ما نالته منها، المؤسسات الدينية – رجال مذاهبتها، ورموزها، فقد تجاوز حدود المعقول، وعلى المجتمع، أو المجتمعات العربية والإسلامية، كانت وطأتها أشد، وتتأثيرها أفعى، تمزق وتشرذم وعدوات وإن، ومعاناة وماسي – في الحقيقة أن طبيعة الكتابة، وخصوصية الموضوع، وطريقة التناول لإشكالية بهذا الحجم، وبهذا التركيب والتعقيد، وببعدها التاريخي، وبتشابكاته التي لا حصر لها، كالأصول الاجتماعية لكل فرق، وما يحمل عليه التنافس، على الرأسماль الرمزي والمعنوي، والذي هو من مكونات كل مجتمع، أو من حاجاته، التي لو لاتها لما ارتفع من طور أدنى، إلى طور أعلى، أو من مستوى، إلى مستوى أغنى وأرق منه، والذي قد ينشب منه صراعٌ، غير ذي وجاهة، أو وجهة، نتيجة خلل ما، لم يتتبه له، أو يكترث به، كالأطر الاجتماعية للمعرفة، التي ينتمي إليها الفرد، أو الفتاة، أو الشريحة الاجتماعيةتين، ويأخذ منها نصيبه، من المعرفة، وإدراكه العقلي، أو تكوينه وتربيته، في كامل أبعادها النفسية، والروحية، والعقلية، أو يشكل من خلاها شخصيته، كالقدوة، والمذهب الفقهي، والمنهج العقدي، والأدب والفن، أو غذاء الوجود والمشاعر، قد يتتسائل متسائل؟، ولا غضاضة في تساؤله، ومشاحة في اعتراضه؟، ولا في تنكره لعدم الفهم، أو عدم اكتماله، أو أنه قضية قلقة لا يحسن السكوت عليها، أو أن الوعي يرفضها بتاتاً، ويرى بديلاً لها، أو ضدأً ونقضاً، هو أن العناصر التي يتكون منها الإطار المعرفي، هي الرسول ﷺ بوصفه قدوة، والقرآن كتاباً، ومدرسة، ومذهبأً معاً، وهو ما تدعيه السلفية، أو السلفية الوهابية، وتنام عليه، أو تزعم امتلاكه بمفردها، ولا يشاركتها فيه أحد، على وجه الجزم

والقطع، محل (الدوجمائية)، أو اليقين العاري من لوازم العقل والشرع، أو العنف النكد، الذي اضطر المجتمع إلى الانفراط، كانفراط السبحة، وقد تقطع سلوكها فأصبحت كل حبة في كف لاقط، لا؟، هذا تفكيرٌ موهوم، أو تصورٌ مكلوم، وإدراكٌ مخروم!! الاختلاف ينشأ أو يبرز وينتَ، وإن كانت المنطلقات واحدة، والمؤثر من قبل واحد، والمعطيات والمباني التي وضعت تحت اليد، أو في متناول العقل والفكر، تكاد تكون في أكثر الأحيان، وعند غالب الفئات، متجانسة، يكون الاختلاف ولا بد، إلا أنه يجب أن يكون موضوعياً، تملية اختلاف الموضوعات، والميادين، المشغل عليها، ويمليه أيضاً، تفسير اللغة وتأويلها، واللغة كما هو معلوم (بؤرة للدلائل)، وتمليه أيضاً الأدوات المشغل بها، كقواعد الاجتهاد، ومجسات النظر، وتجدد الأقضية وال حاجات، أو التوازن والحوادث، وطرق قراءة الأحاديث والسنن، والموازين التي توضع لصحتها، أو قبولها، أو استحسانها، وكيفية استثمارها، وعليه فإننا بصدّ تسلیط الرؤیة، على قضية القضايا، في عصرنا وفي واقعنا، نلجم إلى قطاع من الواقع، أو إلى حقل من حقوله، وبصفه رائداً وبقعة إمكان واختبار، لأننا من صلبه ومن فضائه، ومن مفرداته وجزئياته، أو من كائناته وشخوصه، التي عرکته وعرکها، أو عالجته فتمنع، أو محضته فتدلع، أو ساومته فترفع، أو أرادت أن تشرحه وتفکكه، فارتقطت به فطحنا وسحقها، هو الواقع الجزائري، لم يكن كما هو الآن، أو كان بالضد وعلى العكس من وجه هذا الواقع الجديد، وقد غزي واستبيح، أو اخترق وانتهك، على بكرة أبيه، كان الواقع الجزائري أيام الاستعمار (الاستدمار)، وفي سنوات الاستقلال الأولى، تلبسه الوحدة، ويسري فيه التناسق والتناغم، ويصدر في كل ما يهمه ويريده، أو في كل ما يحز به، و يؤلمه، عن عقل واحد، ورأي واحد، ومشاعر واحدة، لأن المرجعية واحدة، وكان المجتمع الجزائري، وربما هذه القضية لستم أنتم إخواننا المشرقيين، على إطلاع عليها، أو إطلاع ليس بالكافية الالزمة، لتمكن الرؤية من الإدراك، أنه رغم مذهبة المالكي السنّي،

والأشعرى العقدي، كان يفني في حب آل البيت عليهم السلام، أو يستغرقه ويغمره حبهم، وكان من جهة الوجدان والمشاعر يعدهم المراجع الحقيقين، ولهذا قصص، وأمثال، وشعر باللهجات الجزائرية، وكاتب هذا المقال عاش هذه الفترة، يشهد أن الأسماء الأكثر ذكرًا، ودوراناً على الألسنة، وإشادة وتمجيداً، هم أهل الكسae، وحتى الأكثر تسمية لأولادهم، وحتى معظم علماء المالكية كانوا يرون بل يقتنعون بأن التشيع مذهب من المذاهب الإسلامية، وحتى لا يقع التباس، نذكر بأن بعض فقهاء وعلماء المالكية، غير ذلك تماماً، كابن العربي الإشبيلي (الفقيه المالكي)، وحتى ابن حزم الظاهري، وابن خلدون المالكي، وحديثاً البشير الإبراهيمي نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ولم ينج من ذلك أخلاقهم وأتباعهم

(٥)

السلفية وعقدة التاريخ صناعة العدو، والانتقام منه

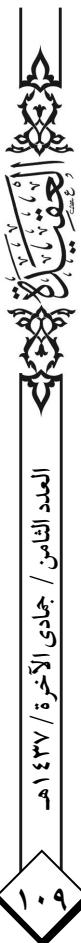
(١) منظور التاريخ :

من تحصيل الحاصل الى أن ننبه إلى أن سحب بساط التاريخية، من تحت الأشياء، سواء كانت هذه الأشياء مدنية، أو حضارة، أو ثقافة، أو علوم، فيما كانت هذه العلوم، علوم اجتماعية إنسانية، أو علوم صحيحة، متعلقة بالمادة الصلبة، أو بالأحياء، هذا إن لم نقل أن الكون علوية وسفليه، له تاريخ، وفي رواق التاريخ وتحت ردائها، أو في جوفه وكيفية اشتغاله، أو بين يديه، وفي حالة تصرفه وتدبيره، أو صناعته لأشياء، ودَعَهُ لأخرى، إما لأن قابليتها غير متوفرة، أو لأنها تأخرت عن اليوم الموعود، أو لأنها حادت عن الفرصة التي وفرها لها، أو لم تواتها الظروف والحيثيات، طبعاً نحن نتكلم في إطار الخلق المباشر لله، وفي نطاق العناية والرعاية، الإلهيتين..

٢) أفكار وحركات تزلق على سطح التاريخ:

السلفية الوهابية، بوصفها فكرة، وحركة، أو إمكاناً يريد أن يخرج من القوة إلى الفعل، أو ينثني وينفتح على الفعل والعطاء، أو على التداول والأخذ والرد، ومن ثم التمدد والانسياح، أو التمكّن والاستقواء، لم يشأ أن ينصت إلى التاريخ، ويتلقي دروسه وعبره، فضلاً عن أن يؤمن بأن للتاريخ منطقاً، وسنتاً، لاتحابي أحداً، من خرج عليها أو لم يحترمها، رماها على ضفافه، وهوامشه، أو نفضها من على ظهره، أو من على سطح ظهره، كما ينفض الزبد وخشاش الأرض، من على سطح النهر أو البحر، ويرمى في الضفاف والهوامش، وهؤلاء رفضوا منطقه ومعقوليته، ولم يروا له تأثيراً بتاتاً، وأصرروا على أن الزمنية، هي هي، وعلى أن الظروف، باقية على حالها، أو لم تحل ولم تزل، وبقيت كما كانت منذ آماد، وفاتهم أو خانتهم قناعاتهم، وعاداتهم في التفكير.

إنّ أنماط التفكير، وقوالبه، وأنماط السلوك، وبرتوكولاته، تخضع للتغيير، وتنصاع للتعديل، إنّ قليلاً أو كثيراً، مع مرور الزمن، وتواتر الإنجاز، وتضخم التراكم، صعدوا إلينا من القدامة، أو من بدايتها بجميع ملابساتها، أو بنفسها ومزاجها، حتى يسقط متعاهما، حتى أنها وهي تقدم بكل إرادتها، وبمنتها، قدرتها وإصرارها، على التحويل التاريخي، أو رغم أنف التاريخ، لحياتنا، ولعايشنا، وحتى لمصادر تفكيرنا وثقافتنا، أو لأسس الفهم والوعي، ولنطلبات الذائقة الجمالية والفنية، تستنجد باللغة الشفاهية، أو الطبيعية، التي لم ترتفع إلى التجريد، ولم تطأها يد الصنعة، أو لم تخضع بما فيه كفاية، للتهذيب والصلقل، لتقدر على حمل معاني العقل الرفيعة، أو لتشكل في تشكيلات متنوعة ، من مادة المفاهيم والمصطلحات، والمفردات الخاصة، لتلائم كل علم على حدة، ولتنقل بكل أمانة، أو بكل دقة، معاني العلوم على كثرتها وتبنيتها، أو على تمفصلها وتفرعها.



٣) الوهابية تقف في العراء وتطارد الشاردة:

أما وقد ودعت كل ما يمت للعقل وعلومه بصلة، توديعاً غير مأسوف عليه، وانصرفت متوجلة أو مسرعة، عن كثير من معاني الروح، وعن زبدة معاني الرسالة والكتاب، وحسبتها فضلة، أو على الأقل نافلة، فما لها ولللغة المخصوصة، أو اللغة باعتبار الأوصاف التي جهدنا في اقتناصها، وتعلمنا، بما يتسع له تفكيرنا في أن تكون دالة أحياناً، وإجرائية أحياناً أخرى، وأنها لا تقوى على حمل تراث، بمثل هذه القامة، وبمثل هذا الزخم، وهذا الاتساع، وهذا الغنى، ولا يمكن أن يتسع له صدرها أو يصافيه قلبها، وهو على هذا التجهم، وهذا الاكفهار، والشئم، من كرم هذا التراث، الذي يقبل المخالف، كما يقبل الصنو والشبيه، ولا يتبرم بتعدد الألوان، والأحجام، وفي الوقت نفسه انبرت للعصر وقضاياها، أو للحداثة والتكنولوجيا، أو لما يمكن أن يعكساه من فكر وثقافة، وفي إرادتها ونيتها أن تدرجنه، وإنما تنهره وتصده، ولا ترضى إلا بتواريه واحتفائه، أو بتلاشيه وأضمحلاته، وهذا حتى يخلو المكان، ويستقيل الواقع، ويفقد كل مقاومة، ويخفق في الدفع عنه، يمكن في هذه الحالة، أو هذه الوضعية، أن نمثل بهذا المثال العربي ونحن مرتاحون (حديث خرافة يا أم عمر)، وفعلاً تخيلت أو توهمت من خلال العالم الأسطوري، الذي اسطنته، أو بالشيولوجيات، التي اصطحبتها معها، منذ البدء، أو من محطة الإقلاع، أن الواقع تحت معالجتها، أو طبع في يديها، وهي على وشك أن تسويه، أو تجعله محلاً للرغبة والطلب، أو لللتوء والهفوء، والواقع يسايرها، ويمشي في ركبها، ويستقيم بمعاييرها، لأنها جاءته بلغة الأم، أو اللغة الشفاهية .

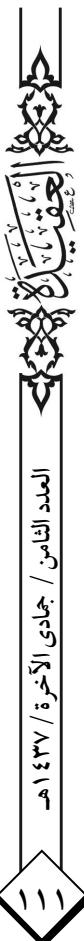
٤) الوهابية لدد الخصومة وإرادة الانتقام :

حملها حقدها المتعاظم، على التاريخ ومكره، وعلى الماضي وكدماته، وعلى عامة الناس، وقد أوجسوا منها خيفة، وعلى النخب، أو (مجاميع العلماء)، وقد استخفوا بها، وسخروا من جهلها، أو من بضاعتها المعرفية، المتواضعة جداً، أو من وهن



أدلتها، وهشاشة طرحها، وجح انتسابها، وعور ولائها، أو مرضه المزمن، الذي لم تصل به، لا واجب المحبة، ولا ما أمر الله به أن يوصل، على جهة الاعتقاد الديني، ولا على جهة الإتباع الشرعي، وكان الأخرى بهذا أن يتسبّب في مراجعتها لإرثها، ونقدّها له، وإعطاء لنفسها مهلة، تقف فيها وقفة تأمل، ولم لا؟، قراءة لتراثات الفرق الأخرى، من دون خلفيات ولا مسبقات، وبهدي العقل المستقل الذي يقف في نقطة تبعد بمسافة واحدة، من جميع الفرق، بل من جميع الأديان والإيديولوجيات والثقافات، ألم يحتفظ القرآن، أيما احتفاء، بالعقل، وبالتفكير، ويدعو إلى تسليط العقل وفتح دينامية تفكيره، على كل شيء، من أبسط شيء، إلى أكبره وأضخمها، ألم يؤلف أديب وكاتب عربي حديث (محمود عباس العقاد)، كتاباً سماه: (التفكير فريضة إسلامية)، ألم يقل المفكر العربي الحديث، من أصل مغربي، (محمد عابد الجابري)، وهو يتأنّى فشل المدرسة الإصلاحية، وهي تطلب النهضة، وفشل القومية، وهي تطلب التنمية، والعدالة، والمساواة، وتكافؤ الفرص، وتحرير فلسطين، وأخيراً فشل الدولة القطرية المطبق، بأن قبل هذا كان الأفضل أن يبدأ بنقد العقل العربي، ولكنها أي السلفية الوهابية، لم تستشر العقل، ولم تعرج على المقارنة، ولم تستجب لنداء الضمير، ضمير الشرع، قبل ضمير الشخص، أو الكائن، فتملّكتها الغضب، وأخذ بعنقها العناد، فازدادت بعداً وملاحة، ولم تبالِ بأن هذا قد يوردّها موارد الهالك، كالكيد للمسلمين، والتربص بهم، قصد الإيقاع بهم، ومد اليد إلى العدو للاستعانة به، ولربما وقعوا في النصب، وهو الداهية العظمى.

كل هذه الاعتبارات والحيثيات، جرّتهم إلى قابلية الاستخدام والتوظيف، إن على المستوى الداخلي، وقد تمّ هذا مرات عدّة في التاريخ، من طرف السلطة، أو من طرف الموالين لها، أو القوة المناوئة، التي تريد أن تنقض على السلطة أو تحوزها، ويكون هذا دائماً، على حساب شرعية المشروع، أو على حساب سوية الأفكار، ومدى ارتباطها بالرسالة، واتصالها بروحها، وصدقية تمثيليتها لمقتضياتها، وإن على



المستوى الخارجي، أو القوة الخارجية، المناوئة والمتربصة بعالمنا الإسلامي، أو كفكرة، وثقافة، ورسالة مقدسة، يقع في ذاكرتها، ويسكن مخيلتها، منذ الحروب الصليبية، وبالرغم مما لمسته منه، أو نالها من الاحتكاك به، وحتى الصدام، من تسامح وأريحية ونصفة، رغم الشنان، ومدنية زاهرة، تجد فيها الإنسانية نفسها، وتساعدها على التخلص من وحشيتها، أو مما يسبب الأتعاب لها ولغيرها، تصلح لأن تؤخذ وتسوّع، أو على الأقل يقتبس منها، أكيد أن القوى الأوروبية، لاحظت هذا وتفقدته، وأخذت منه أو اقتبست ما يجاري هواها، ويناسب مصالحها، ولكنها لم تنشأ، أو حتى تبرمت، بروح هذه المدنية، وخلاصتها، أو النتائج التي تفضي إليها، والجني الذي تقود إليه، وتعتمدت إخفاوئه، أو تشويهه، وبقيت على مرضها، أو انطوت على حسد، تعاظم وتفاقم، وعاودت الكرة مرة أخرى - بعد الكابوس العثماني وما خلفه وتركه، من انهيارات وتحلل - أيام استعمارها أو احتلالها، للأوطان العربية والإسلامية، عنوة وبحد السلاح، واستعملت كل الوسائل، ووظفت كل الأدوات، لمسخ هذه الشخصية، أو تعديلها، في أثناء تواجده في العالم الإسلامي، فلم يحالله النجاح، للوصول إلى هذه النواة الصلبة، في كينونة هذا العالم، فدبر أمره بليل، واستنجد بخبرة التاريخ، وأنشأ لذلك علوماً، ومراكز بحث، كالاستشراق، والأنتروبولوجيا، وعلم الاجتماع، وعلم النفس التاريخي، وغيرها من العلوم، وجاء إلى الاستعمار الجديد، والمهيمنة الاقتصادية، والإعلامية، ونمط الاستهلاك، بعد استقلال بلدان العالم الإسلامي، ما مكنته على وضع يده على بئر التوتر، وعلى جروح التاريخ، وعلى خطوط الهشاشة، أو الخواص الرخوة، التي ظل يشكوا منها العالم الإسلامي، لأزمان طويلة، ولم يتوقف عن رفع عقيرته، بشدة أنها وتباريخه، فذهب مباشرة، أو انحط من على السلفية الوهابية، وهيأ لها أوطاناً ومالك، وسخر لها ما سخر من إمكانيات مهولة، إن لم تكن من صنائعه، وما نعاينه ونشاهده الآن، يشهد على ذلك ...

* هوامش البحث *

- (١) الآية ٥٩ من سورة النساء.

(٢) الآية ٥٦ من سورة النساء.

(٣) الآية ١٢٨ من سورة التوبة.

(٤) الآية ٦٥ من سورة النساء.

(٥) الآية ٦٦ من سورة النساء.

(٦) الحديث أخرجه مسلم، حديث (٤٤)، وأخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب حب الرسول صلى الله عليه [وآله] وسلم من الإيمان حديث (١٥)، وأخرجه النسائي في كتاب الإيمان باب علامه الإيمان حديث (٥٠٢٩)، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة باب في الإيمان حديث (٦٧).

(٧) نهج البلاغة - الخطبة ٥٠.

(٨) نهج البلاغة - الحكمة ١.

(٩) رواه البخاري (٨٥) - واللفظ له - ومسلم بمعناه (١٥٧).

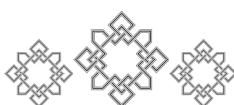
(١٠) الآية ٥٥ من سورة الأنفال.

(١١) الآيات ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ من سورة التوبة.

(١٢) الآية ٣٨ من سورة محمد.

(١٣) الآية ١٣٨ من سورة البقرة.

(١٤) مشكلة الشفاعة.



حقيقة التجربة الدينية

الدكتور الشيخ عبد الحسين خسرو بناء

ترجمة: محمد حسين الواسطي

تمهيد:

لما كانت حقيقة الدين هي تلك الحقيقة المبنية للمال الأخرى والملكون لعقيدة الإنسان وأفعاله الدنيوية، وطالما أن إثبات هذا يحصل في الأعم الأغلب من خلال النصوص الدينية، وما دام الوحي الإلهي هو أهم تلك النصوص، فإن السؤال عن العلاقة بين الدين والتجربة الدينية إنما هو سؤال يعود إلى الصلة بين الوحي والتجربة الدينية.

ومن أهم المسائل المطروحة في موضوع التجربة الدينية البحث عن واقع الصلة بينها وبين الدين؛ فهل حقيقة الدين هي ما يسمى بالتجربة الدينية؟ وهل الوحي الإلهي تجربة دينية؟ وهل التجربة العرفانية هي تجربة دينية أيضاً؟ تتطلب منا الإجابة على هذه التساؤلات فتح ملف يدرس كلاً من «التجربة الدينية»، و«التجربة العرفانية»، و«الوحي».

أما الوحي فتعرف ماهيته وحقيقة من الكتاب والسنة، وأما التجربة العرفانية فالطريق إليها يمر عبر العرفاء وأهل الشهود، وأما التجربة الدينية فنقف على تفاصيلها حسب ما أفاده المفكرون والمنظرون.

وسوف نسعى في هذه البحوث إلى إثبات التغاير بين حقيقة الدين والتجربة الدينية. أما التغاير بين الوحي والتجربة الدينية فأمره موكول إلى بحوث باب النبوة.

ماهية التجربة الدينية وأنواعها:

المنهج المتبع في مسألة تطابق الدين أو عدم تطابقه مع التجربة الدينية هو منهج ظاهريٍّ؛ بمعنى أننا سوف ندرس - بادئ ذي بدء - الظواهر المتنمية لكل من الدين والتجربة الدينية؛ لنتعرّف عَى معانيها، ثُمّ نقف من خلال ذلك على تغايرها أو اتحادها.

وسوف تنتهي هذه الدراسة - من خلال مطالعتها لظواهر التجربة الدينية كما صورها شلايرماخر، وألسون، وبراودفوت، والأنواع التي فصلها سوينبرن، ومن خلال معطيات البحث عن حقيقة الدين - إلى الحكم بتغيير الدين والتجربة الدينية.

ماهية التجربة الدينية:

تقدّم أنّ الوقوف على معنى التجربة الدينية يتّأّى من خلال استعراض رؤى المفكّرين والمنظّرين في هذا الصدد؛ إذ سننتهي من ذلك إلى تعريف دقيق عن هذه الظاهرة، مما يسمح لنا بعدئذٍ بعقد مقارنة بينها وبين الوحي.

التجربة الدينية عند شلايرماخر:

يُعدّ شلايرماخر أول من تناول مصطلح «الشعور الديني»، ثم كتب بعده ولIAM جيمس (1910م) كتاباً عنوانه «تنوع التجارب الدينية». وقد ذكر شلايرماخر السبب الذي دعاه إلى خوض غمار هذا البحث في ضمن مقدمة كتابه المسمى «بـ«ال حول الدين»⁽¹⁾؛ حيث قال إنّ بعض أصدقائه الذين حضروا حفل عيد ميلاده ذات يوم عاتبوه بالقول: إن الإلحاد واللادينية قد بلغا حدّ النزوة في القرن التاسع

العاشر، وقد تمايل أغلب الناس والعلماء نحو النزعة الإلحادية؛ فلم لا تحرّك ساكناً وأنت متكلّم لا هوتي لتذبّ عن حياض الدين؟ لم لا تعلن أنّ من حقّ الدين أن يبقى حيّاً؟ لماذا لا ثبّين دوره وفاعليّته؟ وهذا هو دفع بلاشير ماخر ليكتب كتاباً موجزاً خصّصه للحديث عن الدين، فأوضح فيه ما يجب معرفته من معنى الدين.

وقد تطرق شلاير ماخر في هذا الكتاب إلى مجموعة من الفرضيات، وناقشهما، ليخلص في النهاية إلى رؤيته في هذا المقام. وقد بدأ في استعراض برهانه من خلال الفرضيات الآتية:

١. هل الدين هو الميتافيزيقا^(٢)؟ الجواب: الدين مختلف عن الميتافيزيقا.

٢. هل الدين هو الأخلاق؟ يقول: هاتان حقيقتان منفصلتان؛ خلافاً لما يزعمه باركلي؛ حيث اصططع تلفيقية معينة جمع فيها الأخلاق والدين.

٣. هل الدين هو العرفان أو التصوّف؟ يرفض شلاير ماخر هذا الفرض أيضاً.

ويخلص شلاير ماخر في نهاية المطاف إلى أنّ الدين تجربة دينية، ويُعرف التجربة الدينية بأنّها الشعور بالاعتماد على موجود مطلق، وحقيقة مطلقة^(٣). ويرى أنّ هذا الشعور بالاعتماد على الموجود المطلق هو شعور بالاعتماد الكامل الشامل على جهة أو قوّة تمتاز عن العالم.

وعلى هذا الأساس، يرى أن التجربة الدينية هي من جنس الإحساس والشعور؛ لا من سُنخ العلم أو المعرفة. ويضيف إلى ما تقدّم: وفقاً لهذا التعريف، ليس الدين من جنس العلم، وهو لا ينتمي إلى الأمور المعرفية. ومن ثمّ: فإنّ لغة الدين ليست لغة معرفية، والدين لا يتّصف بأيّ صبغة علمية أو معرفية، بل إنه يمنّحنا شعوراً روحانياً عبر عنه بعض علماء النفس بأنه شعور يخرج المرء من وحدته، ويرمي به في أحضان أجواء روحانية معينة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وقد وافق رودولف أوتو على تعريف شلايرماخر بحذافيره، ساعياً إلى إسقاط تفاصيله على الأديان السماوية والإبراهيمية.

لقد ذهب شلايرماخر في نظريته التي تزعم الانسجام والتناغم بين الدين والتجربة الدينية إلى أن كل إنسان متدين؛ حتى إنسان القرن التاسع عشر، وأنهم جميعاً يمتلكون تلك التجربة الدينية، وليس هناك من البشر من لا يشعر في قرارة نفسه بالاعتماد على الموجود المطلق الذي وصفه بأنه ما وراء هذا العالم. ولم يستثن شلايرماخر الفنانين الذين اشتهروا في ذلك العصر بأنهم أكثر الناس بعدها عن الدين؛ حيث عدّهم من أشد الناس تديناً؛ لأنهم حسب وصفه يمتلكون هذا الشعور بالاعتماد على الموجود المطلق أكثر من غيرهم. وكما يعبر ستيس في كتابه «التصوف والفلسفة» فإن هذه الحالة مشهودة حتى عند المدمنين على المخدرات.

وفي الختام، رد شلايرماخر على أصدقائه بـ«لا يتحسّرون على الدين، أو يهابوا لادينية القرن التاسع عشر»^(٤).

وبناءً على ما تقدّم، فإن التجربة الدينية تنتهي إلى أحاسيس الإنسان ومشاعره، ولا يخفى أن الشعور ينطوي على مراتب ودرجات، فلا يبعد أن يُدعى القائلون بالتجربة الدينية أن المرتبة العليا من هذا الشعور هي المرتبة المسماة بـ«اللوحي»، وهو ما أرسله الله سبحانه وتعالى وتقاه الإنسان منه.

التجربة الدينية عند ستون:

يرى ستون أن التجربة الدينية أمر علمي؛ وليس من سخ الشعور والأحساس. وإذا انتهينا إلى أن التجربة الدينية تنتهي إلى جنس الأحساس فمن اللازم عندئذٍ أن يكون الشخص صاحب الإحساس موجوداً. أمّا متعلق هذا الشعور فلن يكون أمراً وارداً في البحث؛ لفطر غموضه، فالفرد المدمن على المخدرات مثلاً لديه شعور وإحساس معين، لكن متعلق هذا الإحساس أمر

مجهول، فلعله يحس بالوحدة، وبجاجته إلى من يمد يد العون له، لكن من هو هذا الشخص المعين الذي يحتاجه؟ وما هي صفاتة؟ ذلك أمر غير معلوم، وليس الصورة واضحة حاله، ولهذا لا يدخل متعلق الإحساس في خضم البحث. وعليه، فإن الشعور يتكون من ثلاثة عناصر؛ هي: الشعور، وصاحبـه، ومتعلقـ هذا الشعور. ولا يجرى الحديث عن متعلقـ الشعور لشدةـ غموضـه.

أما لو كانت التجربة الدينية من جنس العلم والإدراك (وهي العلاقة بين المدرِّك والمدرَّك)، فلا محيس إذن من وجود مدرِّك ومدرَّك (متعلق الإدراك)، ولا مفرًّ أيضاً من وجود مدرَّكين: مدرَّكاً أو معلوماً بالذات (الصورة الذهنية)، ومدرَّكاً أو معلوماً بالعرض (الخارج)؛ فإذا كان المدرَّك بالذات متطابقاً مع المدرَّك بالعرض فالإدراك حينئذٍ صادق، وإلا فهو كاذب.

التجربة الدينية عند براودفوت:

يرى براودفوت أن التجربة الدينية - سواء كانت من جنس الإحساس أو الإدراك - حقيقة قابلة للبيان والتفسير. ومن ثمّ هو لا يفصل بين التجربة الدينية وتفسيرها^(٥). ويذهب أيضاً إلى أن الإدراك أو الشعور الروحي وكذا إدراك الموجود السامي أو الشعور بالاعتماد على المبدأ أو الحقيقة الممتازة عن الكون لا يمكن له أن يتحقق من دون تفسير صاحب التجربة نفسه.

وفي واقع الأمر، فإن التجربة الدينية عنده مركب يجمع بين إدراك صاحب التجربة أو شعوره زائداً تفسيره لذلك.

ولا يخفى على المتتبع تأثير أبحاث براودفوت هنا عما يدور في أروقة الهرمنيوطيقيا الفلسفية؛ فوفقاً لبعض الأصول الموضعية المفترضة مسبقاً تتبلور التجربة لصاحبها جراء مجموعة من العلل والعوامل، ثم يقوم الفرد على ضوء تلك المفترضات بتفسير شعوره أو إداركه. وتركيب هاتين الخطوتين هو ما يعبر عنه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْكِتَابُ عِلْمٌ لِّلَّهِ فَمَا أَنْزَلَ مِنْهُ
وَالْأَنْوَارُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَرِحْمَةٌ

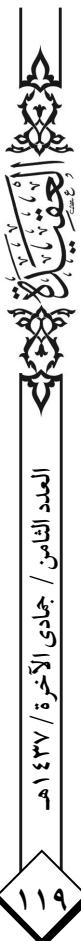
بالتجربة الدينية. ولهذا، ليس هنالك تجربة دينية عارية عن التفسير.

ولعل هذا القول مشابه لما ردّده كانت (١٨٠٤م) حين ذهب إلى امتلاك الإنسان لقوى ثلاثة؛ هي: الحساسة، والواهمة، والفاهمة. وأنّ هناك وقائع موجودة خارج الذهن تترك آثارها علينا؛ فالإنسان يدرك بعض الأمور عن طريق حواسه، لكنه يجهل ماهية ما يدركه في الواقع؛ فالمواد المدركة تلك تمتزج بفضل قواه الواهمة والفاهمة مع عنصري الزمان والمكان، أو قل: تمرّ هذه المواد من خلال معبر يكوّنه الزمان والمكان. ثمّ يتحدد عن المقولات الاثني عشر، وما تصنعه القوة الفاهمة أو العاقلة؛ أي: مرور تلك المواد من ذلك المعبر، واستقرارها في إحدى المقولات المشار إليها. ثمّ يستصدر من هذه المقولات أحكاماً اثنين عشر. والأحكام الكلية والجزئية أو الشخصية إنما تصدر من هذه المقولات الاثني عشر.

ويرتكز ما ذهب إليه كانت (١٨٠٤م) إلى نقطتين: أولاً: أنّ هنالك وقائع موجودة في الخارج (الأنطولوجيا عنده)، وثانياً: أنّ هنالك أحكاماً أيضاً (الإبستمولوجيا عنده)، ثمّ يفتح باباً يختص العلاقة بين بحوث معرفة الوجود (الأنطولوجيا)، ونظرية المعرفة (الإبستمولوجيا) يسمّيها ببحوث معرفة الذهن.

ولا يخفى أنه لم يُشر في نسخته الأولى من كتاب «نقد العقل المضلل» إلى موضوع «معرفة الذهن»، بل اكتفى هنالك بالإشارة إلى القوة الحساسة والفاهمة. وفي معرض الرأي على مناقشة مفادها السؤال عن كيفية الوصول في بحث المقولات فجأةً، يقول: يرتبط عنصرا الزمان والمكان بالقوى الواهمة، ومن خلال ذلك تتبلور حقيقة ما لتلك المواد والمقولات، تُطلق عليها اسم «الأحكام».

وكما أسلفنا فيما مضى، فقد ذهب شلايرماخر إلى أنّ عنصري الزمان والمكان وكذلك المقولات أمور ذهنية، وأنّ المواد تأتيها من الخارج. ومن هنا، فإن المركب الناتج عن هذه العناصر الثلاثة (الزمان والمكان + المقولات + المواد) هو ما نطلق عليه اسم المعرفة. وبعبارة أخرى: المعرفة مركب ناتج عن مواد متخذة من



الخارج، وتاثيرات تركتها قوى الذهن الفعالة على هذه المواد.

ويرى براودفوت أَنَّا كَمَا لَا نُمْلِكُ مَوَادًا مُحَضَّةً، فَإِنَّا لَا نُمْلِكُ أَيْضًا تجربة دينيَّة صرفة خالصة. وإذا جاز لَنَا أنْطُولوجيَّاً أَنْ نَذْعُنَ بِوُجُودِهَا، فَإِنَّا عاجزونَ عَنْ بِيَانِهَا أَوْ الإِفْصَاحِ عَنْهَا. وَمِنْ ثُمَّ: إِذَا نَجَحَتْ عَمَلِيَّةُ التَّبَيِّنِ فِي التَّجْرِيبَةِ الدينيَّةِ، فَتَغَيَّرَتْ حَالَاتُ الشَّخْصِ، وَبِدَاءً يَذْرُفُ الدَّمْوعَ، أَوْ يَسُرُّدُ الأَيْبَاتِ الشَّعْرِيَّةَ، فَإِنَّ هَذَا مَرْكَبَ نَتْحَ عن شَعْورِ هَذَا الشَّخْصِ أَوْ إِدْرَاكِهِ مُتَزَجَّاً بِتَفْسِيرِهِ لِذَلِكَ؛ وَلَيْسَ مُحَرَّدَ الشَّعْورَ أَوْ الإِدْرَاكِ الْمُحَضَّ؛ لِأَنَّ الشَّعْورَ وَالْإِدْرَاكَ لَا يَنْفَكَانُ عَنِ التَّفْسِيرِ^(٦).

وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ التَّجْرِيبَةَ مَقْرُونَةُ بِالتَّفْسِيرِ عَلَى الدَّوَامِ، سَوَاءَ كَانَتْ مِنْ جَنْسِ الْأَحَاسِيسِ، أَوْ انتَمَتْ إِلَى فَتَّةِ الإِدْرَاكَاتِ. كَمَا أَنَّ التَّفْسِيرَ الَّذِي تَجْرِي عَمَلِيَّاتَهُ بِفَعْلِ مَنْ صَاحِبُ التَّجْرِيبَةِ نَفْسَهَا هُوَ الْآخَرُ لَا يَنْفَصِلُ عَنِ الشَّعْورِ أَوْ الإِدْرَاكِ.

أنواع التجربة الدينية:

التجربة مشتركة لفظي يدل على التجربة الحسية، والتجربة العُرفية، والإدراك الحسي، والتجربة الأخلاقية، والتجربة العرفانية، والتجربة الدينية. والمراد بالتجربة الدينية الشعور أو الإدراك الذي ينتاب الإنسان إِزَاءَ أمر معنوي أو روحي وحقيقة غائية.

ويرى سوينبرن أن للتجربة الدينية - أو تجربة الله حسب تعبيره - خمسة مراتب؛ هي:

١. تجربة الحقيقة الغائية بواسطة شيء محسوس: وهي أمر متاح لكل شخص، ويقع في نطاق التجربة العامة، ومثالها: تجربة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أو الحقيقة الغائية بروءية صورة لشخص مقدس مثلاً، كما لو تداعى ذلك لمن شاهد صورة السيد المسيح عليه السلام وهو يرزح تحت التعذيب ضمن أحداث عرض سينمائي، أو من خلال

مشهد حي لغروب الشمس مثلاً، وفي هذين المثالين تحصل للإنسان حالة روحانية ناتجة من التجربة المحسوسة العامة.

٢. تجربة الحقيقة الغائية بواسطة شيء محسوس غير مألف لكنه عام: كما في مشاهدة نبته تلتهمها النيران، لكنها لا تحرق، أو كواقعية إلقاء إبراهيم عليه وسط الحريق دون أن يمسه سوء؛ فهاتان تجربتان بصريتان (محسوستان عامتان)، لكنهما غير مألفتين.

٣. تجربة الحقيقة الغائية بواسطة ظاهرة شخصية قابلة للوصف باللغة الحسية المألفة: والمقصود بها هنا تلك التجربة المنطلقة من الظواهر الشخصية؛ لا العامة، كما هو الحال في مثل الأحلام والماكشفات.

٤. تجربة الحقيقة الغائية بواسطة ظاهرة شخصية لا تقبل الوصف باللغة الحسية المألفة في الغالب: كما هو الحال في الكشف والشهود العصي على البيان.

٥. تجربة الحقيقة الغائية من دون ت وسيط أمر حسي (ظاهري أو باطني): ومثاله: الإنسان الذي يرتبط بالله عز وجل، وهذا يعني: انعدام أي أمر محسوس في البين رغم وجود التجربة الدينية^(٧).

لقد استعرض سوينبرن هذه المراتب المختلفة للتجربة الدينية ليؤكد على أن التجربة الدينية - سواء كانت من جنس الإدراك أو الشعور، أو كانت قابلة للتفسير أو عصية عليه - مظلة كبرى تشمل أدنى المراتب؛ وهي ما قد يحدث لأيّ شخص، وصولاً إلى أسمها مقاماً؛ مثل ما كان يحدث للسيد المسيح عليه السلام، أو للرسول الأعظم عليه السلام، وهو المسما بالتجربة الوحيانية.

وبناءً على ذلك فالتجربة الدينية التي تناولها سوينبرن تشتمل على التجربة الروحانية والعرفانية - بما يعم القابلة للوصف والعصية عليه - وكذلك التجربة الوحيانية التي نجدها عند الأنبياء.

ماهية التجربة العرفانية وأنواعها:

التجربة العرفانية هي كشف أو شهود قلبي يحصل عليه العارف نتيجةً لتركيز النفس وترويضها عملياً. وفي معرض دراستنا لهذه الظاهرة وفقاً للمنهج الظاهري فإننا لا نسعى هنا إلى ممارسة أي برهنة عقلية أو أي إثبات عرفاني على وجود هذه الظاهرة، بل يجب أن يكون أحدها ذلك العارف الذي يمرّ بتجربة تلك الظاهرة، أو أن نطرق باب العرفة مستفسرين منهم عن حقيقتها، أو مراجعين لصنفات عرفانية مثل: «منازل السائرين»، و«التمهيدات»، و«الفتوحات»، و«الأربعون مجلساً» لعلاء الدين الكرماني، وغيرها.

وقد عبر العرفاء عن المعرفة العرفانية بمفردات مثل: «الكشف» و«المكاشفة»، و«الشهود»، و«المشاهدة»، و«المعرفة القلبية»، وما سوى ذلك. وقسموها إلى أقسام. يقول الكاشاني: «الشهود رؤية الحق بالحق»^(٨). وهذا يعني أن الإنسان إذا أدرك الحقيقة التي مفادها أن العالم بأسره ما هو إلا مظهر وتجّال من مظاهر الحق وتجلّياته، حصل له شهود الحق بهذه المظاهر والتجلّيات، فقد بلغ حقيقة الشهود وجوبه. وقد قسم الكاشاني بعد ذلك الشهود إلى مجمل في مفصل، ومفصل في مجمل. وأشار إلى أن الشهود المجمل في المفصل يتلخص في رؤية الأحادية في الكثرة؛ أي أننا إذا استطعنا أن نرى أحدية الله تبارك وتعالى في كثرة العالم، فقد بلغنا شهود المجمل (الأحادية) في المفصل (الكثرة).

أما شهود المفصل في المجمل فيتلخص في رؤية الكثرة في الذات الأحادية؛ وهو يعني السير من الحق إلى الحق في مسلك مسيرة الصعود للوصول إلى الذات الأحادية (مقام الأحادية)، ورؤيه الكثرة في هذا المقام، ذلك لأن الكثرة الموجودة في الأعيان الخارجية لها وجودها في الأعيان الثابتة، وفي علم الله جل وعلا.

وعليه، فإن مقام شهود العلم الإلهي ينطوي على شهود المعلومات الإلهية أيضاً؛ لأن الأعيان الخارجية موجودة هناك بماهياتها، بل هي حاضرة جميعاً

بِكَمَالَتِهَا، وَالْعِلْمُ بِهَا فِي أَعْيَانِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يقول القيصري (٥٧٥١هـ): «الكشف لغةً رفع الحجاب، يُقال: كشفت المرأة وجهها؛ أي: رفعت نقابها. واصطلاحاً هو الإطلاق على ما وراء الحجاب من المعاني^(٩) الغيبية، والأمور الحقيقة^(١٠) وجوداً أو شهوداً»^(١١).

وبعبارة أخرى: إذا بلغ الإنسان مقام عين اليقين، وشاهد الحقائق الغيبية فقد حصل على مرتبة الكشف، وإذا بلغ مقام حق اليقين فإن وجوده في واقع الأمر قد اتخد بوجود سائر الموجودات بنحو ما، وعندي فالمقام ليس مقام الشهود، بل مقام الوجود؛ وهو ما عبر عنه العرفاء بوحدة الوجود التي هي مرتبة تلي مقام وحدة الشهود. وبعد ذلك، يقسم القيصري الكشف قائلاً:

«وهو معنوي^(١٢) وصوري، وأعني بالصوري: ما يحصل في عالم المثال من طريق الحواس الخمس^(١٣). وذلك إما أن يكون على طريق المشاهدة^(١٤)؛ كرؤيا المكافف صور الأرواح^(١٥) المتجلسة، والأأنوار الروحانية^(١٦). وإنما أن يكون عن طريق السمع؛ كسماع النبي ﷺ الوحي النازل عليه»^(١٧).

وهذا يعني أن الإنسان عندما يرتبط بعالم المثال المنفصل والبرزخ يحصل على مشاهدات مشابهة لما هو في الخيال المتصل، فيتمكن للإنسان أن يشاهد صوراً لا يراها الآخرون، وهذا يمكن للعارف أن يرتبط بالخيال المنفصل، وهو مرتبة من مراتب العالم المجرد (التجرد غير التام)، وأن يرى أو يسمع أموراً؛ كما نجد في قول الرسول الأعظم ﷺ لأمير المؤمنين علیه السلام: «إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعَ، وَتَرَى مَا أَرَى»^(١٨)، وهذا هو الكشف الصوري. ويمكن هذا عن طريق الذوق؛ كما في السالك الذي يحصل له شهود بطعم يتناوله، فيطلع به على معانٍ غيبية، وفي بعض الأحيان قد يأكل الإنسان طعاماً في الخيال المنفصل، ويمكن أيضاً أن يكون هذا الكشف من خلال سائر الحواس الأخرى.

وبحسب ما ذهب إليه العرفاء فإن الحواس الخمس موجودة في باطن النفس،

باعتبار وجودها البرزخي والمثالي، وإن حواسنا المادية تستفيد من النوافذ المفتوحة لها من الحواس الموجودة في الخيال.

والقسم الآخر الذي استعرضه القيصري هو الكشف المعنوي (في قبال الصوري)، مثاله: أن يطلع الإنسان على مقام الأحادية الإلهية، أو ظهور الوحدة في الكثرة^(١٩). وقد قسم العرفاء أيضاً التجلي إلى نوعين: ثبوتي، وإثباتي.

أما التجلي الشبوتي فهو وجودي أنطولوجي، ومعناه أن يُعرف الحق عَزَّ وَجَلَّ بصفته هوية غيبية غير متعينة. والهوية الغيبية له تبارك وَتَعَالَى تظهر في قوس النزول على هيئة التعين الأول بدايةً (الحضراء الأحادية)، ثم التعين الثاني (الحضراء الواحدية)، ثم التعينات الخلقية (عوالم العقل، والمثال، والمادة).

وأما التجلي الإثباتي فهو الشهود أو الكشف العرفاني.

والعارف في عرفانه العملي يمضي في سيره وسلوكه ليتجاوز منازل عدّة في قوس الصعود، فيرتقي من اليقظة، ليبلغ مقام الفناء. وآخر مراحل السلوك الوحدة في الشهود؛ بمعنى أن يجد الله جَلَّ وَعَلَا في كُلِّ شيء، أو الوحدة في الوجود؛ أي: إن الله سُبْحَانُهُ وَتَعَالَى هو الوجود الأوحد.

لقد خلص العرفاء قبل ابن عربى إلى أن أقصى مراتب الكمال هي مرتبة الوحدة الشهودية، لكن ابن عربى ذهب إلى وحدة الوجود. فكل ما سوى الله متحقق في وحدة الشهود، لكن العارف لا يتلفت إليه، بل يرتكز شهوده على الوحدة، ففي وحدة الوجود لا وجود لأي شيء غير الحق عَزَّ وَجَلَّ، وغيره ما هي إلا تحجليات له. وقد استطاع ابن عربى بنظريته هذه في وحدة الوجود أن يبني رؤيته في العرفان النظري، وأن يبيّن العرفان العملي الذي يُعد طريقة الوصول إلى الكمال والوحدة بشكل منهجه، وتمكن بعده صدر الدين الشيرازي(..) أن يكمل ما بدأه ابن عربى(..)، وأن يبرهن على مجموعة مدعياته العرفانية.

هذا، ولا يختلف العرفاء جميعاً في أن الشهود هو منطلق العرفان. وهو

ينتمي إلى العلم الحضوري، ويُعدّ مرتبةً من مراتبه إلى جانب المراتب الأخرى؛ مثل: الشعور بالألم، أو العطش، وما شاكل ذلك. ويصرّح العرفاء أنفسهم بأنّ منطلق الشهود وأصله قد يكون إلهياً تارةً، وشيطانياً تارةً أخرى. وفي واقع الأمر، فإنّ الشهود الشيطاني ليس بشهود أصلاً، بل هو ارتباط مع الخيال المتصل والذهن البشري؛ إذ يمكن للفرد أن ينغمس في خياله لأسباب نفسانية أو شيطانية، فيخال له أن صوره الذهنية شهود عرفاني، أو خيال منفصل، فيختلط عليه الأمر.

وللوصول إلى الشهود المنفصل أي إلى الواقع الخارجي والملكي للعالم، وتمييز الشهود الإلهية عن النفساني أو الشيطاني اقترح أهل العرفان طرائق متعددة؛ منها: موازين العقل، والسؤال من العارف الواثق، وكذلك عرضها على الكتاب والسنة.

وهنا نتوهّ بأنّ العرفاء المتشرّعين ليس أنهم يؤمنون بأنّ القرآن الكريم هو الأصل والمنطلق الوحيد لاكتشاف صدق الشهود أو كذبه وحسب، بل إنّهم يرون فيه المصدر الأنطولوجي للعرفان أيضاً. وبتعبير آخر: يرى العرفاء أن جميع مراحل العرفان موجودة في الكتاب والسنة. ومن ثمّ، فإنّ آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة لم تبالغ فقط في بيان أحكام الشريعة، بل أوغلت أيضاً فيتناول المقامات العرفانية، وطرق الوصول إليها. ومن هنا، فقد رفضوا ألوان الرياضة الصوفية، وجعلوها خارج دائرة الكتاب والسنة، ودعّوها في واقع الأمر بوصفها حلقة من خلقات الإلقاءات الشيطانية.

هذا، ويدّعى العرفاء في معرض بيانهم لشهادتهم وإفصاحهم عمّا رأوه لا يعدو كونه أمراً شخصياً، وليس له منطلق إلهي. وعليه، طرحو قضية ضيق الخناق في التعبير اللغوية، ووجدوا أنفسهم عاجزين في الإعراب عن مشاهداتهم. وقد عززوا هذا العجز إلى ضعف القدرة على البيان عند العارف، وانخفاض مستوى قدرة الفهم عند المخاطب، وإشكالية المعاني عندما يروم العارف إلى بيان المعارف

العرفانية السامية، وهذا هو الذي أدى إلى ظهور توجّهات معينة عند بعض العرفاء، انتهت بهم إلى إبراز ما وُصف بالشطحيات^(٢٠).

وفي المحصلة نقول: اتضحت من وقوفنا على التجارب العرفانية وما تبيّن لنا بشأن التجربة الدينية وأقسامها - لا سيّما التجربة الدينية في نظرية سويفرن - أنّ الشهد العرفاني لون من ألوان التجربة الدينية. ومع اتضاح حقيقة الدين التي ذكرنا أنها تلك الحقائق المبيّنة للمال الملكي الذي ستؤول إليه الرؤى والمناهج والسلوكيات الدنيوية، واتضاح معنى التجربة الدينية التي هي شعور أو إدراك روحي وقدسيّ، ينقشع الضباب عن إجابة السؤال المشار آنفاً؛ ألا وهو: هل يمكن القول بأنّ التجربة الدينية هي حقيقة الدين؟ فالإجابة هي بالنفي طبعاً، لأنّ التجربة الدينية وليدة للعوامل الداخلية والخارجية، وهي تتأثر بالمتغيرات التي تحيط بحالات صاحب التجربة وشؤونه الاجتماعية؛ فكيف يمكن لأمر مثل هذا أن يتّحد مع حقيقة الدين التي لا منشأ لها إلا الله تبارَكَ وَتَعَالَى؟! نعم؛ يمكن عدّ التجارب العرفانية لوناً من ألوان التجربة الدينية، لكنّ حقيقة الدين تتفاوت مع التجربة الدينية تفاوتاً ماهوياً و حقيقياً.

* هوامش البحث *

(١) [م]. On Religion

(٢) المراد بها هنا الإلهيات بالمعنى الأخص، وهي الأبحاث المرتبطة بمعارفة الله، ومعرفة الدين، وفلسفته.

(٣) الإطلاق هنا بمعنى الكمال والشمولية، والشعور المشار إليه في التعريف هو شعور ينطوي على ضرب من ضروب الوحدة، وهو شعور ينتمي كل كيان الإنسان، وهو إحساس يتعلّق بقوة تفوق هذا العالم، ولا يتطرق إلى أنها الله .

(٤) وبعبارة أخرى: إنه أفاد هنا من مجاز السكاكى حينما تصرّف في معنى الدين، ليصبح الجميع متديّناً، كما صنع السكاكى في مجازه فتصرّف في معنى الأسد ليشمل كل إنسان شجاع أيضاً.

(٥) التفسير هنا هو الانطباع الشخصي لصاحب التجربة الدينية عما جرى، سواء ظهرت هذه



جامعة الازهر
جامعة الازهر
جامعة الازهر

- التجربة في هيئة ألفاظ، أم لم تتحمّلها قوالب اللغة لضعف الأخيرة، أو لأن قابلية المثلّتي لشرحها غير محرّزة. وبشكل عام فإنّ صاحب التجربة له معرفة بتجربته؛ وهذا هو تفسيرها.
- (٦) تأثُّر براودفورد يالقاءات كانت في التمييز بين ما أسماه بالشيء بذاته أو النومين Noumen من جهة، والظاهرة Phenomenon من جهة أخرى، وكذا تأثُّر بآراء هайдغر وغادamer الهرمنوطبيقيّة الفلسفية، ناهيك عمّا لاحظه من تأثيرات البراغماتيكيّة (المذهب النفسي).
- (٧) العقل والإيمان الديني، مصدر سابق، فصل التجربة الدينيّة.
- (٨) اصطلاحات الصوفية، عبد الرزاق الكاشاني (القاساني)، ج٢، ص ١٥٦، مصطلح شهود.
- (٩) يقول العلامة حسن زاده الامي في تعليقه: أي من الأسماء والصفات. راجع التعليقة على شرح فصوص الحكم للقيصري، ج١، ص ١٢٧. [م]
- (١٠) أي: الموجودة خارجاً، أي: صيورة المكشف متتصفاً بحقيقة المكشوف. لاحظ: المصدر السابق. [م]
- (١١) وجوداً أي: وجداناً لها بحيث لا يصير المكشف متحققاً بحقيقة المكشوف، وهذا مقام حق اليقين. ووجداناً أي: ورؤياً، وهذا مقام عين اليقين. شرح فصوص الحكم للقيصري، ج١، ص ١٢٧. [م]
- (١٢) أي: عقلي. لاحظ: المصدر السابق. [م]
- (١٣) الحواس الخمس الباطنة. م.س. [م]
- (١٤) وهو الإطلاع الشهودي. م.س. [م]
- (١٥) أي: أرواح الأناسي. م.س. [م]
- (١٦) أي: العقول. م.س. [م]
- (١٧) المصدر السابق، ص ١٢٧-١٢٨. [م]
- (١٨) نهج البلاغة ص ٤١٧، ط شرح محمد عبده. [م]
- (١٩) راجع: شرح فصوص الحكم، القيصري، الفصل الرابع في مراتب الكشف وأنواعها إجمالاً، وراجع كذلك شرح مقدمة القيصري، ص ٥٣٦.
- (٢٠) نقل عن البسطامي أنه قال: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعبُدُنِي»، ومنها أيضاً مقوله الحال الشهيرة: «أنا الحق».



أرجوزة في نظم الباب الحادي عشر

نظم: العلامة الشهيد الشيخ المولى علي الزنجاني (ت ١١٣٦ هـ)

تحقيق: محمد حسين الواقع النجفي

خلف العلامة الحلي قدس سره تراثاً علمياً ضخماً، خاصة في مجال العقيدة والكلام، وإنَّ من جملة آثاره الكلامية الرسالة الشهيرة بـ: الباب الحادي عشر، ذلك أنَّ العلامة لمَّا اختصر مصباح المتهدج لشيخ الطائفة الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) رحمة الله، وسمَّاه: منهاج الصلاح، في عشرة أبواب، ارتَّأى أن يضيف إليه باباً آخر يورد فيه ما يجب على المكلفين الاعتقاد به، فصار الباب الحادي عشر.

ولما كان هذا الباب الأخير اشتمل على كل ما يجب الاعتقاد به، موجزاً كافياً، واضحاً شافياً، جاماً وافيًّا، انبرى العلماء إلى شرحه، وأصبح من أهمِّ المتون الكلامية، كما كانت ولاتزال من المتون الدراسية في الحوزات الدينية والمعاهد العلمية.

ومن أهم شروح الباب الحادي عشر، شرحان هما:
النافع يوم الحشر، للمعداد السيوري الحلي (ت هـ)، ومفتاح الباب لابن مخدوم الحسيني (من أعلام القرن الحادي عشر).

ولسنا الآن بصدِّ الخوض في ما يتعلق بالباب الحادي عشر، وخصائصه وشرحه وترجماته إلى سائر اللغات، وغير ذلك.

لكن من حملة الجهد المشكورة حول الباب الحادي عشر أنَّ من العلماء من تصدَّى لنظمه، وإخراجه على سياق الأرجوزة، هي هذه الرسالة التي نقدمها بين يدي القارئ الكريم، وإليك الكلام عن المؤلف وأرجوزته.

ترجمة المؤلِّف:

هو الشيخ المولى علي بن العلامة الشيخ محمد حسين الزنجاني. ولد أعلى الله مقامه في بلدة زنجان، من أسرة علميَّة معروفة، فكان والده الملا محمد حسين الزنجاني من أعلام بلاده، وفيها أخذ المترجم أوليات العلوم، ولا يبعد أن تكون دراسته الأولى على يد والده، لكن قد حالقه الحظ حيث أدرك العالم المحدث المتكلِّم، المولى خليل بن الغازى القزويني (ت ١٠٨٩ هـ)^(١).

ثمَّ هاجر إلى إصفهان، وأكمل مشواره العلمي في إصفهان، التي كانت تعدُّ من الحواضر العلمية، في العهد الصفوي، فتلذَّم على كبار علمائها، ولازم فيها السيد محمد مهدي الحسيني السيفي القزويني (ت ١١٥٠ هـ)^(٢).

ولمَّا بلغ المترجم مرتبة سامية من الفضل والعلم، رجع إلى بلدته بزنجان، واشتغل فيها بترويج الدين الحنيف، وبث الشرع الشريف، حتى وقعت هائلة هجوم العثمانيين على إيران، فاستشهد رحمه الله تعالى.

الشأن عليه:

مع شحة المصادر التي ترجمت للناistem الشهيد، إلا أنَّ كلَّ من ترجمه أشاد بذكره، وأنثى عليه، فمن أشاد به العلامة الرجالى الشيخ موسى الزنجاني: «من أجلاء حملة العلم والفضيلة، له خبرة بالكلام والحديث والفقه والرجال، تخرج على السيد قوام الدين القزويني الحسيني، وعلى العلامة الأكبر المولى خليل بن غازى [القزويني] قدس سرهما».

فَآبَ إِلَى زنجان مُرْوِجًا وَنَاشِرًا لِلأحكامِ، مِبْرَزاً بِإِعْلَاءِ كَلْمَةِ الْحَقِّ، سَالِكًا نَهْجَ الْهَدَايَا وَالْإِرْشَادِ وَالتَّهْذِيبِ، حَتَّى اسْتَشَهَدَ رَحْمَهُ اللَّهُ سَنَةُ ١١٣٦ هـ^(٣).

مؤلفاته:

لم تسعفنا مصادر ترجمته عن كثير من أحواله، فغاب عنا كثير من سيرته وترجمته، إلا أنَّ ما نطلع عليه من تراشه أنه قد خلَّفَ أرجوزتين، هما:
١. أرجوزة في الكلام، نظم فيها الباب الحادي عشر، وسوف يأتي الكلام عنها.
٢. أرجوزة في المنطق، نظم فيها كتاب التهذيب في المنطق.
وقد ذكر الشيخ آقا بزرگ أنَّه توجد منها نسخة عند أحفاده في مكتبة آل شيخ الإسلام بزنجان^(٤).

استشهاده:

إِنَّ مَمَّا أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُتَرْجِمِ أَنْ خَتَمَهُ حَيَاتَهُ بِخَيْرٍ، حِيثُ نَالَ الشَّهَادَةَ فِي فِتْنَةِ الْعُثْمَانِيِّينَ بِقَرْبِ زنجان، فَجَمَعَ بَيْنَ فَضْلِ الْعِلْمِ وَفَضْلِ الشَّهَادَةِ، حَشَرَهُ اللَّهُ مَعَ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الْأَطْهَارِ.

وَإِلَيْكَ تَفْصِيلُ حادِثَةِ شَهَادَتِهِ، كَمَا يَنْقُلُهَا الْعَالَمُونَ الشَّيْخُ مُوسَى الزَّنجَانِيُّ، وَهُوَ خَيْرُ مَنْ تَرَجَّمَ النَّاظِمُ، قَالَ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «اسْتَشَهَدَ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى [فِي] سَنَةِ ١١٣٦، وَذَلِكَ عِنْدَ تَهَاجِمِ الْعُثْمَانِيِّينَ عَلَى إِيْرَانَ، وَتَوَاطُّهُمْ مَعَ الْرُّوسَ عَلَى تَقْسِيمِ بَلَادِهِمْ، وَحَكَمُ عَلَمَاءُ الْقَسْطَنْطِينِيَّةِ بِكُفْرِ الشِّعْعَةِ!!، وَأَنَّ بَلَادَهُمْ بِلَادِ حَرْبٍ وَوُجُوبِ قَتْلِ رِجَالِهِمْ وَسَبِّ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيهِمْ، عَلَى التَّفْصِيلِ الْمُذَكُورِ فِي [كِتَابِ] الْمُنْتَظَمِ النَّاصِريِّ (جِئْنَا، الصَّحِيفَةُ ٢٢٩).

وَلَمَّا اتَّصَلَتْ صَوَالِثُهُمْ بِنَوَاحِي زنجان، خَرَجَ الْمُتَرْجِمُ مَعَ زَرَافَاتٍ مِنَ الْأَهْلِينَ لِلدِّفاعِ، فَالْتَّقَتِ الْفَتَّانُ فِي قَرْيَةِ قِمْقَايِّ مِنْ قَرَى إِيْجَرُودَ، مِنْ مَضَافَاتِ الْبَلَدِ بِمَقْرَبَةِ مَخْوَفَيْنَ، عَلَى ثَمَانِ فَرَاسِخٍ مِنَ الْبَلَدِ فِي طَرْفِ الْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ، وَاحْتَدَمَ

القتال، وانجلت الغبرة عن هذا القائد الكريم صریعاً، شهید حمیة علی الدین، شهید غیرة علی المسلمين، شهید وطنیة وشہامة، شهید نبل وزعامة، ولما انتہی نبأ قتلہ إلى أستاده العلامة السيد قوام الدین [السيفی القزوینی] أنشأ في تاریخه:

مولوی ملا علی مبرز کہ بود	در طریق معرفت صاحب رشاد
علم را چون با عمل مقرن نمود	کرد در راه خدا عزم جهاد
بود در جنگ عدو ثابت قدم	تابه راه حق روان با صدق وداد
خامه وانشا به تاریخش نوشت:	(با شهید کربلا محشور باد) ^(۵)

وقد خلف المترجم نجله العلامة الشيخ المیرزا محمد الزنجانی، وهو جدّ أسرة آل شیخ الإسلام بزنجان، وفي عقبه الكثير من علماء الدين وأعلام المذهب.

هذه الرسالة:

تعُدُّ هذه الرسالة من جملة المجهود العلمية التي دارت حول رسالة الباب الحادي عشر، فليست هي الوحيدة في بابها في نظم هذه التحفة الكلامية؛ فقد ذكر العلامة الكبير الشيخ آقا بزرگ الطهراني في ذريعته الخالدة، أرجوزتين في نظم هذه الرسالة الشريفة:

الأولى: رسالتنا هذه، وقال رحمه الله: «نظم الباب الحادي عشر، والناظم الملا علي بن محمد حسين الزنجانی، المولود سنة ۱۰۶۶، الشهید بيد جیش الخليفة العثماني عند هجومهم الوحشي على زنجان في ۱۱۳۶... موجود عند أحفاده المعروفين بشیخ الاسلامی بزنجان».

الثانية: نظم الباب الحادي عشر، نظمہ سلیمان بن عبد الله الماحوزی، صاحب البلقة والمعراج، المتوفی سنة ۱۱۹۱، ذکرہ في إجازته لحمد رفع البیرمی^(۶). إلا أنَّ ممَّا يؤسف له أنَّ الرسالة الثانية مفقودة، ولعلنا نعثر عليها في قادم



من الأيام في خبايا مكتباتنا التي تنتظر من يفهرس مخطوطاتها، ويعرف بكنوز تراثنا العربي، وثمرات علمائنا الأعلام العلمية، وليس ذلك على الله بعزيز. فعلى ذلك: تبقى هذه الرسالة فريدة في بابها، حتى نعثر على اختها، أو غيرهما، وقد ذكرها العلامة الكبير الشيخ آقا بزرگ في الذريعة عدّة مرات^(٧)، كما ذكرها العلامة الفقيد السيد عبد العزيز الطباطبائي في كتابه الشمرين: مكتبة العلامة الحلي^(٨).

لقد اعتمدنا في تحقيق هذه الأرجوزة على النسخة اليتيمة التي تحتفظ بها مكتبة آية الله السيد المرعشی النجفی قدس سره بقم المقدسة، لم يذكر كاتبها، وإن احتمل كونها بخط المؤلف، وعلى النسخة جملة من الفوائد والأشعار المتفرقة، إلا أنّها لا تخلو من العجمة وانكسار الوزن^(٩).

لقد اتبعنا في تحقيق الأرجوزة الخطوات الآتية:

١. ترقيم الأبيات، وضبطها بالحركات.
 ٢. وضع العناوين بين معقوفين لتسهيل القراءة والبحث.
 ٣. تحرير ما استلزم تحريره من الآيات والأحاديث.
 ٤. مطابقة الأرجوزة مع متن رسالة الباب الحادي عشر.
 ٥. تصحيح ما استطعنا عليه من العجمة والأخطاء في متن الأرجوزة.
- ولا يفوتي أن أشكر فضيلة الشيخ مسلم الرضاei؛ مقابلته معي هذه الأرجوزة، وملحوظاته النافعة.

حرّ في ليلة المولد النبوی والصادقی الشریف، بجوار الحرم الفاطمی الشریف، والحمد لله أولاً وآخرأ.

محمد الحسين

أحسن الله تعالى إليه

أرجوزة في نظم الباب الحادي عشر

نظم: العلامة الشهيد الشیخ المولی علی الزنجانی (ت ۱۱۳۶ھ)

بسم الله الرحمن الرحيم

- | | |
|--|--|
| ١. الحمد لله العلي العالى | الواجب الوجود ذي التوالى ^(۱۰) |
| ٢. صلاتنا على النبي الخاتم | محمد افضل اهل العالم |
| ٣. وآله الأمجاد والأطهار | التجباء السادة الأبرار |
| ٤. لاسيما من نصه بـ {إنما} ^(۱۱) | هو الولي بعده مسلمًا |
| ٥. قال علي ابن ذي البلا | سمى مقتول بـ ربلا |
| ٦. أسعده الخالق في الماء | أدخل جنة بلا حساب |

وبعد، فالممنظومة في [الـ]باب [الـ]حادي عشر، فيما يجب على عامّة المكلفين من معرفة أصول الدين:

- | | |
|--------------------------------|--|
| ٧. مبحوثنا عن باب حادي | في واجب على العباد اشتهرًا |
| ٨. بناؤه على أصول الدين | هداية لطالب اليقين |
| ٩. معرفة الواجب عند العلماء | جمييعهم وجوبها قد أعلمًا |
| ١٠. وهكذا صفاتُ العينية | ومثلها ما معرفة السليمة |
| ١١. وما على الله تعالى صالح أو | ممتنع ^(۱۲) يكُون، فارع ما راعوا |
| ١٢. نبوة إمامَة معاد | عروفان كل ذاك مُستفاد |

جَمِيعُهَا بِدُونِ الْأَنْكَارِ أَعْثُرْ فِ
جَهْلٍ بِهِ قَطْعًا عَلَى مَنْ يُؤْمِنُ
خَارِجٌ عَنْ رِبْقَةِ مُؤْمِنِيَا
يُخْرُقُ فِي حَرَّ الْعَذَابِ الدَّائِمِ
أُولَئِكَ فِي وَاجِبِ الْوُجُودِ

١٣. وَبِالَّدَلِيلِ لَا يَقْلِيلِ عُرِفَ
١٤. لَا بُدَّ أَنْ نَذْكُرَ مَا لَا يُمْكِنُ
١٥. جَاهِلُ شَيْءٍ مِنْهُ قَدْ أَهِينَا
١٦. وَمُسْتَحِقُ للعِقَابِ الدَّائِمِ
١٧. عَلَى فُصُولِ أَصْلِ ذَا الْمَعْهُودِ

الفصل الأول

في إثبات واجب الوجود

لِذَاتِهِ فِي خَارِجِ الْمَشْهُودِ
لِبُوتُ مَوْجُودٌ هُنَالِإِيمَانِ
أَوْ مُمْكِنٌ بِمُوجِدٍ مَضْحُوبٌ
مَظْلُوبٌ أَيْضًا وَلَا يُشْتَبِهُ
آخَرَ دَارَ أَنْ يُعَدَّ لَا وَلَا
بَدِيهَةً كِلَاهُمَا قَدْ بَطَلَ
سَلْسَلَةُ إِمْكَانِهِ يُفَادُ
وُجُودُهَا بِالدَّالِتِ حَيْثُمَا تَقَعُ
خَارِجٌ عَنْهَا بِالْبَدِيهَةِ انتُخَبَ
مَظْلُوبٌ أَمْحَقَّ تَقْدِيمًا

١٨. مَعْقُولٌ إِمَّا وَاجِبُ الْوُجُودِ
١٩. أَوْ مُمْكِنٌ فِيهِ كَذَا أَوْ مُمْنَعٌ
٢٠. إِنْ كَانَ وَاجِبًا هُوَ الْمَطْلُوبُ
٢١. مُوجِدُهُ إِنْ كَانَ وَاجِبًا فَهُوَ
٢٢. إِنْ أَمْكَنَ الْمُوجِدُ يَحْتَاجُ إِلَى
٢٣. إِنْ كَانَ عَيْرَهُ فَقَدْ تَسَلَّلَ
٢٤. لَانْ يَكُونُ هَذِهِ الْأَحَادِيدُ
٢٥. فَإِنَّهَا شَرِيكَةٌ مِمَّا امْتَنَعَ
٢٦. فَمُوجِدٌ حِينَئِذٍ لَهَا يَحِبُّ
٢٧. فَهُوَ يَكُونُ وَاجِبًا تَقَدُّمًا

الفصل الثاني في صفاته الشبوطية

وهي ثمان:

وهي ثمانٌ كانت المرويَّةُ

٢٨. الْبَحْثُ فِي صِفَاتِهِ الْعَيْنِيَّةُ

الأولى:

لِسَبْقِ عِلْمِهِ بِمَا يَخْتَارُ
لأنَّ فِي الْحِسْمِ الْحَوَادِثُ أَعْلَمُ
الْحَادِثَيْنِ بِالضَّرُورَةِ اَنْتَمْ (اَنْتَهِي؟)
حُدُوتُ مَا فِيهِ الْحَوَادِثُ اَفْهَمَا
مُخْتَارُ الْمَخْلُوقِ عَنْهُ صَادِرُ
يُخَالِفُ عَنْهُ فِعْلُهُ، فَلَيُعَقَّلَا
حُدُوتُ خَالِقِ وَبُطْلَانِ رَوْفَا
لِلْسَّبِبِ الْإِمْكَانِ بِالْمَشْهُورِ
جَيْعَيْهِ، فَلِلْتَّحَرِّرِ اِنْجَلِ

٤٩. وَهُوَ تَعَالَى قَادِرٌ مُخْتَارُ
٣٠. دَلِيلٌ مَقْصُودٌ حُدُوتُ عَالَمٌ
٣١. أَغْنِي: سُكُونًا مَعَ ضِدِّهِ هُمَا
٣٢. يَسْتَدِعِيَانِ سَبْقَ عَيْنِهِمَا
٣٣. فَإِنَّ مَنْ أَثَرَ فِيهِ قَادِرٌ
٣٤. فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ مُوجَبًا فَلَا
٣٥. لَا زِمْ إِمَامًا قِدَمُ الْعَالَمِ أَوْ
٣٦. تَعْلُقُ الْقُدْرَةِ بِالْمَقْدُورِ
٣٧. سَاءِيَّتْ نِسْبَةً ذَاتِهِ إِلَى

الثانية:

لأنَّهُ قَدْ فَعَلَ الْأَفْعَالَ
كَانَ كَذَا فَعَالِمٌ، بَلْ دُوَالِمَنْ
سَاءِيَّا نِسْبَةً كَلِّهِ حُتِّمَ
بِكُلِّ مَعْلُومٍ وُجُوبُهُ التُّزِّمَ
غَيْرِهِ، وَالْأَفْتَقَارُ جَزْمًا بَطْلَا

٣٨. اللَّهُ، وَهُوَ عَالَمٌ تَعَالَى
٣٩. مُحَكَّمَةً مُتَقَنَّةً وَكُلُّ مَنْ
٤٠. لِعِلْمِهِ تَعْلُقٌ بِمَا عَلِمَ
٤١. وَأَنَّهُ حَيٌّ يَصِحُّ إِنْ عَلِمَ
٤٢. فَمُسْتَحِيلٌ أَفْتَقَارٌ إِلَى

الثالثة:

يَكُونُ قَادِرًاً أَوْ عَالِمًا حَسَنٌ

٤٣. مِنَ الصِّفَاتِ أَنَّهُ حَيٌّ لِأَنْ

الرابعة:

كَذَاكَ أَيْضًاً كَارِهً شَدِيدُ
 وَقْتٍ سَوَى خُرُوجَهَا قَدِ اقْتُفِ
 أَنْتَ إِرَادَةً لَهُ تُرِيدُ
 إِرَادَةً وَمَا سِوَاهُ اسْتُلِزِمَا

٤٤. وَهُوَ تَعَالَى أَنَّهُ مُرِيدٌ
 ٤٥. فَخَصَّصَ الْأَفْعَالَ فِي الْإِيمَانِ
 ٤٦. لَا بُدَّ مِنْ مُخَصِّصٍ يُفِيدُ
 ٤٧. وَأَنَّهُ نَاهٍ وَآمِرٌ هُمَا

الخامسة:

لِكُونِهِ فِي مُصَحَّفٍ مُوجَّهٌ^(١٣)

٤٨. وَمُدْرِكٌ، لَأَنَّهُ حَيٌّ فَهُوَ

السادسة:

وَالْأَبْدِي أَسْمَعَ مَعَ اشْتِيَاقٍ
 كَمَا مَضَى اذْكُرَنَ لِلْمَعْهُودِ
 مِنْ لَاحِقٍ عَلَيْهِ أَوْ مُقَدَّمٍ

٤٩. وَهُوَ قَدِيمٌ أَرَى بِـبَاقِي
 ٥٠. فَإِنَّ هَذَا وَاجِبُ الْوُجُودِ
 ٥١. فَهُوَ تَعَالَى مُسْتَحِيلُ الْعَدَمِ

السابعة:

ثُبُوتُهُ لَهُ بِالْجَمَاعِ اطَّرَدْ
 مَوْصُوفَهُ بِالْأَنْتِظَامِ، فَاسْمَعُوا
 جِسْمٍ مِنَ الْأَجْسَامِ، ذَلِكَ اقْتُنِي
 خُذْ مَا ذَهَبَنَا مِلَةً مُنَوَّرَةً

٥٢. وَهُوَ تَعَالَى مُسَتَّكٌ وَرَدْ
 ٥٣. مُرَادُنَا بِهِ خُرُوفُ شُسْمَعْ
 ٥٤. مَعَنَاهُ أَنَّهُ هُوَ الْمُوْجَدُ فِي
 ٥٥. وَاسْتُقْبِحْ مَا فَسَرَ الْأَشَاعِرَةَ^(١٤)

الثامنة:

٥٦. وَصَادِقٌ؛ لِأَنَّ كِذْبًا قُبَحًا

بَدِيهَةً، وَعَنْهُ نَقْضًا أَطْرَحَا

الفصل الثالث
في صفاتِه السلبية

وهي سبع:

٥٧. الْبَحْثُ فِي صِفَاتِهِ السَّلْبِيَّةِ

سَبْعٌ وَذِي تُحَالِفِ الْعَيْنَيَّةِ

الأولى:

٥٨. وَأَنَّهُ لَيْسَ مُرَكَّبًا وَإِنْ

كَانَ كَذَاكَ فَاقْتِقَارُهُ قَمِنٌ^(١٥)

٥٩. وَكُلُّ شَيْءٍ افْتِقَارٌ إِلَى

أَجْرَائِهِ فَمُمْكِنٌ، لَا تَغْفُلَا

الثانية:

٦٠. وَأَنَّهُ لَيْسَ بِجِسْمٍ وَعَرَضٌ

إِنْ كَانَ ذَاكَ مُفْتَقِرٌ بِلَا غَرَضٍ

٦١. وَامْتَنَعَ الْخَلْقُ مِنَ الْحَوَادِثِ

مُحَالٌ تَمَاهٍ لِأَجْلِ حَادِثٍ

٦٢. وَلَا يَجِدُونَ أَنْ يَكُونَ فِي الْمَحَلِ

إِنْ حَلَّ فَاحْتِيَاجُهُ بِلَا خَلْلٍ

٦٣. وَكَوْنُهُ فِي جِهَةٍ لَا تُجِزُّ

إِنْ كَانَ ذَلِكَ افْتِقَارًا أَجْزًًا

٦٤. وَلَا يَصِحُّ لَهُ أَوْ أَلَمٌ

عَلَى الْذِي وُجُودُهُ قَدِ الْخَتَمْ

٦٥. لِكَوْنِهِ مُمْتَنَعٌ الْمَرَاجِ

ذَاءَ عَرَضٍ جَلَّ بِالْحَتِيَاجِ

٦٦. وَلَا يَجِدُ الْمُؤْمِنُ مُظْلَقاً

مَعْ غَيْرِهِ لِمَنْعِهِ مُحَقَّقاً

الثالثة:

يَمْتَنِعُ اِنْفِعَالُهُ عَمَّا اقْتَرَنَ
مَنْ وَاجِبٌ وُجُودُهُ مُكَمَّلاً

٦٧. لَيْسَ حَلًا لِلْحَوَادِثِ؛ لِأَنْ
٦٨. وَلَا مِنَاعَ النِّسْبَةِ النَّقِيْضِ إِلَى

الرابعة:

مُحَالَّةٌ عَلَيْهِ لَا تُشَابِه
ذُو جَهَةٍ، وَأَنْتَ لَا تَشَتِّتُهُ
أَوِ الْذِي فِي حُكْمٍ مَا يُقَابِلُ
وَالثَّانِي لِلتَّأْيِيدِ ذُو يَانِ^(١٧)

٦٩. وَرُؤيَةٌ بِالْبَصَرِ الْمُواجِهِ
٧٠. فَإِنَّ كُلَّ مَا يُرَى جِسْمٌ فَهُوْ
٧١. لِكَوْنِهِ إِمَّا هُوَ الْمُقَابِلُ
٧٢. دَلِيلُ السَّمْعِيِّ: ﴿لَنْ تَرَانِ﴾^(١٨)

الخامسة:

دَلِيلٌ سَمْعٌ، وَتَمَانِعٌ جَلٍّ
لِلْمُتَكَلِّمِينَ، فَادْرِ الْمَأْخَذَا
يَشْتَرِكَا فِي وَصْفٍ وَاجِبٍ حَسَنٌ
بِذَاكَ قَوْلُ الْحُكْمَاءِ مَيْزٌ

٧٣. نَفْيُ الشَّرِيكِ عَنْهُ مَبْنِيٌّ عَلَى
٧٤. فَيَقْسُدُ اِنْتِظَامُ عَالَمٍ، فَذَا
٧٥. يَسْتَلِزمُ الشَّرِيكُ تَرْكِيْبَاً، لِأَنْ
٧٦. حِينَئِذٍ لَا بُدَّ مِنْ مُمَيِّزٍ

السادسة:

عَنْ وَاجِبِ الْوُجُودِ ذِي اِمْتَنَانِ^(١٩)
أَوْ غَيْرِهَا مَا صَحَّ لِافْتِقَارٍ
يَكُونُ مُمْكِنًا، فَهَذَا خُلْفٌ

٧٧. قَدِ اِنْتَفَى الْأَحْوَالُ فِي الْمَعَانِي
٧٨. لَوْ كَانَ بِالْقُدْرَةِ ذَا اِقْتِدارٍ
٧٩. مَنْ ثَبَّتَ احْتِيَاجُهُ الْمُؤْتَلِفُ

السابعة:

٨٠. وَهُوَ غَنِيٌّ لِيُسَ بِالْمُحْتَاجِ
وُجُوبُهُ مَانِعُ الْاِحْتِيَاجِ
٨١. وَغَيْرُهُ مُقْتَضِيُ الْفَنَاءِ
لِأَجْلِ الْإِمْكَانِ لَا اسْتِغْنَاءُ

الفصل الرابع
في العدل

قُدْ شَرَعُوا فِي عَدِيلِهِ الْمَبَاحِثُ^(١٩)

الأول:

٨٣. عَقْلٌ قَضَى بِأَنَّ مِنْ أَفْعَالِ
مَا حَسَنٌ وَنَافعٌ لِلْحَالِ
٨٤. كَمِثْلِ إِحْسَانٍ وَصَدْقَ تَافِعٍ
رَدِّ أَمَانَةٍ مِنَ الْمَنَافِعِ
٨٥. وَبَعْضُهَا الْقَبِيْحُ كَالْكِذْبُ الْمُضْرِبُ
وَالظُّلْمُ أَوْ غَيْرُهُمَا لَا يَنْحَصِرُ
٨٦. مِنْ ثَمَّ نَافَ شَرَفًا مِنْ جَاهِدٍ
يَقْضِي بِهِ كَالْهِنْدِ وَالْمَلَاحِدِ
٨٧. لَوْحَكَمَ الْعَقْلُ بِالْأَنْتَفَاءِ
لَا نَتَقَيَّا سَمْعًا بِلَا حَفَاءِ

الثاني:

٨٨. بَدِيهَةٌ قَاضِيَةٌ بِأَنَّا
الْفَاعِلُونَ الْفِعْلَ؛ حَيْثُ عَنَّا
٨٩. الْفَرْقُ بَيْنَ السَّاقِطِ الَّذِي عَقَلَ
وَبَيْنَهُ عَلَى مَدَارِجِ نَزَلَ
٩٠. لَوْلَمْ يَكُنْ تُوجِدُ فِعْلًا كَائِنًا
تَكْلِيفُنَا مَنْعًا فَلَا عَصِيَانًا
٩١. يَقْبَحُ أَنْ يَخْلُقَ فِعْلًا فِينَا
ثُمَّ عَذَابُهُ بِهِ يَفِينَا

٩٦. وَمَا يَعْنِيْسُمُ اِيْضًا فَحَسْنٌ
كَوْلِه: ﴿خَيْرًا يَرَه﴾ عَقِيْب ﴿مِن﴾ (٢٠)

الثالث:

إِصَارِفِ، أَيْ: عِلْمُهُ، مُسَبِّحًا
قِيَّحْ، امْتَنَاعُهُ قَدْ عَقَلا
أَوْ حِكْمَةُ، وَالثَّنْفُ فِيهِمَا سِعَة
ثُبُوتُ كُلِّ الْأَئِيْمَاءِ، أَوْ امْتَنَعْ
عَلَيْهِ مُسْتَحِيلَةُ، فَانْتَهَى

٩٣. عَلَيْهِ يَسْتَحِيلُ فِعْلُ قَبَحًا
٩٤. وَلِيْسَ لِلواجِبِ بَاعِثُ إِلَى
٩٥. فَالدَّاعِي إِمَّا حَاجَةً مُمْتَنَعَةً
٩٦. لَوْصَدَرَ الْقِيَحُ مِنْهُ لَمْ يَقْعُ
٩٧. إِرَادَةُ قَبِيْحَةٍ لِقُبْحَهَا

الرابع:

فِعْلًا، كَمَا دَلَّ كَلَامُ اللَّهِ (٢١)
الْعَبَثُ الْقَبِيْحُ، وَهُوَ قَدْ عَالَ
لِلْقَبْحِ، فَاعْلَمْ تَفْيِيْهُ اسْتِمْرَارًا
طَاعَتُهُ وَاجِبَةً لَمَّا اقْتَرَنْ
عَلَى طَرِيقِ الِّيْدِ بِالْإِعْلَامِ
بِالشَّيْءِ مِنْ قَبَائِحِ، فَأَجْرِيَا
ذِي الْقَبْحِ وَالنُّفُورِ عَمَّا قَابَلَاهُ
وَدَاكَ تَكْلِيْفٌ بِلَا اشْتِيَاهَ
لِكَوْنِ الْاسْتِسْهَالِ ذَمَّاً ظَاهِرًا
عَنِ الْقَبِيْحِ فِعْلَهُ لَا تُجْهَرُ
ثَوَابٌ، أَيْ نَفْعٌ يَكُونُ أَوَّلًا؟

٩٨. لِلْغَرَضِ اِثْبِرْ؟؟ إِلَى الإِلَهِ
٩٩. وَنَفْيُهُ مُسْتَلِزِمٌ أَنْ يَفْعَلَا
١٠٠. وَلَا يَكُونُ الْغَرَضُ الإِضْرَارًا
١٠١. فَاللَّازِمُ التَّكْلِيْفُ، وَهُوَ حَمْلُ مَنْ
١٠٢. عَلَى الَّذِي شَقَّ لِلْاْهْتِمَامِ
١٠٣. لَوْلَمْ يَكُنْ كَذَا لِكَانَ مُغْرِيَا
١٠٤. لِحَلِيقِ الشَّهَوَاتِ وَالْمَيْلِ إِلَى
١٠٥. فَلَا غَنَى عَنْ رَاجِرِ وَفَاءِ
١٠٦. وَالْعِلْمُ غَيْرُ كافٍ عَنْهُ رَاجِرَا
١٠٧. حُصُولُ هَذَا مَعْ قَصَاءِ الْوَظَرِ
١٠٨. لَهُ طَرِيقُ الْخُسْنِ تَعْرِيْضٌ إِلَى

لُنْ يَبْتَدِي بِهِ بِلَا مَقَالٍ

١٠٩. مُقارن التَّعْظِيمُ والإْجْلالِ

الخامس:

مُقْرَبٌ، أَوْ مُبْعَدٌ فِي لِفَهْمِهَا
يَبْلُغُ إِلَى إِضَرَارِهِ، أَيْضًاً أَعْقَلاً
عَلَيْهِ مَوْقُوفٌ بِلَا تَكَلِّفٍ
تَحْقِيقَ الْعِلْمِ لِمَنْ مُنْفَذٌ
إِلَّا يَفْعُلِيهِ عَلَيْهِ يَسْهُلٌ
لَكَانَ تَاقِصَ الْمُرَادِ، فَاقْبَلَ
لَا تَنْسِبْهُ إِلَى الذِّي عَلَى

١١٦. وَقُبْحُهُ ظَاهِرٌ عِنْدَ الْعُقَالِ

١١٥. فَذَلِكَ الْمُرِيدُ لَوْلَمْ يَفْعَلِ

١١٤. أَيْنِ: عِلْمُهُ بِأَنَّهُ لَا يَفْعَلُ

١١٣. فَمَنْ أَرَادَ فِعْلَ غَيْرِهِ إِذَا

١١٢. فَإِنَّ مَا أَرَادَ مِنْ مُكَلِّفٍ

١١١. وَلَيْسَ فِي تَمْكِينٍ لِخَطْطٍ (٢٢) وَلَا

١١٠. الْلَطْفُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ، وَهُوَ مَا

ال السادس:

إِلَهَ الْعَالَمَيْنِ وَاجِبُ حَسَنٍ
خَالِي مِنَ التَّعْظِيمِ لِلذِي أَحَقُّ
سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ عَالَمًا
حَتَّمْ، وَإِلَّا عَبَثٌ بِلَا كَرَمٍ

١١٧. تَعْرِيْضُنَا بِالْأَلْمِ الصَّادِرِ عَنْ

١١٨. وَغَرَصُ مَعْنَاهُ نَقْعُ مُسْتَحْقِنْ

١١٩. إِنْ لَمْ يُعَوَّضْ فَهُوَ كَانَ الظَّالِمَا

١٢٠. وَكُونُهُ زِيَادَةً عَلَى الْأَلْمِ

الفصل الخامس في النبوة

عَنْ خَالِقٍ بِلَا تَوْسُطِ الْبَشَرِ

١٩١. نَبِيٌّ: الْإِنْسَانُ صَاحِبُ الْخَبْرِ

أولئك: في مباحث التبُّوءة

١٦٦. هُنَّا مَبَاحِثٌ وَذَاتٌ قُوَّةٌ

الأول:

بُوْ وَّ صَالِحٌ عَبْدِ اللَّهِ
 دُوْ مُعْجِزٍ، تَحْوَوْ كلام اللَّهِ
 كَذَاكَ تسبِيح حصى مُسَخِّر
 وَالْخَيْرُ الْغَيْرِيُّ فِي الْمَوَاقِعِ
 مِنَ الْذِي قَلَّ مِنَ الطَّعَامِ
 يَكُنْ وُنْ صَادِقًا فِي الْاِدْعَاءِ
 إِنْ يَكُنْ كَاذِبًا مُحَالٌ حَتَّمَا

١٩٣. قَدِ ادَّعَى مِنْ جَانِبِ الإِلَهِ
١٩٤. مُحَمَّدٌ رَسُولُهُ دُوْ الجَاهِ
١٩٥. عَلَى يَدِ الْعَلِيِّ ادْشِقَافُ الْقَمَرِ (٢٣)
١٩٦. يَنْبُوْعُ مَاءٍ وَسَطْ الأَصَابِعِ
١٩٧. وَمُشْبِعُ الْكَثِيرِ دُوِّ الْإِعْنَامِ
١٩٨. إِعْجَازُهُ أَكْثَرُ مِنْ إِحْصَاءِ
١٩٩. إِغْرَاؤُنَا عَلَى قِيَحٍ لِرِمَانِ

الثاني:

تَعْرِيفُهُ بِالْفُظُّوْلِ الْحَفِيْ

يَحِيَّثُ لَا يَكُونُ دَاعِ مُؤْلِفٌ
 مَعْ قُدرَةٍ عَلَيْهِ، يَا ذَا التَّحْلِيَةِ
 لَمْ تَعْتَمِدْ بِقَوْلِهِ مَفْهُومًا
 مُحَالٌ هَذَا، خُذْ بِلَا إِشْكَالٍ

١٣٠. قَدْ وَجَبَ الْعِصْمَةُ فِي النَّبِيِّ
١٣١. يَفْعَلُهُ الْوَاجِبُ بِالْمُكْلَفِ
١٣٢. لِتَرْكِ طَاعَةٍ وَفِعْلِ مَعْصِيَةٍ
١٣٣. فَإِنَّهُ لَوْلَمْ يَكُنْ مَعْصُومًا
١٣٤. فَتَنْتَفِي فَائِدَةُ الْإِرْسَالِ

الثالث:

مِنْ أَوَّلِ الْعُمُرِ إِلَى النَّهَايَةِ
 طَاعَةٌ مَنْ يَعْصِي بِعِصْيَانِ جَلِي
 إِلَيْهِ مَيْلُ النَّفْسِ مِنْ كُفْرَانِ

١٣٥. وَفِي [الـ]نَّبِيِّ وَجَبَتْ لِلْغَایَةِ
١٣٦. لِعَدَمِ اقْتِيَادِ قَلِيلَنَا إِلَى
١٣٧. وُقُوعُهُ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ

الرابع:

تَقَدُّمَ الْمَفْسُولِ^(٢٤) قَوْمَهُ اجْتَنَبَ
كَقُولَهُ: ﴿يَهُدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ﴾^(٢٥)

١٣٨. وَكُونُهُ أَفْضَلُ عَصْرِهِ يَحِبُّ
١٣٩. عَقْلًا وَسَمِعًا مَا تَقُولُ الْمُسْتَحْقُ

الخامس:

وَعَهْ رِأْمَهْ مِنْ لِلأَنْبِيَاءِ
أَيْضًا، وَعَنْ عُيُوبِهِمْ خَلِيقَةُ
فَيَسْقُطُونَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ

١٤٠. تَزْرِيهُ عَنْ دَنَاءَةِ الْآبَاءِ
١٤١. كَذَاكَ عَنْ رَذَائِلِ الْخَلِيقَةِ
١٤٢. وَالنَّفْضُ فِي كُلِّ بِلَا التِّبَاسِ

الفصل السادس في الإمامة

وفي مباحث:

الأول:

أُمُورِ شَيْئِينِ لِشَخْصٍ اقْتُضَى
إِمَامَةً تَكُونُ لطَفَ اللَّهِ
لَهُمْ رَئِيسٌ مُرْشِدٌ مَحَقَّقاً
بِرَدَّهِ كَانَ الصَّالِحُ قَدْ عُلِمْ
مُفِيْضٌ إِحْسَانٍ وَحَسِيرٌ انجَلِي

١٤٣. إِمَامَةً: رِئَاسَةً تَعْمَمُ فِي
١٤٤. وَاجِبَةً عَقْلًا مِنَ الإِلَهِ
١٤٥. نَعْلَمُ أَنَّهُمْ إِذَا تَحَقَّقَ
١٤٦. مُنْتَصِفٌ مِنْ ظَالِمٍ لِمَنْ ظَلَمْ
١٤٧. قَدْ مَرَأَ اللَّطَفَ وَاجِبٌ عَلَى



الثاني:

١٤٨. قَدْ وَجَبَ الْعِصْمَةُ فِي الْإِمَامِ
 ١٤٩. إِنْ لَمْ تَحِبْ فَاللَّازِمُ التَّسْلِسُلُ
 ١٥٠. وَلَوْ عَصَى لَكَانَ إِنْ كَانَ يَحِبْ
 ١٥١. إِنْ لَمْ يَحِبْ فَالْأَمْرُ بِالْإِحْسَانِ
 ١٥٢. وَحَافِظْ لِلشَّرْعِ فَهْيَ وَاجِبَةٌ
 ١٥٣. تُبُوْتُهَا سَمْعًا، كَقَوْلِهِ عَلَا:
 (يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) بَعْدَ (لا) (٢٦)



وَمِنْ رَسُولِهِ بِلَا اشْتِبَاهٍ
 إِلَّا إِلَهٌ بِالصَّوَابِ أَعْلَمُ
 عَلَى وُجُودِ الصَّدْقِ لِنِسْ إِلَّا

رَعِيَّةٌ، كَمَا مَضَى مِمَّنْ أَمِنْ (٢٧)

عَلَيْ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِمَامِي
 كَالْقَوْلِ فِي مَنْزِلَةِ تَوَاتِرًا
 كَقَوْلَتَا: (أَنْفَسَنَا) (٢٨) يُفَضِّلُ

١٥٤. وَاجِبٌ أَنْ يَكُونَ مِنْ إِلَهٍ
 ١٥٥. فَإِنَّهَا مَخْفِيَّةٌ لَا يَعْلَمُ
 ١٥٦. إِظْهَارُ مَا أَعْجَزَ فِيهِ دَلَّا

الرابع:

١٥٧. خُذْ بِالْوُجُوبِ كَوَهُ أَفْضَلَ مِنْ

الخامس:

١٥٨. بَعْدَ الرَّسُولِ صَاحِبِ الْمَقَامِ
 ١٥٩. بِالنَّصْ مِنْ نَيْنَانَا تَظَاهَرَا
 ١٦٠. فَإِنَّهُ بَعْدَ الرَّسُولِ أَفْضَلُ

الثاني:

١٤٨. قَدْ وَجَبَ الْعِصْمَةُ فِي الْإِمَامِ
 ١٤٩. إِنْ لَمْ تَحِبْ فَاللَّازِمُ التَّسْلِسُلُ
 ١٥٠. وَلَوْ عَصَى لَكَانَ إِنْ كَانَ يَحِبْ
 ١٥١. إِنْ لَمْ يَحِبْ فَالْأَمْرُ بِالْإِحْسَانِ
 ١٥٢. وَحَافِظْ لِلشَّرْعِ فَهْيَ وَاجِبَةٌ
 ١٥٣. تُبُوْتُهَا سَمْعًا، كَقَوْلِهِ عَلَا:

الثالث:

١٥٤. وَاجِبٌ أَنْ يَكُونَ مِنْ إِلَهٍ
 ١٥٥. فَإِنَّهَا مَخْفِيَّةٌ لَا يَعْلَمُ
 ١٥٦. إِظْهَارُ مَا أَعْجَزَ فِيهِ دَلَّا

الرابع:

١٥٧. خُذْ بِالْوُجُوبِ كَوَهُ أَفْضَلَ مِنْ

الخامس:

١٥٨. بَعْدَ الرَّسُولِ صَاحِبِ الْمَقَامِ
 ١٥٩. بِالنَّصْ مِنْ نَيْنَانَا تَظَاهَرَا
 ١٦٠. فَإِنَّهُ بَعْدَ الرَّسُولِ أَفْضَلُ

لَا أَحَدٌ مِنْهُمْ بِلَا مُسَاءَلَةٌ
 لَا غَيْرٌ بِالْجَمَاعِ لِلْعِيْرِ وَ
 وَقَائِعٌ إِلَيْهِ عَكْسٌ يَفِي
 وَكُوْنُّهُ أَزْهَدَهُمْ جَائِي
 عَنْ كُلِّ مُسْتَذَدَّهَا تَعَرَّضَا
 وَ{إِنَّمَا وَلِيْكُمْ} (٢٩) مُبَيِّنٌ
 وَبَعْدَهُ الْخَسِينُ اتَّصَالٍ
 وَبَعْدَهُ الْبَاقِرُ ذُو الْكَلَامِ
 فَصْلٌ فَمُوسَى الْكَاظِمُ اقْبِلَ اقْبِلًا
 ثُمَّ الْجَوَادُ هَكَذَا الْهُمَامُ
 فَالْحَسْنُ ابْنُهُ بِلَا التَّبَاسِ
 فَإِنَّهُمْ خَلِيفَةُ الرَّحْمَنِ (٣٠)
 لِاِحْقَاهِ وَبِالسَّوَابِقِ اعْقَلَا

١٦١. إِلَيْهِ الْاحْتِيَاجُ فِي الْمُبَاهَلَةِ
١٦٢. فَإِنَّهُ الْمَعْصُومُ بِالْوُجُوبِ
١٦٣. وَإِنَّهُ أَعْلَمُ لِلرُّجُوعِ فِي
١٦٤. وَقَوْلُهُ: «أَقْضَاكُمْ عَلَيْهِ»
١٦٥. قَدْ ظَلَقَ الدُّنْيَا ثَلَاثًا أَعْرَاضًا
١٦٦. أَدِلَّةٌ إِحْصَاؤُهَا لَا يُمْكِنُ
١٦٧. وَالْحَسْنُ ابْنُهُ بِلَا اِنْفَصالٍ
١٦٨. ثُمَّ عَلَيْهِ ابْنُهُ إِمَامٍ
١٦٩. جَعْفُرُ الصَّادِقُ بَعْدَهُ بِلَا
١٧٠. ثُمَّ عَلَيْهِ الرَّضَا إِمَامٌ
١٧١. وَبَعْدَهُ الْهَادِيُّ إِمَامُ النَّاسِ
١٧٢. وَبَعْدَهُ اعْرِفْ صَاحِبَ الزَّمَانِ
١٧٣. يَنْصُّ كُلُّ سَابِقٍ مِنْهُمْ عَلَى

الفصل السابع

في المعاد

عَلَى الْمَعَادِ الْبَدَنِيِّ حَقًّا
 تَكْلِيفُهُ فَمُمْكِنٌ مُنْظَحًا
 فَكَوْنُهُ حَقًّا مِنَ الْلَّاهُوتِ

١٧٤. عَمَّ اتَّفَاقُ الْمُسْلِمِينَ صِدْقًا
١٧٥. فَإِنَّهُ لَوْلَا مَعَادٍ قَبُحًا
١٧٦. وَصَادِقُ أَخْبَارِ الْثُبُوتِ



جَاهِدُهُ الْمَذْمُومُ بِإِزْدَيَادٍ
فَبَعْثَهُ عَقْلًا وَسَمْعًا مُفْتَرَضٌ
سَمْعًا فَقَطْ تَذَارِكَ الدُّنْوُبِ
يُكُلُّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ
إِنْطَاقُ أَعْضَاءِ، تَظَائِرُ الْكُتُبِ
إِحْبَارًا فِي كُلِّ الْمَوَافِقِ؟؟
وَمِنْهُ مَا يُقَابِلُ الْعِقَابِ
عَنْ صَادِقٍ بِهِ صَلَاةُ ذِي الْعُلَا
بِدُونِهَا الْغُفرَانُ لَا سَتُوجِبُ
نَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ أَيْضًا، فَخُذَا
كُنْهُهُمَا حَقًّا بِلَا اشْتِبَاهٍ
فَذْعَبَثَا فِيهِ مَعَ ارْتِيَاضٍ
بِدُونِهَا سُقْوَطٌ كُلُّ قَدْ ظَهَرَ

١٧٧. آيَاتُهُ دَلَتْ عَلَى الْمَعَادِ
١٧٨. وَ**كُلُّ مَنْ عَلَيْهِ**^(٣١) أَوْلَهُ عِوْضٌ
١٧٩. وَغَيْرُهُ الْعَائِدُ بِالْوُجُوبِ
١٨٠. قَدْ وَجَبَ الْإِفْرَارُ وَالْقَبُولُ
١٨١. وَمِنْهُ مِيزَانُ صِرَاطِ وَجَبِ؟
١٨٢. فَإِنَّهُ سَامِكَةٌ، وَصَادِقٌ
١٨٣. وَبَعْضُ مَا جَاءَ بِهِ الشَّوَّابُ
١٨٤. تَفْصِيلٌ هَذَيْنِ مِنَ الشَّرْعِ عَلَى
١٨٥. وَمِنْهُ تَوْبَةٌ نَصْوُحُ تِحْبُّ
١٨٦. وَالْأُمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَاجِبٌ كَذَا
١٨٧. بِشَرْطٍ عِلْمٌ آمِرٌ وَنَاءٌ
١٨٨. إِنْ يَتَوَقَّعَا، فَإِنَّ الْمَاضِي
١٨٩. تَجْوِيزُ تَأثِيرٍ وَأَمْنٌ مِنْ ضَرَرٍ

[الخاتمة:]

نَحْمَدُهُ حَمْدًا بِلَا تَنَاءٍ
لَفِي ثَلَاثِينَ وَأَلْفٍ وَمِئَةٍ
سَوْيِدَ هَذَا كَانَ بِالرَّمَانِ

١٩٠. تَمَّ مُرَادُنَا بِعَوْنَانِ اللَّهِ
١٩١. وَإِنَّ مَا نَظَمْتُهُ مُنْبَتَهٌ
١٩٢. قَاصِرَةٌ جَاءَتْ لِعْبَدٍ جَانِي

وقد فرغت عن تسويد هذا الكتاب بعون الملك الوهاب، في يوم أخذني
خمسين ألف سنة [كذا].

وقد شرعت فيه فيه^(٣٢) وهو يوم الثلاثاء من شهر جمادى الأولى سنة ١٤٤٦
هجري[ة].

وكل غلط يرى فيه من نسخة الصاحب لا من سهو الكاتب.

* هوامش البحث *

١. هو المولى خليل بن الغازى القزويني (١٠٠١-١٠٨٩ هـ)، أحد مشاهير علماء الإمامية، ولد
بقزوين في شهر رمضان سنة إحدى وألف، وقرأ على جماعة من العلماء، منهم: بهاء الدين
محمد بن الحسين بن عبد الصمد العاملي، والسيد محمد باقر بن محمد الحسيني الإسترابادي
إصفهاني المعروف بالداماد، محمود الرناني، والمولى حسين اليزيدي، وأبو الحسن القائيني
المشهدي.

وظهر تفوقه في وقت مبكر، وصار وهو في أوائل الثلاثين من عمره متولياً لمشهد السيد عبد
العظيم الحسيني ببلدة الري، ومدرساً به في عهد الوزير السيد الحسين بن رفيع الدين محمد
المعروف بسلطان العلماء، وكان الوزير المذكور شريكًا للمترجم في الأخذ عن المولى حسين
اليزيدي بمشهد الرضا عليه السلام ثم عزل، فتوجَّه إلى مكة المكرمة، وجاور بها برهة من
الزمان مقبلًا على الجمع والتصنيف، ثم عاد إلى بلده قزوين، فسكنها وشرع في التصنيف
والتأليف ونشر العلوم.

وكان فقيهًا، أصولياً، محدثاً، متكلماً، دقيق النظر، غزير العلم، مبجلاً عند سلاطين الصفوية
والوزراء والناس عدّ من علماء الاخبارية، لكن اهتمامه بالأصول والفلسفة أثار الشكوك
في كونه منهم هذا.

وقد أخذ عن المترجم طائفة من العلماء، منهم: أولاده : أحمد وأبو ذر وما تا في حياته،
وسلمان، وأخوه محمد باقر بن الغازى، وبابا بن محمد صالح القزويني، ورضي الدين محمد بن



الحسن القزويني، و محمد التبريزي المعروف بالمجذوب، و محمد كاظم الطالقاني، و محمد يوسف بن بهلوان صقر القزويني، و محمد صالح القزويني المعروف بالروغفي، و علي أصغر بن محمد يوسف القزويني، و معصوم القزويني، و السيد محمد مؤمن بن محمد زمان الطالقاني القزويني، و محمد تقي الدهخوارقاني ثم القزويني، و رفيع الدين محمد بن فتح الله القزويني.

و صنف ثلاث رسائل في الجمعة و له أيضاً : الصافي في شرح الكافي للكليني أله بالفارسية في مدة عشرين سنة، الشافي في شرح الكافي لم يتم، شرح عدة الأصول في أصول الفقه للطوسى، حاشية على مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسى، الرسالة التجفية في مسائل الحكمة، الرسالة القيمية في مسائل الحكمة، تعليقات على توحيد الصدوق، والمجمل في النحو، وغير ذلك توفي بقزوين - سنة تسع وثمانين وألف. (جامع الرواية، ١٩٩٨-١، أمل الآمل ١١٢-٢ برقم ٣١٤، روضات الجنات ٣-٢٦٩ برقم ٢٨٧، رياض العلماء ٢-٤٦١، هدية العارفين ١-٣٥٤، تبيح المقال ١-٤٠٣ برقم ٣٧٧٦، الفوائد الرضوية ١٧٢، هدية الأحباب ١٧٦، أعيان الشيعة ٦-٣٥٥، ريحانة الأدب ٤-٤٥٠، طبقات أعلام الشيعة ٥-٤٠٣، الذريعة ٤-١٥ برقم ١٧، الاعلام ٦-٣٦٨، معجم رجال الحديث ٧-٧٤ برقم ٤٣٣، معجم المؤلفين ٤-١٣٥، معجم المفسرين ١-١٧٥).

٢. هو السيد قوام الدين محمد بن محمد مهدي الحسيني السيفي، الفقيه الإمامي، الأديب، صاحب الأراجيز الكثيرة . أقام في أصفهان مدة . وتلتمذ على القاضي جعفر بن عبد الله الكمرئي الأصفهاني، و اختص به .

وأخذ شطراً من العلوم والمعارف الدينية عن المحدث الكبير الشيخ محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، وحصل منه على إجازة تاریخها سنة (١١٠٧ هـ). وأجاز له السيد علي خان بن نظام الدين أحمد المدنی بأصفهان، وأثق عليه كثيراً، ثم ذكره في كتابه سلافة العصر. ومهر في علوم العربية وغيرها، ونظم في شق الفنون كثيراً من المتون.

تلتمذ عليه: محسن بن محمد طاهر النحوي القزويني، وعبد النبي بن محمد تقي القزويني . وصحبه محمد علي بن أبي طالب الحزین برهة في أصفهان ثم في قزوين، وقال في حقه: كان من أفضل الدهر ونبلاه العصر في علوم العربية والفقه والحديث، جليلأً قدره.

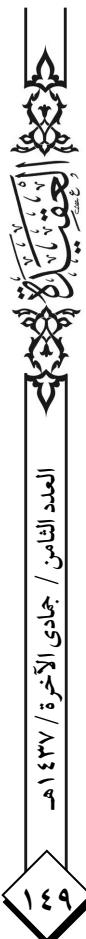
وللمترجم مؤلفات، منها : التحفة القومية في نظم اللمعة الدمشقية في الفقه للشهيد الأول، نظم زبدة الأصول في أصول الفقه للشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين العاملی، نظم مختصر الأصول لابن الحاجب، الصافية في نظم الكافية في النحو لابن الحاجب، الوافیة في نظم

الشافية في التصريف لابن الحاجب، نظم الشاطبية في القراءات، نظم خلاصة الحساب للشيخ البهائي، حاشية على الشفاء لابن سينا، رسالة في العروض، أرجوزة في الطب، وأرجوزة في الأخلاق، وما سوى ذلك.

وله شعر كثير بالعربية والفارسية والتركية، ومكتبات ومراسلات مع العلماء والأدباء مثل السيد علي خان المدنى، والسيد نصر الله الحائري المدرس، والسيد نور الدين بن نعمة الله الجزائري التستري.

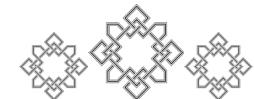
توفي في نحو سنة خمسين ومائة وألف، وكان السيد عبد الله بن نور الدين الجزائري التستري قد اجتمع به بقزوين في عشر الحسينين بعد المائة والألف، وقال: إنه راسلني بعد ما فارقته بمنظومة جيدة وأجبته مثلها، وتوفي بعد ذلك بزمان يسير. (الإجازة الكبيرة للتستري، ١٦٥ الفوائد الرضوية، ٦٢١، الكفى والألقاب ٩٠/٣، أعيان الشيعة ٤١٢/٩ و ٧٤/١٠، ريحانة الأدب ٤٩٢/٤، الذريعة ٤٦٢/٣، برقم ١٦٨٨ و ٢١٣/٤٤ و ٢٣٠ برقم ١١٧٩، طبقات أعلام الشيعة ٦٠٣/٦).

٣. الفهرست لمشاهير وعلماء زنجان، ص ٨٨.
٤. لاحظ: الذريعة، ج ١، ص ٤٩٤، وص ٤٩٩.
٥. الفهرست لمشاهير وعلماء زنجان، ص ٨٨ - ٨٩.
٦. لاحظ الذريعة، ج ١٢٩، ٤٤، بتصريف.
٧. لاحظ: الذريعة، ج ١، ص ٤٩٤، وج ٣، ص ٧.
٨. مكتبة العالمة الحلي، ص ٦٩.
٩. لاحظ: فهرس مخطوطات مكتبة آية الله المرعشى التجي، ج ٧، ص ٣٥٧.
١٠. في الأصل: «ذو النوال»، والصواب ما ثبّتنا.
١١. أي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (سورة المائدة، الآية ٥٥).
١٢. في الأصل: «مُمْتَنِعًا»، والصواب ما ثبّتنا.
١٣. ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْحَسِيرُ﴾ (سورة الأنعام، الآية ١٠٣). وقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْحَسِيرُ﴾ (سورة الإسراء، الآية ١). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (سورة غافر، الآية: ٢٠). وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (سورة غافر، الآية ٥٦).



- وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَوْثِلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (سورة الشورى، الآية ١١).
 .١٤. لاحظ: المواقف، ج ٣، ص ٧١٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٣، ص ٢٢٣.
 .١٥. القمن: الخليق والجدير. (لسان العرب، ج ١٣، ص ٣٤٧).
 .١٦. من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَمُهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾. (سورة الأعراف، الآية ١٤٣).
 .١٧. لاحظ: المواقف للإيجي، ج ٣، ص ٤٠٣؛ النافع يوم الحشر، ٥٦.
 .١٨. في الأصل: «ذى امتنان»، والصواب ما أثبتناه.
 .١٩. رفعه للضرورة وحقه النصب.
 .٢٠. وهو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾. (سورة الزلزلة، الآية ٨-٧).
 .٢١. منه قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبُتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْدًا﴾. (سورة المؤمنون، الآية ١١٥). وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظُنُونُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّاسِ﴾. (سورة ص، الآية ٢٧). وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾. (سورة النازيات، ٥٦).
 .٢٢. كذا في الأصل، ولعله: خطأ.
 .٢٣. كما في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ افْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَخِرٌ﴾. (سورة القمر، الآية ٢١).
 .٢٤. هامش المخطوط: أي على الفاضل.
 .٢٥. وذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحُقْقِ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحُقْقِ أَحَقُّ أَنْ يَتَبَعَ أَمْنَ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهَدَى فَمَا لَكُمْ كِيفَ تَحْكُمُونَ﴾. (سورة يونس، الآية ٣٥).
 .٢٦. وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الطَّالِمِينَ﴾. (سورة البقرة، الآية ١٤٤).
 .٢٧. في هامش المخطوط: أي كما تقدم في النهي.
 .٢٨. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهُ فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾. (سورة آل عمران، الآية ٦١).

أرجوحة في فنون الباب المادي عشر / الشیخ الزنگانی



٦٩. يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا يُقْيِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْثِرُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾. (سورة المائدة، الآية، ٥٥).

٣٠. كذا، والوجه: خلفاء الرحمن، إلا أنه لا يتم معه الوزن.

٣١. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَان﴾. (سورة الرحمن، الآية ٢٦).

٣٢. كذا ورد بتكرار: (فيه)، والمقصود: في النظم في ذلك اليوم.

وصيّة السيدة الزهراء

وثيقة حيّة وصرخة مدوّية

السيد محمود المقدس الغريفي

تُعد خطبَيَّ الزَّهْرَاءُ عَلَيْهَا الْمَسْكُونَةُ بما تحملانه من عُمق فكري وعقائدي، وبُعدٍ تأريخي، وسجلٍ وثائقِي، خيرٌ شاهد على ما حَدَثَ بَعْدَ وفاةِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما جَرَى مِنْ حَزْبِ الْقَرْشِيِّ بِالْانْقِلَابِ عَلَى خط الرِّسَالَةِ، واعتصَابِ الْخَلَافَةِ الْكَبْرِيِّ، والتمسُّكِ بِزَمامِ الْحُكْمِ بِكُلِّ صُورَةٍ، وتحتِ أي ذريعةٍ وغطاءٍ، وتشبيهِمْ حتَّى باللهوَاءِ وَالسَّمَاءِ، ومحاوَلةِ إقصاءِ كُلِّ مَنْ يَحَاوِلُ إيقافِهِمْ عَنْ مَسَارِهِمْ وَهَدْفِهِمْ الْمَنْشُودِ، وبِالْخُصُوصِ أَهْلِ الْحَقِّ الشَّرْعِيِّ وَأَصْحَابِ النَّصِّ الإِلَهِيِّ، بْنَى هَاشِمَ رَهْطَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعِشِيرَتِهِ، وَبِالْأَخْصِ سَيِّدِهِمْ وَعَمَدِهِمْ صَاحِبُ الْحَقِّ الْمَنْصُوصُ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ عَلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهَا.

هذا، ولم يقفوا في ذلك إلى حدٍ معين، بل وصل بهم الأمر إلى القتل كما جرى على الصّاحبِيِّ الْجَلِيلِ مالِكَ بْنَ نُوَيْرَةِ التَّمِيمِيِّ الْيَرْبُوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَلَى قَوْمِهِ، وما حاكوه من دسائِسٍ لاغتيالِ أمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهَا قَبْلَ ذَلِكَ، وما جَرَّ بعدها من ظلمٍ للزَّهْرَاءِ فاطِمَةِ بَنْتِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وغضَبَ حَقَّهَا وَإِرْثَهَا، وما سجلهُ التَّارِيخُ مِنْ مَآسٍ فضيحةٍ عَلَى بَابِ دَارِهَا عَلَيْهَا وَالاعتداءُ عَلَيْهَا، وما لَحِقَّهَا مِنْ خروجِ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا إِلَى مَسْجِدِ أَبِيهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِلَاقَهَا خَطْبَتِهَا الشَّهِيرَةِ أَمَامَ الْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَاحتجاجَهَا عَلَى الْحُكْمُوَةِ الْقَرْشِيَّةِ الْقَبْلِيَّةِ الْقَائِمَةِ، وَإِظْهَارِ



زيف دعواهم، وإبطال أكاذيبهم وحجتهم الفارغة، بالدليل القرآني والحججة الشرعية والعقلية، وما تبعها من خطبتها الثانية مع نساء المهاجرين والأنصار، عندما عدناها في مرضها وسألتها عن حالها فانطلقت في خطبتها كالبحر الهائج عتاباً هن وتوبياً لرجالهن...

وقد أهتم العلماء والباحثون اهتماماً بالغاً وباستحقاق بهاتين الخطبيتين العظيمتين، وخصوصاً الخطبة الأولى، إذ شرحت شروحات عديدة، وعلقت عليها تعليقات جمة؛ لفهم مغزاها، وكشف مكونها، وتفسير كلامها، وتوثيق احتجاجها ورفضها، ورسم معالم أهم مرحلة تاريخية بعد وفاة رسول الله ﷺ، وما جرى على الأمة من أحداث وتقلبات، كان نتيجتها إقصاء أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام وعزله عن حقه الطبيعي ومنصبه الإلهي بالخلافة الكبرى وإدارة شؤون الدولة الإسلامية.

ولكنها عليه السلام لم تتوان، بل واصلت مسيرتها في رحلة الاحتجاج والرفض للانقلابيين، الغاصبين، الظالمين، إلى حين وفاتها، بل وثبتت ذلك عند آخر عهدها بالحياة، وفي وصيتها المباركة، حين أوصت أن لا يحضر جنازتها أحد من الانقلابيين، خصوصاً من الذين ظلموها وغضبوها حقّها، وأن تدفن سراً في الليل، حتى لا يقفوا على قبرها، وأن يعفى ثرى قبرها ولا يعرف...

فأثارت بذلك الشكوك والتساؤلات بين الناس؟!

وأنها لماذا أوصت بذلك بنت رسول الله ﷺ؟

وما هو هدفها وغايتها؟

هذا في أهم فقرات وصيتها المباركة.

كما إنّ في وصيتها مضامين عاليةً، ودروسًا عظيمة، وأهدافاً سامية، في مجل فقراتها الأخرى، فضلاً عما يستفاد من العِزَّة والعبرة من بنت الرسالة والنبوة فاطمة الزهراء عليهما السلام.

إلا أن التعرض إلى هذه الوصيّة المباركة، بالشرح والتعليق، والدراسة والتحقيق؛ لفهم مكنونها وأسرارها، لم يكن بالمستوى المطلوب، بل كان غالباً بصورة عابرة وباقتضابٍ مُخلّ، يصل إلى حد الإشارة فقط لكثير من فقراتها ونصوصها، وأنه لم يسلط الضوء عليها؛ لمعرفة مغزاها وكنهها، وما يستخرج من منجمها الثر بالتحليل والدراسة، كما سلط الضوء على خطبتيها الشريفتين عليهما السلام، بالشرح والتحليل والتدقيق والتعليق.

ومن هنا كانت محاولتنا المتواضعة هذه، كنقطة بدء في قراءة وصيّة الزهراء عليهما السلام، من بعض ما لملمه من كلمات وصيّتها المترفرقة، وأرجو أن تتبعها خطوات أخرى من الباحثين والمهتمين بتراث هذه السيدة العظيمة، الصديقة المظلومة عليهما السلام.

وقد رويت هذه الوصيّة المباركة بروايات مختلفة، وأوقات متفاوتة، ومضمamins متعددة، مع اختلاف بعض ألفاظها، إلا أن المنبع والقليل واحد، وأنها تحمل فكر الزهراء عليهما السلام، حيث أن الأصل التام ما زال محفوظاً عند أولادها الأطهار عليهما السلام مودعاً في مصحفها الشريف - مصحف فاطمة - كما أشارت لذلك بعض أخبارهم عليهما السلام.

- الوصيّة المباركة بين النص والمضمون:

الإسلام شريعة الله عز وجل في الأرض، ومنهجه في بناء الإنسان، وتقويم سلوكه المادي والروحي، في كافة أبعاده وجوانبه.

ثم وضع الأسس المثلثة لهذه الشريعة الغراء في كتابه المنزل القرآن الكريم، وأجراها على لسان خاتم الأنبياء ورسله محمد عليهما السلام فيما ورد عنه من الأحكام والسنن، حيث أنه (وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَمَهُ شَدِيدُ

الْفَوَىٰ)^(١)، في جميع مفاصل الإنسان الحياتية وتحركاته، وكل حالاته النفسية والروحية وسكناتها، إذ ترى الإسلام قد شرع أحكاماً، وسنناً، وآداباً، وسلوكيات، لمعظم نواحي الحياة.

فعلى سبيل المثال دخل الإسلام إلى مكان التخلي وشرع له أحكاماً وأداباً،
وانفتح على مخدع الزوجين وسن له أعمالاً وسنناً شريفة، ورحل مع المسافر في سفره
ورسم له آداباً وسلوكيات كريمة، وأعدّ لما قبل الموت وبعده أحكاماً وسنناً وأداباً
رشيدة، ونحو ذلك من الأمور.

وما هذا إلا إزالة للعقبات، وتعبيداً للطرق، وتنويراً للدرب، أمام الإنسان،
لكي يرتقي بالمسلمين إلى التكامل الروحي المنشود.

وكان من جملة الحقوق والسنن التي أرشد إليها الإسلام وحث عليها، الوصيّة قبل الوفاة؛ لضمان حق الميت وتنجيز رغباته بعد الموت وتفعيلها، في ثلث تركته فقط، ويُحفظ حق الورثة في الثلثين.

فَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي أَثْرِ الْوَصِيَّةِ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ (٢).

أما في السنة الشريفة، فهناك جملة من الروايات ترشد وتوكّد استحباب كتابة الوصيّة، منها:

ما ورد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: الوصيّة حقّ، أوصى رسول الله عليه السلام فينبغي للمسلم أن يوصي^(٣).

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: هِيَ حَقٌّ - أَيُّ الْوَصِيَّةِ - عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ^(٤):

وقال عَلَيْهِ الْمَسْكُونَ: ما يَنْبَغِي لِأَمْرِئٍ مُسْلِمٍ أَنْ يَبْيَطْ لِيلَةً إِلَّا وَوَصَّيْتُهُ تَحْتَ رَأْسِهِ^(٥).

بل عَدَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ مَيْتَةِ الْجَاهِلِيَّةِ الْمَوْتَ بِلَا وصِيَّةً، حَيْثُ قَالَ: مَاتَ بِغَيْرِ وصِيَّةٍ مَاتَ مَيْتَةً جَاهِلِيَّةً^(٦).

وقد استفاضت الأحاديث والروايات بل تواترت على أن رسول الله عليه السلام قد أوصى قبل وفاته، وكان من أهم فقرات وصيّته شيوعاً وانتشاراً، بين العامة والخاصة، ما رواه أبو سعيد الخدري عن رسول الله عليه السلام أنه قال: إني أوشك أن ادعى فأجيب، وإنني تارك فيكم الشقلين، كتاب الله عز وجل، وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وأن اللطيف أخبرني أنّهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفو فيهما^(٧).

وكذلك قد أوصى الأئمّة الاثنا عشر المعصومون عليهم السلام قبل وفياتهم، وقد انتشرت جملٌ من وصاياتهم في كتب المسلمين العامة، وكان من جملة وصايا الحجج المعصومين الأطهار عليهم السلام، الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا هي وصيّة سيدتنا ومولاتها فاطمة الزهراء عليها السلام، حيث تعدّ وصيّتها درة ناصعة من درر أهل البيت الأطهار عليهم السلام، وكل كلامهم دُررٌ، وتناثرت جملٌ كثيرة منها هنا وهناك، وتفرقـت بين ثنايا المصادر وطيـات السطور، وانتشرت مقاطع من وصيّتها في كتب التأريخ والسير.

ولكن من خلال لملمة هذه المترفات، وجمع المتناثرات، من بين الروايات والأخبار، التي تضمنت أجزاء من وصيتها المباركة مع غض الطرف عن المتكرر منها، نصاً أو مضموناً، حيث أنها رويت تارة عن صورة رقعة مكتوبة، وأخرى وردت كلاماً بال المباشرة مع عليٍ أمير المؤمنين عليهما السلام، وبعضها يروي أجزاء من وصيتها، كما في بعض الروايات الواردة عن أولادها المعصومين عليهم السلام.

ونحن وإن لم نجر استقراء كلياً لجميع الروايات والأخبار التي نقلت مضمون الوصيّة المباركة، ولكن نرى - لا على سبيل الجزم - أن ما سنذكره يعبر عن



مضمّون وصيّتها المباركة في الجملة، وعرض لأهم فقراتها، على ما اشتهر منها وشاع، حيث إنَّ في وصيّتها بعضاً من مختصاتها وخصوصياتها عليهما السلام، والتي تحوي بعض معارفها الخاصة، وهو ما زال مكتوناً ومحفوظاً عند أحفادها الأئمة المعصومين عليهم السلام وربما أشار أبو عبد الله الصادق عليهما السلام إلى هذا المعنى بقوله: ولخرجوا مصحف فاطمة فإن فيه وصيّة فاطمة عليهما السلام^(٨).

إذ ورد عن أبي عبدالله الصادق عليهما السلام: ... أن الله تبارك وتعالى لما قبض نبيه عليهما السلام دخل على فاطمة من وفاته من الحزن مالا يعلمه إلا الله عز وجل، فأرسل إليها ملكاً يسلِّي عنها غمها ويحدثها، فشكَّت ذلك إلى أمير المؤمنين عليهما السلام، فقال لها: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي، فأعلمته فجعل يكتب كل ما سمع حتى أثبتت من ذلك مصحفاً، قال: ثم قال: أما أنه ليس من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون^(٩)، وغيرها من الروايات.

ومن هنا يُعد مصحف فاطمة من جملة مواريث الأئمة عليهما السلام ومتخصصاتهم، ورثوه عنها عليهما السلام كبراً عن كابر، حتى وصل إلى قائم آل محمد عجل الله فرجه الشريف، وفي صميمه تمام وصيّة فاطمة عليهما السلام، محفوظة مع جملة مواريث الأنبياء والأوصياء السابقين.

على أن اغلب الظن أنَّ وصيّتها الكلامية المباشرة إلى أمير المؤمنين عليهما السلام، ما هي إلا تأكيد لما أوصت به في رقعتها المدونة، التي كانت مودعة عند حفيدها الإمام الباقر عليهما السلام، ونقل منها بعض فقراتها؛ وذلك عملاً بهدي أبيها رسول الله عليهما السلام، وتطبيقاً لقوله الشريف: ما ينبغي لامرئ مسلمٍ أن يبيت ليلة إلا ووصيته تحت رأسه^(١٠). وقد وجد أمير المؤمنين علي عليهما السلام رقعة فيها وصيّتها تحت رأسها عليهما السلام عند وفاتها.

فما صدر عنها من الوصيّة الكلامية عند دنو أجلها عليهما السلام، تأكيداً على

وصيّتها المكتوبة، وللإعلام على إثبات وصيّتها استحباباً، وربما دفعاً للطعن فيما كتبته في رقعتها، وربما لمزيد الاهتمام ببعض فقرات وصيّتها أكدت عليها بالكلام المباشر؛ لإظهار شدة إنكارها وغضبها على من غصب حقّها وأذاها، وعدم رضاها عنهم في أهم فقرات وصيّتها المشهورة.

فجاءت هذه الفقرات دعماً وتأكيداً ل موقفها، وتبين لها وجوبها للشيخين
عندما دخل عليها قبل وفاتهما، إذ قال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة فإذا قد
أغضبناها؟، فانطلقوا جميعاً، فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهم! فأتيها عليهما فكلماه،
فادخلهما عليها، فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط، فسلموا عليها فلم
ترد عليهما!

فتكلم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إن قرابة رسول الله أحب إلي من قرابتي، وإنك لأحب إلي من عائشة ابنتي، ووددت يوم مات أبوك إني مت ولا أبقى بعده، افترني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله، إلا إني سمعت أباك رسول الله يقول: (لا نورث، ما تركناه فهو صدقة!!).

فقالت: أرأيتما إن حدثكم حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به؟

قالا: نعم.

قالت: نشدتكما الله، ألم تسمعا رسول الله يقول: (رضا فاطمة من رضائي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابني فقد أحبني، ومن أرضي فاطمة فقد أرضاني، ومن اسخط فاطمة فقد أسخطني).

قالا: بلى، سمعنا من رسول الله.

قالت: فإني أشهد الله وملائكته إنكما أسلخْتُماني وما أرضيتماني، ولئن

لقيت النبي لأشكون كما إليه.

فقال أبو بكر: أنا عائد بالله تعالى من سخطه، ومن سخطك يا فاطمة.

ثم انتخب أبو بكر يبكي حتى كادت نفسه أن تزهد، وهي تقول: والله لأدعونا عليك في كل صلاة أصلحها^(١١).

وقد روى البخاري، ومسلم في (صحيحهما): فوجدت^(١٢) فاطمة على أبي بكر في ذلك - أي في غصبها خلتها وميراثها - فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت^(١٣).

أما ما ورد من الروايات والأخبار فلا يعدو كونه نقلًا لأجزاء من وصيتها المكتوبة المتواترة بين أبنائها المعصومين عليهم السلام، حيث تعدد من جملة مواريثهم عليهم السلام، ونقلت روائياً كبراً عن كابر من أبناءها المعصومين عليهم السلام.

على أن الاختلاف اليسير في بعض فقرات الوصية، وتكراره، يرجع ظاهرا إلى نقل أجزاء متقطعة منها دون روايتها بصورة كاملة.

كما أن روايتها بالمعنى أحياناً يسبب اختلاف بعض الفاظها وترتيب فقراتها، كل ذلك مع بقاء وحدة المضمون عموماً.

لكن العُرف الاجتماعي يركز دوماً على الأقوال المسومة، والحوارات المباشرة، لاسيما إذا قيلت في الأوقات الحرجة، كالنطق بها قبيل الوفاة مثلاً، ومن شخصية لها ثقلها وتأثيرها العالي في المجتمع كالزهراء عليها السلام، ولها المقام الرفيع بين الناس، أكبر من الاهتمام والنظر لما هو مكتوب، أو بتتبع ما هو مدون، على أسطر الكتب والقرطاس عادة، إلا من يعنيه تتبع ذلك ويهمه لأمره؛ لأن هذا يحتاج إلى مزيد استقصاء وعناية، وبحث وسؤال، ولا يمكن أن يحصل هذا الأمر بسهولة لعموم الناس.

وحيث أن الوضع السياسي والاجتماعي، فضلاً عن الديني يومئذ، كان ملتهباً لما حدث من الانقلاب على خط الرسالة السماوية، ولما يدفن رسول الله عليه السلام بعد، وعزل الخليفة الشرعي وإقصاءه عن الحكم، في مؤتمر السقيفة القرشي، ليتحقق قوله عز وجل ﴿وَمَا حَمَدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقِلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(١٤).

وما جرى بعد ذلك، من ظلم وأذى، وغضب لحقوق بضعة الرسول محمد عليه السلام فاطمة الزهراء عليهما السلام، التي يرضا الله لرضاها ويغضب لغضبها.

وما أعقب ذلك، من رد الزهراء عليهما السلام في خطبتيها الشهيرتين - إحداهما: في مسجد رسول الله أمام حشد المهاجرين والأنصار ورؤوس الحكم. والثانية: في دارها أمام نساء المهاجرين والأنصار عندما عدتها في مرضها عليهما السلام. وهاتان الخطبتان رواهما مجموعة من الكتاب والمؤرخين من الفريقيين بأسانيدهم منهم: الجوهرى في كتابه (السقيفة)، وابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة)، وابن شهرآشوب في (كشف الغمة)، والطبرى في (الاحتجاج) وغيرها من المصادر- على الحكم القائم ورئيسه، فكشفت زيفهم، وفضحت أكاذيبهم، وقارعتهم بالحججة الشرعية، والدليل القرآني، والتحليل المنطقي.

وشاعت السماء أن ترعى هذه الصرخة المدوية لإثبات الحق، وفضح الباطل، وأن تبقى تصدح على مر الأجيال إلى ماشاء الله تعالى.

ومن هنا، تجد أن أغلب فقرات هذه الوصية انتشاراً وشيوعاً ونقلأً، عرض ظلامتها عليهما السلام وسخطها على من ظلمها، إذ لم يتنس حتى لأبواق أعدائها إخفاءها والتستر عليها، حيث روى ذلك عموم كتب المسلمين.



في حياة السيدة الزهراء / السيدة محمد التقى

إضافة إلى حديث نعشعها الطاهر، الذي يصور عمق عفتها وحشمتها، وشدة اهتمامها ورعايتها لأبناء رسول الله ﷺ وريحاناته، ولديها الحسن والحسين عليهما السلام، ومزيد عن اهتمامها وحرصها على صلة رحمها والتواصل مع أقربائها، والحفاظ على أداء أمانتها وأن توضع في محلها، ثم الاهتمام بتفرير صدقاتها وعطایاها، وغير ذلك من الفقرات الأخرى التي يستلهم منها الإنسان المسلم الدروس والعبر، فضلاً عن ذلك، ترى فيها من أدبها وفضلها وظرفها عليهما السلام.

وقد اخترنا ثلاثة صورٍ، نقلت وصيتها المباركة، نرى فيها الاستيعاب لأنغلب فقراتها المنتشرة، والمروية عموماً، بحسب تبعي واستقصائي.

وأرجو من الله أن يهنيء بهذه الوصيّة المباركة بعض الباحثين حيث يسعه الوقت وتسعفه الظروف، لكي يتوفّر على جمع متفرقاتها، وتقريب شارداتها ووارداتها، وتهذيبها تدقيقاً وتحقيقاً، حيث تكون مورداً للبحث والدراسة والتحليل، لجميع نصوصها وفقراتها؛ إذ فيها عطاء جم، وعلم وأدب، وخلق وظرف.

كما أنها تعدّ من أهم الوثائق التاريخية لاستيحاء ما جرى في صدر الإسلام، التي تشير التساؤلات والشكوك، بإمضاء من بنت الرسالة فاطمة الزهراء عليها السلام.

وما قمنا به ما هو إلا إشارة أو خطوة نحو فكر هذه السيدة العظيمة وإحياء تراثها عليهما السلام.

ونسأل الله عز وجل أن يتقبله منا، وأن يجعلنا من ترضى عنهم سيدة نساء العالمين سلام الله عليها؛ لأن رضا الله رضاها، وسائله أن يهنيء لهذه الخطوة المتواضعة من يتبعها بخطوات أكثر وأكبر، ومن يحيط بهذه الوصيّة المباركة إحاطة أشمل وأوسع؛ لبيان مكوناتها بالبحث والشرح والتعليق، تضمّ بين جوانبها معطيات هذه الوصيّة المباركة وأهدافها، وما يستحصل منها من دروس.

- الصورة الأولى:

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه وجد عند رأسها لما توفيت عليها رقعة جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله عليه السلام أوصت: وهي تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لاريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

يا علي أنا فاطمة بنت محمد، زوجني الله منك؛ لأنك في الدنيا والآخرة،
أنت أولى بي من غيري، حنطني وغسلني وكفني، وصل علي، وادفني بالليل، ولا
تعلم أحداً واستودعك الله، وأقرأ على ولدي السلام إلى يوم القيمة^(١٥).

- الصورة الثانية:

ما روی عن الإمام الباقر عليه السلام أنه أخرج سبطاً أو حقاً، وأخرج منه كتاباً فيه وصيّة جدته الزهراء عليها السلام، وما جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصت به فاطمة بنت محمد رسول الله عليه السلام، أوصت بحوائطها السبعة: (العواف، والدلال، والبرقة، والميش، والحسني، والصفية، ومال أم إبراهيم) (مشربة أم إبراهيم خ)، إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، فإن مضى فإلى الحسن، فإن مضى فإلى الحسين، فإن مضى فإلى الأكبر (الأكابر خ) (من ولده خ) من ولدي، (دون ولدك خ)، شهد الله على ذلك، والمقداد بن الأسود، والزبير بن العوام، وكتب علي بن أبي طالب^(١٦).



وهذه الحوائط (البساتين) كانت لرجل يهودي من أحبّار بني النضير يدعى

مخيرق، أسلم وقتل يوم أحد وأوصى ببساتينه السبع إلى النبي ﷺ فأوقفها النبي ﷺ سنة سبع من الهجرة على خصوص فاطمة عليه السلام، وكان يأخذ منها لأضيفه وحاجته^(١٧).

وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً قال: إن فاطمة بنت رسول الله ﷺ كتبت هذا الكتاب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا ما كتبت فاطمة بنت محمد ﷺ في مالها، إن حدث بها حادث، تصدقت بثمانين أوقية، تنفق عنها من ثمارها التي لها، كل عام في رجب، بعد نفقة السقي ونفقة العمل، وأنها أنفقت أثمارها العام، وأثمارها القمح عاماً قابلاً في أوان غلتها، وأنها أمرت لنساء محمد أبيهما ﷺ خمساً وأربعين أوقية، وأمرت لفقراء بني هاشم وبني عبد المطلب^(١٨) بخمسين أوقية، وكتبت في أصل مالها في المدينة، أن علياً عليه السلام سألهما أن توليه مالها، فيجمع مالها إلى مال رسول الله ﷺ فلا تفرق، ويليه مادام حياً، فإذا حدث به حادث دفعه إلى ابني الحسن والحسين فليليانه، وإنني دفعت إلى علي بن أبي طالب على إني أحللله فيه، فيدفع مالي، وما محمد ﷺ، ولا يفرق منه شيئاً، يقضى عني من أثمار المال ما أمرت به، وما تصدقت به، فإذا قضى الله صدقتها وما أمرت به، فالأمر بيد الله تعالى، وبيد علي عليه السلام، يتصدق وينفق حيث شاء، لا حرج عليه، فإذا حدث به حادث، دفعه إلى ابني الحسن والحسين، المال جميعاً، مالي وما محمد ﷺ، ينفقان ويتصدقان حيث شاء، ولا حرج عليهما.

وإن لابنة جندب - يعني بنت أبي ذر الغفاري - التابوت الأصغر (الأصغر)،



ويعطيها في المال ما كان، ونعي الأدميين، والنطم، والحب والسرير، والزربية، والقطيفتين، وإن حدث بأحد من أوصيت له قبل أن يدفع إليه، فإنه ينفق عنه في القراء والمساكين، وأن الأستار لا يستر بها امرأة إلا إحدى ابنتي، غير أن علياً يستتر بهن إن شاء مالم ينكح.

وإن هذا ما كتبت فاطمة عليها السلام في مالها، وقضت فيه، والله شهيد، والمقداد بن الأسود، والزبير بن العوام، وعلي بن أبي طالب كتبها، وليس على علي حرج فيما فعل من معروف^(١٩).

هذا وقد ورد في بعض الأخبار أنها عليها السلام أوصت لأزواج النبي صلوات الله عليه وسلم لكل واحدة منهن باثنتي عشرة أوقية، ولنساء بني هاشم مثل ذلك، وأوصت لأمامة- بنت أبي العاص بن الربيع- بنت أختها زينب بنت بشير^(٢٠).

والواقية تُعادل أربعين درهماً، أي ما يقارب (١٨٠٠) درهم، ومات رسول الله صلوات الله عليه وسلم عن تسع نساء، فيكون نصيب كل واحدة (٢٠٠) درهم مما أوصت لهم عليها السلام.

وفي رواية: أنها عليها السلام تصدقت بما لها على بني هاشم وبني عبد المطلب^(٢١).

وقد روی عن ولدها الصادق جعفر بن محمد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: من لم يوص عند موته لذوي قرابته من لا يرثه فقد ختم عمله بمعصيته^(٢٢).

- الصورة الثالثة:

فيما روی أنها لما نعيت إليها نفسها دعت أم ايمان وأسماء بنت عميس، ووجهت خلف علي عليه السلام فأحضرته، فقالت عليها السلام: يا ابن عم أنه قد نعيت إليّ نفسي، وأنني لا أرى ما بي إلا إني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي؟

قال لها علي عليه السلام: أوصيتي بما أحببت يا بنت رسول الله عليه السلام.

فجلس عند رأسها، وأخرج من كان في البيت، ثم قالت: يا ابن عم ما عهديني كاذبة، ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني.

فقال عليه السلام: معاذ الله أنت أعلم، وأبر وأتقى، وأكرم وأشد خوفاً من الله، من أن أوجنك بمخالفتي، وقد عز على مفارقتك وفقدك، إلا أنه أمر لابد منه، والله لقد جدت على مصيبة رسول الله عليه السلام، وقد عظمت وفاتك وفقدك، فإننا لله وإنما إليه راجعون، من مصيبة ما أفعجها وألمها، وأمضها، وأحزنها، هذه والله مصيبة لا عزاء عنها، ورزية لا خلف لها.

ثم بكيا جيئاً ساعة، وأخذ على رأسها وضمها إلى صدره، ثم قال: أوصيتي بما شئت فإنك تجدينني وفيأً، أمض كل ما أمرتني به، وأختار أمرك على أمري !!

ثم قالت: جزاك الله عن خير الجزاء يا ابن عم، أوصيك:

أولاً: أن تتزوج بعد يابنة أخي أمامة، فإنها تكون لولدي مثل، فإن الرجال لابد لهم من النساء - فمن أجل ذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام أربعة ليس إلى فراقهن سبيل؟، وعد منهن أمامة، وقال: أوصت بها فاطمة عليه السلام.

ثم قالت: أوصيك يا ابن عم أن تتخذ لي نعشأً، فقد رأيت الملائكة صوروا صورته، فقال: صفيه لي، فوصفتة فاتخذه لها.

ثم قالت: أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني، (وأخذوا حقي)، فإنهم عدوي، وعدو رسول الله عليه السلام، ولا ترك أن يصلني علي أحد منهم، (ولا من أتبعهم خ)، وادفني في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأ بصار، ثم توفيت عليه السلام (٢٣).

وفي روایة: أوصته أن يغسلها في قميصها، ولا يكشفه عنها؛ لأنها كانت قد

اغتسلت قبل وفاتها بيسير، وتنظفت، ولبست ثيابها الجدد، وأن تدفن ليلاً، ويعفى
قبراها^(٢٤).

هذا ما توفر من ظاهر وصيتها عليهم السلام، وقد تناشر هنا وهناك، وما زال مكتونها
مودع عند ولدها قائم آل محمد الحجّة بن الحسن العسكري عجل الله تعالى فرجه
الشريف مع جملة مواريث الأنبياء والأوصياء.

* هوامش البحث *

- (١) سورة النجم ٣، ٤، ٥.
- (٢) سورة المائدة ١٠٦.
- (٣) وسائل الشيعة كتاب الوصايا باب وجوب الوصية .. ح١.
- (٤) وسائل الشيعة كتاب الوصايا باب وجوب الوصية .. ح٦.
- (٥) وسائل الشيعة كتاب الوصايا باب وجوب الوصية .. ح٧.
- (٦) وسائل الشيعة كتاب الوصايا باب وجوب الوصية .. ح٨.
- (٧) كمال الدين للصدوق ص ٢٣٥ ، مسند الإمام احمد ١٧/٣ ، كنز العمال للمتقى الهندي ١٨٦/١ ، ذخائر العقبي للمحب الطبراني ١٦.
- (٨) الكافي - الشيخ الكليني ٤٤١/١ .
- (٩) بحار الأنوار للمجلسي ٧٩/٤٣ .
- (١٠) وسائل الشيعة كتاب الوصايا باب وجوب الوصية .. ح٨.
- (١١) الإمامية والسياسة لابن قتيبة ١٩/١ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨٧/٤ ، كتاب سليم بن قيس الهلالي ص ٢٥٤ .
- (١٢) من الوجد أي الغضب .

- (١٣) صحيح البخاري ٤/٨٣، ٥/١٥٤ ، صحيح مسلم .٥/١٥٤ .

(١٤) سورة آل عمران .١٤٤ .

(١٥) بحار الأنوار ٣٤/٢٧٨ ، العوالم للبحرياني ٦/٢٧٨ .

(١٦) الكافي ٧/٤٨ ، الأصول الستة عشر لعدة باحثين ص ٩٣ ، بحار الأنوار ٣/٤٣ .

(١٧) تاريخ المدينة للسمهودي ٢/٦٣ .

(١٨) الظاهر: بنى المطلب وهو عم عبد المطلب وأخوه هاشم لا عبد المطلب كما في الرواية.

(١٩) مستدرك وسائل الشيعة للشيخ النوري ١٤/٥٤ .

(٢٠) دلائل الإمامة للطبراني ص ١٣٠ .

(٢١) وسائل الشيعة كتاب الوقف والصدقات باب ١/٦ . والظاهر: بنى المطلب وهو عم عبد المطلب وأخوه هاشم لا عبد المطلب كما في الرواية.

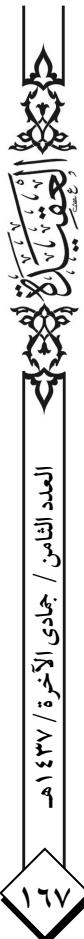
(٢٢) وسائل الشيعة كتاب الوصايا باب ٤/٣ .

(٢٣) روضة الوعاظين للنيسابوري ص ١٥١ .

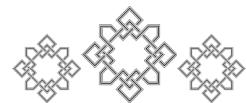
(٢٤) أمالى المفيد ص ٨١ ، أمالى الطوسي ١/١٠٧ .

المصادر والمراجع *

١. القرآن الكريم كلام رب العالمين.
 ٢. الأصول الستة عشر - عدة محدثين، تحقيق ضياء الدين محمودي بمساعدة نعمة الله الجليلي، مهدي غلام علي، الطبعة الأولى / ١٤٣٨ - ١٤٢٣ش، المطبعة دار الحديث، نشر دار الحديث للطباعة والنشر.
 ٣. الأمالي - الشيخ الطوسي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى / ١٤١٤هـ، نشر دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم.
 ٤. الأمالي - الشيخ المفید، تحقيق حسين الأستاد ولی ، على أكبر الغفاری، الطبعة الثانية / ١٤١٤ -



٤. الإمامة والسياسة - ابن قتيبة، تحقيق علي شيري، الطبعة الأولى / ١٤١٣ - ١٣٧١ ش، المطبعة أمير- قم، انتشارات شريف الرضي- قم المشرفة.
٥. بحار الأنوار - العلامة المجلسي، تحقيق محمد الباقر البهبودي، الطبعة الثانية المصححة / ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م، نشر مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان.
٦. تاريخ المدينة- ابن شبة النميري، تحقيق فهيم محمد شلتوت / ١٤١٠ - ١٣٦٨ ش، المطبعة القدس- قم، نشر دار الفكر - قم - إيران.
٧. دلائل الإمامة- ابن حرير الطبرى الشيعي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم، الطبعة الأولى / ١٤١٣ هـ، نشر مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة.
٨. ذخائر العقبي - محب الدين الطبرى / ١٣٥٦ هـ ، نشر مكتبة القدسى لاصحابها حسام الدين القدسى- القاهرة.
٩. روضة الوعظين- الفتال النيسابوري، تقديم السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي- قم .
١٠. شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه.
١١. صحيح البخاري- البخاري / ١٤٠١ - ١٩٨١ م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
١٢. صحيح مسلم- مسلم النيسابوري، دار الفكر - بيروت - لبنان.
١٣. العوالم - الشيخ عبد الله البحرياني، تحقيق مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، الطبعة الأولى المحققة / ١٤٠٧ - ١٣٦٥ ش، المطبعة أمير - قم، نشر مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه بالحوزة العلمية - قم المقدسة.
١٤. الكافي - الشيخ الكليني، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفارى، الطبعة الخامسة / ١٣٦٣ ش، المطبعة حيدري، نشر دار الكتب الإسلامية - طهران.
١٥. كتاب سليم بن قيس الهملاي، تحقيق محمد باقر الأنصاري الزنجانى، الطبعة الأولى / ١٤٢٢ - ١٣٨٠ ش، المطبعة نگارش، نشر دليل ما- قم المشرفة.
١٦. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفارى، محرم الحرام ١٤٠٥ - ١٣٦٣ ش، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسین بقم المشرفة.
١٧. كنز العمال- المتقي الهندي، ضبط وتفسير الشيخ بكري حيانى / تصحيح وفهرسة الشيخ



صفوة السقا/ ١٤٠٩ - ١٩٨٩م، نشر مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.

١٩. مستدرك الوسائل - المحدث النوري، تحقيق مؤسسة آل البيت للطباعة لإحياء التراث، الطبعة

الأولى المحققة/ ١٤٠٨ - ١٩٨٧م، نشر مؤسسة آل البيت للطباعة لإحياء التراث - بيروت -

لبنان.

٢٠. مسند احمد- أحمد ابن حنبل، دار صادر - بيروت - لبنان.

٢١. وسائل الشيعة- الحر العاملي، تحقيق مؤسسة آل البيت للطباعة لإحياء التراث، الطبعة الثانية/

١٤١٤هـ، المطبعة مهر- قم، نشر مؤسسة آل البيت للطباعة لإحياء التراث بقم المشرفة.

آيات الوعيد في خطبة الزهراء عليها السلام دراسة تحليلية

أ.م.د. عدي الحجار

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْتِنَا وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْتِنَا﴾

سورة الأنفال: ٤٢

المقدمة

الحمد لله حق حمده، والصلوة والسلام على المعمouth رحمة للعالمين محمد الصادق الأمين، وعلى أهل بيته الطاهرين عدل كتاب الله وأعلام دينه وخزان علمه وترجمة وحيه..

وبعد.. فإن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشرع الإسلامي، والمعين الصافي للثقافة الإسلامية، التي اختارها الله تعالى لسمو الإنسان وسعادته في النشأتين، وقد تعاهد أهل البيت عليه السلام وفقاً لتوكيلهم الإلهي لقيادة الأمة؛ القرآن الكريم تلاوةً وحفظاً وتفسيراً يكشف ما فيه من مراد الله تعالى، وصيانته له عن أيدي العابثين وانتحال الجهلة والمبطلين، وعندما تبعث الأمم على يد عظمائها لتكون عالمةً فارقةً وعنواناً بارزاً في قاموس الوجود، تصبح معياراً حاكماً على

صحة التوجه الإنساني والعقائدي في مسيرة ذلك التوجه والنهوض، ولا بد من وجود راعٍ يعمل على صيانة ذلك النهوض وال Howell دون انحرافه كلما اقتضت الحاجة والضرورة وهو ما ينطبق على الأمة الإسلامية التي نشأت ونهضت بفعل ما بذله قائدتها وراعي نهضتها النبي محمد ﷺ من جهد في تغيير واقع ذلك المجتمع الذي كان عنواناً لعدم الالتزام بقاعدة أو قانون حتى قامت تلك الأمة على أصولها بعد أن رسم النبي ﷺ فيها بما كان يرفرف به الوحي السماوي من أحكام ، حتى استقام الأمر وكمل الدين وتمت النعمة بأن جعل الله هذه الشريعة وهذا الدين من ارتضاهم ليكونوا حماةً لشرعته وأمناء على وحيه، وكان واجب الحماية هذا منوطاً بمن أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فكانوا يعملون جاهدين في هذا الأمر.

ومن هنا نجد أن فاطمة الزهراء عليهما السلام عندما احتجت على من عطل أحكام الله في باب من أبواب الفقه نجدها قد خرجت من دائرة شخصنة القضية إلى أفق أرحب وأوسع لا وهو أفق الأمة والرسالة فلم تجعل همها في نفسها بل جعلت تنفذ همها حسرات على ما آلت إليه حال الأمة ولما يزل العهد قريب برسول الله صلى الله عليه وسلم فأشارت إلى مواطن الانحراف والخلل الذي سيقت إليه الأمة.

فيجد المتبع خطبة الزهراء البتوح غالباً من النظرة الأولى أن المفردات والتصوّص القرآنية المباركة كانت تمثل قدرًا كبيراً من البناء النصي والموضوعي للخطبة على مستوى التضمين أو الاستشهاد بتلك المفردات والنصوص لذا تكون عباراتها قوية الواقع وواضحة الدلالة سهلة الفهم لما يكتنفها من قرائين مقالية مبينة للمراد مرشدة للمخاطب إلى حقيقة المطلوب، وقد وظفت سلام الله عليها الموروث التاريخي لقصص الأنبياء في باب الإرث بشكل لا نظير له لتعطى صورة واضحة عن حقها المفترض لا لبس فيها ولا غموض لكي لا يبقى عذر لمعتذر.

لذا اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على:

مقدمة وبيان صلة فاطمة عليها السلام والقرآن ونظرة في آيات الوعيد وشواهد الآيات في خطبة الزهراء عليها السلام والهوماش وثبت المصادر.

فاطمة عليها السلام والقرآن:

لا ينفك الكشف والبيان للقرآن الكريم عن العترة الطاهرة فهم ورثة الكتاب وحملة علم الرسول، تأسيساً على قوله عليه السلام: "إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله عز وجل حبل ممدود، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض"^(١). وذلك يثبت أن القرآن الكريم يقترن معه من العترة من يعرف التنزيل والتأويل علمًا يقيناً، يُخبر عن مراد الله عز وجل كما كان رسول الله عليه السلام يُخبر عن المراد، ولا يكون معرفته بتأويل الكتاب استنباطاً ولا استخراجاً كما لم تكن معرفة الرسول عليه السلام بذلك استخراجاً ولا استنباطاً ولا استدلالاً ولا على ما تجوز عليه اللغة وتجري عليه المخاطبة، بل يُخبر عن مراد الله ويبين عن الله بياناً تقوم بقوله الحجة على الناس^(٢)، فتفسير أهل البيت عليها السلام ومنهم فاطمة الزهراء عليها السلام للقرآن الكريم وظيفة شرعية تتکفل بالبيان والتفصيل، فموضعها منه كموضع النبي عليه السلام من القرآن الكريم موضع بلاع وبيان، فهي من أبواب علمه، ومستودع حكمته ولها أهلية استنطاق القرآن الكريم وبيان محمله وكشف دلالاته، وتوضيح أحکامه، والإخبار عن عجائبه، وبيان فضائله، والإرشاد إلى العبر في قصصه، ودليلنا على ذلك أن النبي عليه السلام قام بالناس خطيباً فقال: (واني تارك فيكم الشقلين كتاب الله عز وجل وعترتي كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وان اللطيف الخبير أخبرني انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروني بم تخلفواني فيهما)^(٣).

ومن خلال التتبع الدلالي لألفاظ الحديث الشريف بما تمليه ضرورات اللغة وقواعدها، وباجتناب القبيليات الذهنية، والمرتكزات الاعتقادية، وبإعمال

الموضوعية، والتجدد عن الرفض أو القبول المسبق ولفك الجدلية بين المثبتين والنافدين لمداليل الحديث الشريف نعمد إلى التحليل اللغوي للنص مشفوعاً بالتفقates العقلية التي لا تتعارض مع ضرورة من ضرورات الدين وصولاً إلى المراد من الحديث الشريف الذي يؤسس وبشكل لا يقبل الشك أو الاشتباه إلى التلازم التكافلي والتكافؤ بين الكتاب وأحكامه ومراميه وبين العترة المؤهلة للدلالة على تلك الأحكام لأنطابق اللفظ في الحديث الشريف في مفردي (الكتاب والعترة) على تمام معناهما، واللفظ الذي تكون هذه صفتة لا يرقى اليه الشك في تعدد دلالته فوجب أن الكتاب لا يزال معه من العترة من يعرف التنزيل والتأويل علما يقيناً يخبر عن مراد الله عز وجل كما كان رسول الله ﷺ يخبر عن المراد، كذلك يجب أن يكون معرفة عترة الرسول ﷺ بالكتاب على يقين ومعرفة وبصيرة، قال الله عز وجل في صفة رسول الله ﷺ

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلٌ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٤) فأتبعه من أهله وذرته وعترته ومنهم فاطمة عليها السلام هم الذين يخبرون عن الله عز وجل مراده من كتابه على يقين ومعرفة وبصيرة، ومتى لم يكن المخبر عن الله عز وجل مراده ظاهرا مكتشاً فـإنه يجب علينا أن نعتقد أن الكتاب لا يخلو من مقرن به من عترة الرسول عليه السلام يعرف التأويل والتنزيل إذ الحديث يوجب ذلك. دل على أن الحجة من بعده ليس من العجم ولا من سائر قبائل العرب بل من عترته أهل بيته، ثم قرن قوله بما دل به على مراده فقال : "ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض " فأعلمنا أن الحجة من عترته لا تفارق الكتاب، وإنما متى تمسكنا بمن لا يفارق الكتاب لن نضل، ومن لا يفارق الكتاب من فرض على الأمة أن يتمسكوا به، ويجب في العقول أن يكون عالما بالكتاب مأمونا عليه يعلم ناسخه من منسوخه، وخاصة من عامة، وتحمه من ندبها، ومحكمه من متشابهه ليضع كل شيء من ذلك موضعه الذي وضعه الله عز وجل.

ويجب أن يكون جاماً لعلم الدين كله ليتمكن التمسك به والأخذ بقوله فيما اختلفت فيه الأمة وتنازعته من تأويل الكتاب والسنة، وبهذا الحاجاج المنطقي الذي اتخذ من المقدمات العقلية واللوازم الشرعية في ما تفرضه صحة الاعتقاد يمكن النزول للمختلفين على دلالة حديث الشقين على أن المعنيين بهذا الحديث هم العترة الطاهرة من آل البيت عليهم السلام الذين صرخ الكتاب العزيز بإذهاب الرجس عنهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُظْهِرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٥)، ولما كانت فاطمة عليها السلام من آل البيت لما تواتر من أخبار السنة القولية والفعلية للنبي صلوات الله عليه وآله وسلامه في بيانه للمراد من قوله تعالى: "أَهْلَ الْبَيْتِ" والتي تعينت أشخاصهم بعلي وفاطمة والحسن والحسين كما عين ذلك أهل الحديث من العامة قبل غيرهم^(٦).

نظرة في آيات الوعيد:

إن طاعة العبد لموالاه إنما تكون طلباً لثوابه، والنأي عن شديد ما توعد به العصاة لأوامره، فهو الذي لا يفوته فوت، ولا يؤمن له عقاب، قرن الوعد بالوعيد ترغيباً في جزيل ثوابه وتحذيراً من عظيم عقابه، وخوف من يشط عن جادة الصواب بالنار، وبعث للناس رسوله مبشرًاً ونذيرًاً، فدعا إلى طاعة الله في ما أوجب استنقاذًا للعباد وامتحانًاً، وهدم دعائم الشرك والطغيان، وأمر بطاعة الرحمن، ونهى عن متابعة الشيطان، وقمع عبادة الطاغوت والأوثان، وأوجب به الحجة على الجاحدين، وأيقظ بدعوته قلوب الغافلين، حتى استقام عمود الإسلام وارتفع، ووضحت سبل الهدى واستبانت لمن اتبع.

ففي كتاب الله تعالى من آيات الوعيد والتحذير كثير جم، ومخرجها الوعظ لمن يجعل القرآن هادياً له والزجر لمن اتخذ الله هواه وجعل طاعة الشيطان عبادة له^(٧).

وإن آيات الوعيد لها وقع في قلوب الخائفين فترأه إذا مرروا بها خر أحدهم مغشيا عليه ومنهم من مات عند سماعها فمثل هذه الأحوال تخرج من يتلبس بها عن أن يكون حاكيا في كلامه لها إنما تكون حالة خوف من الوعيد، شهودا قلبيا حقيقيا، يخشع له القلب، ويرسخ به الإيمان، وتتحسس به المشاعر، ويكتمل ليصبح حياة في الوجود، ويقطة في الضمير، ولن يكون موقفا، وحركة وسلوكا، وسجية.

فهذا حماد بن حبيب العطار الكوفي يصف حال الإمام زين العابدين عليه السلام عند تلاوته القرآن الكريم ومروره بآيات الوعيد والوعيد قال: ثم دخل في الصلاة، فلما أن رأيته قد هدأت أعضاؤه وسكنت حركاته، قمت إلى الموضع الذي تهيأ فيه للصلاه، فإذا بعيني ماء تفيض بماه أبيض، فتهيأت للصلاه، ثم قمت خلفه، فإذا أنا بمحراب كأنه مثل في ذلك الوقت، فرأيته كلما مر بأية فيها ذكر الوعيد والوعيد يرددتها بأشجان الحنين، فلما أن تقعش الظلام، وتب قائما وهو يقول: يا من قصده الطالبون فأصابوه مرشدًا، وأمه الخائفون فوجدوه متفضلًا، ولجا إليه العابدون فوجدوه نوالاً. متى راحة من نصب لغيرك بدنك؟! متى فرح من قصد سواك بنيته؟! إلهي قد تقعش الظلام، ولم أقض من خدمتك وطرا، ولا من حياض مناجاتك صدرا، صل على محمد وآلـهـ، وافعل بي أولـيـ الأمـرـيـنـ بكـ ياـ أـرـحـمـ الـراـحـمـيـنـ. فخفت أن يفوتي شخصـهـ، وأن يخفي على أثـرـهـ، فتعلقت بهـ، فقلـتـ لهـ: بالـذـيـ أـسـقـطـ عـنـكـ مـلـالـ التـعـبـ، وـمـنـحـكـ شـدـةـ شـوـقـ لـذـيـ الرـغـبـ، إـلـاـ لـحـقـتـنـيـ منـكـ جـنـاحـ رـحـمـةـ، وـكـنـفـ رـقـةـ، فـإـلـيـ ضـالـ، وـبـغـيـتـيـ كـلـمـاـ صـنـعـتـ، وـمـنـايـ كـلـمـاـ نـطـقـتـ. فـقـالـ: لـوـ صـدـقـ توـكـلـكـ ماـ كـنـتـ ضـالـ، وـلـكـ اـتـبـعـيـ وـاقـفـ أـثـرـيـ. فـلـمـاـ أـنـ صـارـ بـجـنـبـ الشـجـرـةـ، أـخـذـ بـيـديـ، فـخـيـلـ إـلـيـ أـنـ الـأـرـضـ تـمـدـ مـنـ تـحـتـ قـدـمـيـ. فـلـمـاـ انـفـجـرـ عـمـودـ الصـبـحـ، قـالـ ليـ: أـبـشـرـ فـهـذـهـ مـكـةـ. قـالـ: فـسـمـعـتـ الضـجـةـ، وـرـأـيـتـ الـمـحـجـةـ، فـقـلـتـ: بـالـذـيـ تـرـجـوـهـ يـوـمـ الـآـزـفـةـ وـيـوـمـ الـفـاقـةـ، مـنـ أـنـتـ؟ فـقـالـ ليـ: أـمـاـ إـذـاـ أـقـسـمـتـ، فـأـنـاـ عـلـيـ بـنـ الـحـسـينـ بـنـ

علي بن أبي طالب^(٨)

فإذا قال العبد إني أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم ولم يكن خائفا
كان حاكيا دونما اعتقاد بذلك الخوف
وإذا قال عليك توكلنا وإليك أربنا وإليك المصير ولم يكن حاله التوكل
والإنابة كان حاكيا دونما اعتقاد في ذلك
وإذا قال ولنصبرن على ما آذيتمنا فليكن حاله الصبر أو العزيمة عليه
حتى يجد حلاوة التلاوة

فإن لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من
التلاوة آيات الوعيد حركة اللسان ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضها عنها
ولذلك قيل إن من لم يكن متصفًا بأخلاق القرآن فإذا قرأ القرآن ناداه الله تعالى
مالك ولكلامي وأنت معرض عني دع عنك كلامي إن لم تتب إلى^(٩)

شواهد الآيات في خطبة الزهراء عليها السلام :

يجد المتبع خطبة الزهراء البتوول عليها السلام ومن النظرة الأولى أن المفردات
والنصوص القرآنية المباركة كانت تمثل قدرًا كبيرًا من البناء النصي والموضوعي
للخطبة على مستوى التضمين أو الاستشهاد بتلك المفردات والنصوص لذا تكون
عباراتها قوية الواقع واضحة الدلاله سهلة الفهم لما يكتنفها من قرائن مقالية
مبينة للمراد مرشدة للمخاطب إلى حقيقة المطلوب، وقد وظفت سلام الله عليها
الموروث التاريخي لقصص الأنبياء في باب الإرث بشكل لا نظير له لتعطي صورة
واضحة عن حقها المفترض لا لبس فيها ولا غموض لكي لا يبقى عذر لمعذر

التفوي والتسليم:

ومما استشهدت به الزهراء عليها السلام من آيات الوعيد قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقًّا نُّقَاتِهِ وَلَا تَمُوْتُنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٠).

لعل في هذه الآية الشريفة ملحوظ مهم يؤشر إلى من ينطبق عليهم وصف المتقي من كان في عهد رسول الله تعالى وهو ما يصرح به إمام المتقيين ويعسوب الدين علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله: والله ما عمل بها غير بيت رسول الله - نحن ذكرناه فلا ننساه ونحن شكرناه فلن نكفره - ونحن أطعناه فلم نعصه⁽¹¹⁾.

وفي خطبة لرسول الله ﷺ يستشهد فيها بهذه الآية الشريفة في سياق لا يخلو من تهديد ووعيد وشكوى وألم حد الغصة من أقوام سيحدثون بعد النبي الأكرم فقال ﷺ الحمد لله على آلائه وبلائه عندنا أهل البيت وأستعين الله على نكبات الدنيا وموبيقات الآخرة وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنى مهما عبده رسوله، أرسلني برسالته إلى جميع خلقه ﴿لِيَهُكَمْ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنَ أَيْمَانِهِ وَأَيْمَانِهِ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنَ أَيْمَانِهِ﴾^(١٢) واصطفاني على جميع العالمين من الأولين والآخرين، أعطاني مفاتيح خزائنه كلها واستودعني سره وأمرني بأمره فكان القائم وأنا الخاتم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم و﴿أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَعْقِيْهِ وَلَا تَمُوتُنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١٣) واعلموا أن الله بكل شيء محيط وأن الله بكل شيء عليم. أيها الناس إنه سيكون بعدي قوم يكذبون علي فلا تقبلوا ذلك وأمور تأتي من بعدي يزعجم أهلها أنها عني ومعاذ الله أن أقول على الله إلا حقا فما أمرتكم إلا بما أمرني به ولا دعوتكم إلا إليه ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلِبٍ يَنْقَلِبُونَ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلِبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(١٤) قال: فقام إليه عبادة بن الصامت فقال: متى ذلك يا رسول الله؟ ومن هؤلاء؟ عرفنا لنحدرهم. فقال: أقوام قد استعدوا للخلافة من يومهم هذا وسيظهرون لكم إذا بلغت النفس مني هاهنا - وأومنا بيده إلى حلقه - فقال له عبادة بن الصامت: فإذا كان كذلك فإلى من يا رسول الله قال: إذا كان ذلك فعليكم بالسمع والطاعة للسابقين من عترتي فإنهم يصدونكم عن الغنى ويهدونكم إلى الرشد ويدعونكم إلى الحق فيحييون كتاب ربى وسنقي



وَحْدِيَّيْ وَيُمِيتُونَ الْبَدْعَ وَيَقْمِعُونَ أَهْلَهَا وَيَزْلُوْنَ مَعَ الْحَقِّ حِيثُ مَا زَالَ، فَلَنْ يَخْيِلَ إِلَى أَنْكُمْ تَعْلَمُونَ ! وَلَكُنِي مَجْمُعٌ عَلَيْكُمْ إِذَا أَعْلَمْتُكُمْ ذَلِكَ فَقَدْ أَعْلَمْتُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلْقِنِي وَأَهْلَ بَيْتِي مِنْ طِينَةٍ لَمْ يَخْلُقْ أَحَدًا غَيْرَنَا وَمِنْ ضَوْيِ إِلَيْنَا فَكَنَا أَوَّلَ مَنْ ابْتَدَأَ مِنْ خَلْقِهِ فَلَمَا خَلَقْنَا فَتَقَ بَنُورَنَا كُلَّ ظُلْمَةٍ وَأَحْيَا بَنَا كُلَّ طِينَةٍ طَيْبَةٍ وَأَمَاتَ بَنَا كُلَّ طِينَةٍ خَبِيثَةٍ ثُمَّ قَالَ : هُؤُلَاءِ خَيَارُ خَلْقِي وَحَمْلَةٌ عَرْضِي وَخَرْزَانٌ عَلْمِي وَسَادَةُ أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، هُؤُلَاءِ الْبَرَّةُ الْمَهْتَدُونَ الْمَهْتَدُونَ بِهِمْ ، مِنْ جَاءَنِي بَطَاعَتْهُمْ وَوَلَّاْيَتْهُمْ أَوْ لَجْتَهُمْ جَنْتِي وَكَرَامَتِي وَمِنْ جَاءَنِي بَعْدَ اَوْتَهُمْ وَالِبرَّاءَةُ مِنْهُمْ أَوْ لَجْتَهُمْ نَارِي وَضَاعَفَتْ عَلَيْهِ عَذَابِي وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ . ثُمَّ قَالَ : نَحْنُ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ مَلَكِهِ وَتَمَامُهُ حَقًا وَبَنَا سَدَادُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحةِ ، وَنَحْنُ وَصِيَّةُ اللَّهِ فِي الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ، وَإِنْ مَنْ الرَّقِيبُ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ وَنَحْنُ قَسْمُ اللَّهِ الَّذِي قَسْمُ بَنَا حِيثُ قَالَ : ﴿ أَتَقْوَى اللَّهُ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١٥) .

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَا أَهْلُ الْبَيْتِ عَصَمْنَا اللَّهُ مِنْ أَنْ نَكُونَ مُفْتَنِينَ أَوْ فَاتَنِينَ أَوْ مُفْتَنِينَ أَوْ كَذَابِينَ أَوْ كَاهِنِينَ أَوْ سَاحِرِينَ أَوْ عَايِقِينَ أَوْ خَائِنِينَ أَوْ زَاجِرِينَ أَوْ مُبَدِّعِينَ أَوْ مُرْتَابِينَ أَوْ صَادِفِينَ عَنِ الْخَلْقِ مِنَافِقِينَ ، فَمَنْ كَانَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْخَسَالِ فَلِيَسْ مِنْنَا وَلَا أَنَا مِنْهُ ، وَاللَّهُ مِنْهُ بَرِئٌ وَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ وَمِنْ بَرَاءِ اللَّهِ مِنْهُ أَدْخِلْهُ جَهَنَّمْ وَبَئْسُ الْمَهَادُ ، وَإِنَا أَهْلُ بَيْتِ طَهْرَنَا اللَّهُ مِنْ كُلِّ نَجْسٍ فَنَحْنُ الصَّادِقُونَ إِذَا نَطَقُوا وَالْعَالَمُونَ إِذَا سَأَلُوا وَالْحَافِظُونَ لَمَا اسْتَوْدُعُوا ، جَمِيعُ اللَّهِ لَنَا عَشَرُ خَسَالٌ لَمْ يَجْتَمِعَنَ لَاهِدٌ قَبْلَنَا وَلَا تَكُونَ لَاهِدٌ غَيْرُنَا : الْعِلْمُ وَالْخَلْمُ وَالْحُكْمُ وَاللَّبُ وَالنَّبُوَّةُ وَالشَّجَاعَةُ وَالصَّدْقُ وَالطَّهَارَةُ وَالْعَفَافُ ، فَنَحْنُ كَلْمَةُ التَّقْوَى وَسَبِيلُ الْهَدِى وَالْمَثَلُ الْأَعْلَى وَالْحَجَةُ الْعَظِيمُ وَالْعَرْوَةُ الْوَثْقَى وَالْحَقُّ الَّذِي أَمْرَ اللَّهُ فِي الْمَوْدَةِ ﴿ فَمَادَأَ بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ (١٦) الَّذِي عَنْهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ (١٧) .

وَيُمْكِنُ لَهُذَا النَّصِّ أَنْ يَحْتَمِلَ دَلَالَاتٍ وَاضْحَاهَ عَلَى سَبِيلِ التَّغْلِيظِ وَطَرِيقِ

التشديد، ليهاب المؤمنون بلوغ أدنى حدود المعصية، ويقفوا عند أول مراتب السيئة، كما روي عن بعض الصالحين. أنه قال: اجعل بينك وبين الحرام حاجزاً من الحال، فإنك متى استوفيت جميع الحال تاقت نفسك إلى فعل الحرام، وإذا كثرت الرواجر كانت على المعاصي أردة، وإلى فعل الطاعات أحوش وأجدب^(١٨)

يعني بذلك جل ثناؤه: يا معاشر من صدق الله ورسوله، "اتقوا الله" خافوا الله ورافقوه بطاعته، واجتناب معاصيه، "حق تقاته" حق خوفه، وهو أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، وينذكر فلا ينسى. "ولا تموتن" أيها المؤمنون بالله ورسوله، "إلا وأنتم مسلمون" لربكم، مذعنون له بالطاعة، مخلصون له الألوهية والعبادة^(١٩).

وفي قراءة لأهل البيت عليهما السلام "وأنت مسلمون" بالتشديد، ومعناه إلا وأنت مستسلمون لما أتي به النبي صلى الله عليه وسلم ومنقادون له^(٢٠).

وأن التقوى هي نوع من الاحتراز إذا كان تقوى الله سبحانه تجنبنا وتحرزاً من عذابه كما قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا التَّأْسُ وَالْحَجَّارَةُ أَعْدَتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٢١) وذلك إنما يتحقق بالجري على ما يريد ويرتضيه فهو امثال أوامره تعالى والانتهاء عن نواهيه والشكر لنعمه والصبر عند بلائه ويرجع الأخيران جميعاً إلى الشكر بمعنى وضع الشيء موضعه وبالجملة تقوى الله سبحانه أن يطاع ولا يعصى ويخلص له فيما أعطى أو منع. لكنه إذا أخذ التقوى حق التقوى الذي لا يشوبه باطل فاسد من سنته كان محض العبودية التي لا تشوبها إنية وغفلة وهي الطاعة من غير معصية والشكر من غير كفر والذكر من غير نسيان وهو الاسلام الحق أعني الدرجة العليا من درجاته وعلى هذا يرجع معنى قوله ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون إلى نحو قولنا ودوموا على هذه الحال حق التقوى حتى تموتوا﴾ (٢٢).

فاستشهاد الصديقة الطاهرة بهذه الآية الشريفة بما تكتنزه من دلالات واضحة وصرحية على وجوب ولزوم أوامر الله تعالى في ما أوجبه على العباد من

أحكام وطاعته في تنفيذها، وعدم عصيانه بالتنكر لها، وشكر نعمته على إقامة تلك الأحكام، تحذير مباشر لأولئك الذين حذر منهم النبي الأكرم ﷺ من أنهم سيأتون بعده بأمور يزعمون أنها منه في مقام الأحكام، وهي ليست منه، ولا عن الله كما في وضعهم أو تحريفهم لدلالة حديث "لا نورث ما تركناه صدقة" ^(٢٣) بعد ثبوت النسبة ليزحزحوا عن الصدقية حقها الذي فرضه الله لها.

نار الحرب:

وما استشهدت به الزهراء عليها السلام من آيات الوعيد قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ ^(٢٤).

قيل في تفسير الآية بالمعنى الأخص عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: كلما أودعوا نار للحرب اطفأها الله كلما أراد جبار من الجبارية هلكة آل محمد عليهم السلام قصمه الله ^(٢٥).

وفي معناه الأعم أي: لحرب محمد، عن الحسن، ومجاهد. وفي هذا دلالة ومعجزة لأن الله أخبره فوافق خبره المخبر، فقد كانت اليهود أشد أهل الحجاز بأساً، وأمنهم داراً، حتى إن قريشاً كانت تعتصد بهم، والأوس والخرج تستبق إلى مخالفتهم، وتتكثّر بنصرتهم، فأباد الله خضراءهم، واستأصل شأفتهم، واجتث أصلهم، فأجل النبي بنى النضير وبني قينقاع، وقتل بنى قريظة، وشرد أهل خيبر، وغلب على فدك، ودان له أهل وادي القرى، فمحا الله تعالى آثارهم صاغرين. وقال قتادة: معناه إن الله أذلهم ذلاً لا يعزون بعده أبداً، وإنما يطفئ نار حربهم بلطفه، وبما يطلع عليه عليه من أسرارهم، وبما يمن به عليه من التأييد والنصر ^{﴿وَيَسْعَونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾} بمعصية الله، وتکذيب رسله، ومخالفة أمره ونهيه، واجتهدوا في محوذك النبي ﷺ من كتبهم ^{﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾} العاملين بالفساد، والمعاصي، في أرضه ^(٢٦).



إن ما يلفت النظر ويثير الانتباه ويحفز الذهن أن تقرن سيدة نساء العالمين في خطبتها وهي تستعرض النوازل والصعاب التي حاقت بدعوة أبيها عليهما السلام والتي احتمل وزرها بهم الرجال: جمع بهمة الشجاع، وقيل: هو الفارس الذي لا يدرى من أين يؤتى له من شدة بأسه^(٢٧) وذؤبان العرب تعني صعاليكهم ولصوصهم وهم الذين كافحوا الرسول وناكفوه في بدء دعوته المباركة من جهة وبين من نزلت في حقهم الآية الشاهد في خطبتها والتي تشير التفاسير إلى أنهم اليهود بشكل خاص^(٢٨). من جهة أخرى سيما إذا علمنا أن فدك التي أخلها النبي عليهما السلام لا بنته الصديقة الطاهرة بعد أن راسل أهلها إلى رسول الله عليهما السلام أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم فأجابهم إلى ذلك. فهي مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركب فكانت خالصة لرسول الله عليهما السلام^(٢٩).

وبهذا الرابط السلوكي الذي أشارت إليه الزهراء عليها السلام بين من وصفتهم بالبهم والذؤبان وبين اليهود تؤكد حقيقة اشتراك كلا الفريقين في إيقاد نار الحرب على محمد عليهما السلام وأل محمد عليهما السلام حتى وإن دخلوا الإسلام بعد ضرب خراطيمهم على يد علي بن أبي طالب وهو ما أفاده بعض المفسرين من أن المراد من قوله تعالى: ﴿كُلُّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَظْفَأُهَا اللَّهُ﴾^(٣٠) هم عموم أعداء النبي عليهما السلام من اليهود وغيرهم من نصب الحرب لمحمد عليهما السلام^(٣١) وذهب آخرون إلى أنهم أعداء آل بيت محمد عليهما السلام على وجه الخصوص^(٣٢) ومن هؤلاء الأعداء من قام بغضب الصديقة الطاهرة نحلتها.

السقوط في الفتنة:

ومما استشهدت به الزهراء عليها السلام من آيات الوعيد قوله تعالى:

﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقُطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لِمُحِيطَةٍ بِالْكَافِرِينَ﴾^(٣٣).

كان الاستشهاد بهذه الآية الكريمة بعد أن استعرضت الزهراء عليها السلام



خارطة التحول في التوجهات والانقلاب في النفوس، والذي ظهر على من كانت في صدورهم الضغينة والعداوة والنفاق حال ما اختار الله تعالى نبيه إلى جواره ، فتخرّق عنهم ما كان قد لبسوه من رداء الدين وكأنه قد تقادم عليه العهد حتى بل وانخلق ولم يعد يستر ما أخفت صدورهم من غل فهتك ما أضمروا من البغضاء مع قرب العهد برسول الله ﷺ حتى هزل منهم الدين وضعف فيهم الإيمان إلى الحد الذي لم يعد قائماً فيه عندهم على أصوله فهلك ذلك الدين وبليت عظامه ولم تعد واضحةً معاله ظهر فيهم ورثة النفاق بعد ما كانوا يخفونه ، فتصدى منهم من لا نباهة له في رأي ولا علو له في ذكر ولا وضوح في صوته ولا بيان، فانطلق حبس نفسيه فافصح عما يختلج في نفسه بعد عي بالباطل، فهو يسبق إلى عرصات الأصحاب متباخترا في مشيته فيشير عليهم برأي يحرفهم فيه عند اتباعه عن وردهم الصافي الذي هداهم الله تعالى إليه بنبيه ﷺ متذمراً لذلك خوف الوقوع في الفتنة وهو متقمص لها ومنغمس فيها بعد أن احتاج على منع فاطمة ظاهرها حقها بقول نسبة إلى النبي ﷺ فهو يخشى من الواقع في الفتنة إن لم يعمل بما بلغه عن رسول الله ﷺ، فجاءه جواب دعواه الواقع في الفتنة قرآنًا صريحاً واضح الدلالة على لسان من نزل الوحي في دار أبيها ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(٣٤) والتي قال المفسرون في المراد منها وفي سبب نزولها الآتي:-

ما أورده الطوسي (ت ٤٦٠هـ) من أن معنى الآية ولا تؤثمني بالعصيان في المخالفة التي توجب الفرقة، فتضمنت الآية جملة من المنافقين من استأذن النبي ﷺ في التأخر عن الخروج، والإذن رفع التبعية في الفعل، وهو والإباحة بمعنى، وقال له " لا تفتني " أي: لا تؤثمني بأن تكلفي المشقة في ذلك^(٣٥) وفي سبب النزول قال جماعة من المفسرين: إن النبي ﷺ كان يعيّن المسلمين ويهيئهم لمعركة تبوك ويدعوهم للتحرك نحوها، فبينا هو على مثل هذه الحال إذا برجل من رؤساء طائفه "بني سلمة" يدعى جد بن قيس بن صخر بن

خنساء الأنصاري، كان من المنافقين، تختلف عن رسول الله ﷺ عند بيعة الرضوان (٣٦). فجاء مستأذناً أن لا يشهد المعركة، متذرعاً بأن فيه شيئاً إلى النساء، وإذا ما وقعت عيناه على بنات الروم فربما سيهيم ولهاً بهن وينسحب من المعركة (٣٧) ! فأذن له النبي ﷺ بالانصراف. فنزلت الآية أعلاه معنفة ذلك الشخص ! فالتفت النبي ﷺ إلى بني سلمة وقال: من كبركم ؟ فقالوا: جد بن قيس، إلا أنه رجل بخيل وجبان، فقال: وأي شيء أبغض من البخل ؟ ثم قال: إن كبركم ذلك الشاب الوضيء الوجه بشر بن براء " وكان رجالاً سخياً سمحاً بشوشاً " (٣٨). يكشف شأن النزول المذكور أن الإنسان متى أراد أن يتصل من تحمل المسؤولية يسعى للتذرع بشتى الحيل، كما تذرع المنافق جد بن قيس لعدم المشاركة في المعركة وميدان الجهاد، بأنه ربما تأسره الوجوه النضرة من بنات الروم وتختطف قلبه، فينسحب من المعركة ويقع في إشكال شرعي !! فالقرآن يوجه الخطاب للنبي ﷺ ليرد على مثل هذه الذرائع المفضوحة قائلاً: ومنهم من يقول أذن لي ولا تفتني بالنساء والفتيات الروميات الجميلات. كما يحتمل في شأن نزول الآية أن جد بن قيس كان يتذرع ببقاء أمراته وأطفاله وأمواله بلا حام ولا كفيل بعده ليتخلص من الجهاد. ولكن القرآن يقول مجبياً عليه وأمثاله: ألا في الفتنة سقطوا وأن جهنم لمحيطة بالكافرين. أي: إن أمثال أولئك الذين تذروا بحججة الخوف من الذنب - هم الآن واقعون فيه فعلاً، وأن جهنم محيطة بهم، لأنهم تركوا ما أمرهم الله ورسوله به وراء ظهورهم وانصرفوا عن jihad بذرية الشبهة الشرعية !!

- وستخلص من هذا الموقف التاريخي للمنافقين ملاحظتان:-

١ - إن أحد طرق معرفة جماعة المنافقين في كل مجتمع، هو التدقير في أسلوب استدلاهم وأعذارهم التي يذكرونها ليتركوا ما عليهم من الوظائف، فهذه الأعذار تكشف - بجلاء - ما يدور في خلدهم وباطنهم. فهم غالباً ما يتسبّبون بسلسلة من الموضوعات الجزئية والمضحكَة أحياناً بدلاً من الاهتمام بالمواضيع

المهمة، ويستعملون المصطلحات الشرعية لإغفال المؤمنين ويتذرون بالأحكام الشرعية وأوامر الله ورسوله، في حين تجد أنهم غارقون في دوامة الخطايا، جادون في عداوتهم للرسول ودينه القويم .

٦ - للمسرين أقوال مختلفة في تفسير جملة وإن جهنم لمحيطة بالكافرين فقال بعضهم: هذه العبارة كناية عن إحاطة عوامل ورودهم إلى جهنم بهم، أي إن ذنوبهم تحيط بهم^(٣٩). وقال بعضهم: إن هذا التعبير من قبيل الحوادث الحتمية المستقبلية التي تذكر بصيغة الفعل الماضي أو الحال، أي إن جهنم ستحيط بهم بشكل قاطع. كما يحتمل أن نفس الجملة بمعناها الحقيقي، وهو أن جهنم موجودة فعلاً، وهي عبارة عن باطن هذه الدنيا، فالكافار قابعون في وسط جهنم في حياتهم الدنيوية وإن لم يصدر الأمر بتأثيرها^(٤٠)، كما أن الجنة موجودة في هذه الدنيا أيضاً وتحيط بالجميع، غاية ما في الأمر لما كان أهل الجنة جديرين بها فسيكونون مرتبطين بها، وأهل النار جديرون بالنار فهم من أهلها أيضاً^(٤١).

وقد أفاد السيد الطباطبائي من الدلالة السياقية معاني اشتمل عليها قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئْذَنْ لِي وَلَا تَفْتَنِي وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٤٢) الفتنة هنا على ما يهدى إليه السياق - إما الالقاء إلى ما يفتتن ويغره، وإما الالقاء في الفتنة والبلية الشاملة. والمراد على الأول: ائذن لي في القعود وعدم الخروج إلى الجهاد، ولا تلقني في الفتنة بتوصيف ما في هذه الغزوة من نفائس الغنائم ومشتهيات الأنفس فافتتن بها وأضطر إلى الخروج، وعلى الثاني ائذن لي ولا تلقني إلى ما في هذه الغزوة من المحنـة والمصيبة والبلية. فأجاب الله عن قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ ومعناه أنهم يحتزرون بحسب زعمهم عن فتنة متربقة من قبل الخروج، وقد أخطأوا فإن الذي هم عليه من الكفر والنفاق وسوء السريرة، ومن آثاره هذا القول الذي تفوهوا به هو بعينه فتنة سقطوا فيها فقد فتنهم الشيطان بالغرور، ووقعوا في مهلكة الكفر والضلال وفتنته. هذا حالم في هذه

النَّسَاءُ الدُّنْيَا وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّ جَهَنَّمَ لِحِيطَةِ الْكَافِرِينَ عَلَى حِذْوِ إِحْاطَةِ الْفَتَنَةِ
بِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَسُقُوطِهِمْ فِيهَا قَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ
لِمُحِيطَةٍ بِالْكَافِرِينَ﴾ كَأَنَّهُمَا معاً يُفِيدانِ مَعْنَى وَاحِداً وَهُوَ أَنْ هُؤُلَاءِ وَاقِعُونَ فِي
الْفَتَنَةِ وَالْتَّهْلِكَةِ أَبْدَأِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَيُمْكِنُ أَنْ يَفْهَمَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ
لِمُحِيطَةٍ بِالْكَافِرِينَ﴾ إِحْاطَةُ الْفَعْلِ مِنْ دُونِ إِحْاطَةِ الْاسْتِقْبَالِيَّةِ كَمَا تَهْدِي إِلَيْهِ
الآيَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى تَجْسُمِ الْأَعْمَالِ (٤٣).

وبعد هذا التقصي لأقوال المفسرين في تفسير الآية الكريمة وبيان سبب نزولها والمراد منها وما تم خوض عنها من كشفها لصنف من المنافقين الذين حاولوا شرعنـة عدم التزامـهم بأوامر الله ونواهـيه بحجـة الخوف وقوعـهم بالفتـنة عند قيـامـهم بما أوجـب الله تعالى عـلـيـهـمـ، تتـضـحـ حقـيقـةـ الـرـبـطـ بينـ المـرـايـيـ التيـ قـصـدـتهاـ سـيـدةـ نـسـاءـ الـعـالـمـيـنـ فـاطـمـةـ الزـهـراءـ عـلـيـهـاـ الـلـهـ وـبـيـنـ الدـلـالـاتـ التيـ تـوـافـرـتـ عـلـيـهاـ الآـيـةـ الكـرـيمـةـ.

فإنها تتوعد من حادوا عن جادت الصواب وتنكبا عن طريق الحق بعد أن طلع شيطان نكوصهم وغدرهم من مخبئه، فأبعدوا الحق الإلهي الذي أوكله الله تعالى إلى من جعله النبي ﷺ خليفة له ووصيه على أمته من بعده، حتى جعلوا الأمر في غير أهله بعد ما فتنتهم الدنيا بغرورها ومطامعها فتكشفت تلك الفتنة بانشالهم على السلطان ولما يزل جثمان رسول الله ﷺ بينهم لم يجهز بجهازه، وما كانت حجتهم في هذا الأمر إلا أن قالوا: (فجعلت كلما ارتفعت الأصوات وخشيست الفتنة أقول لأبي بكر: مد يدك حتى أبأيعك. فمد يده، فبأينته) ^(٤٤). إذن فحجتهم في منع الحق عن أهله هي الخوف من وقوع الفتنة في أمّة محمد ﷺ بعدما اختللت هذه الأمّة في سقيفة بني ساعدة ^(٤٥) فجعلت الأمر في عامة قريش تارةً وتبنى هذا الرأي الأول فقال: (قال لي رسول الله ﷺ: إن هذا الأمر لا يكون إلا في قريش) ^(٤٦). ومنهم من جعل الأمر محاصصة بين الفرقاء يسيئونه بينهم إرضاءً

لأنفس الشج حتى قال قائلهم: (نحن الأمراء وأنتم الوزراء فقال حباب بن المنذر لا والله لا نفعل مما أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر لا ولكن الأمراء وأنتم الوزراء هم أوسط العرب دارا وأعربيهم أحسابا) ^(٤٧). كل هذا وهم على علم ودرية وبصيرة في أن لهذا الأمر أهل ولكنهم اجتهدوا على أن يزحزحوه عنهم خوفاً من الفتنة كما يزعمون فاعتذروا لصاحب الحق حتى قال قائلهم: (يا ابن عم لسنا ندفع قرابتك ولا ساقتك ولا علمك ولا نصرتك، ولكنك حديث السن - وكان علي عليه السلام يومئذ ثلاث وثلاثون سنة - وأبو بكر شيخ من مشايخ قومك، وهو أحمل لشقل هذا الأمر، وقد مضى الأمر بما فيه فسلم له، فإن عمرك الله يسلمو هذا الأمر إليك، ولا يختلف فيك اثنان بعد هذا إلا وأنت به خليق وله حقيق، ولا تبعث الفتنة في أوان الفتنة فقد عرفت ما في قلوب العرب وغيرهم ^(٤٨) عليك).

فكان ما اعتذروا منه بحجة خوف الوقوع في الفتنة هو الفتنة بعينها، لأن في فعلهم الذي اجترحوه غاية المعصية لله ورسوله وأولي الأمر الذين فرض الله طاعتهم وحرم على العباد معصيتهم، وإن الفعل الذي سولت لهم أنفسهم اقترافه هو الذي يسقطهم في الفتنة ويوردهم موارد الهملة ولا يبعدهم عنها كما يزعمون، لذا يرى المتبع أن الاقتران الموضوعي بين سبب النزول للآية الكريمة وتهرب من نزلت بحقه من أداء الواجب تذرعاً بالخوف من الفتنة والتي احتجت بها سيدة النساء عليها السلام وبينت دلالتها الانطباقية على مصادقها وبين السبب الذي تذرع به سرّاق الولاية من الخوف في الواقع في الفتنة، فإن هذا الاقتران الذي أوجدهه الراهء عليه السلام نتيجته أنهم وقعوا في فتنة العصيان بمخالفتهم ما أمر به رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه في غدير خم. وجاء ذلك لأن جهنم محطة بهم كما توعد القرآن أهل الفتنة بذلك يوم القيمة، أو محطة بهم الآن، لأن أسباب إحاطتها بهم معهم، فكأنهم في وسطها (٤٩).



حكم الجاهلية :

وما استشهدت به الزهراء عليه السلام من آيات الوعيد قوله تعالى:

﴿أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقَنُونَ﴾ (٥٠).

لقد أجمع المفسرون على أن سبب نزول هذه الآية هو أن اليهود قد حكموا النبي عليه السلام فيما بينهم، طمعاً منهم في الحصول على حكم مغاير لما ثبت عندهم في التوراة، إلا أن ذلك السبب لا يحصر الحكم على هذه الواقعة دون غيرها بل تكون تلك الواقعة واحدة من مصاديق ذلك الحكم ف(إذا نزلت الآية بسبب خاص، وكان اللفظ فيها عاما فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فلا يتقييد بالدلائل القرآنية في نطاق السبب الخاص للنزول أو الواقعة التي نزلت الآية بشأنها، بل يؤخذ به على عمومه، لأن سبب النزول يقوم بدورة الإشارة لا التخصيص، وقد جرت عادة القرآن أن ينزل بعض احكامه وتعليماته وارشاداته على اثر وقائع واحدات تقع في حياة الناس وتتطلب حكما وتعليميا من الله، لكي يجيء البيان القرآني أبلغ تأثيرا وأشد أهمية في نظر المسلمين وان كان مضمونه عاماً شاملأ).

عين الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام المراد من هذه الآية الكريمة فيبيّن أن (الحكم حكمان: حكم الله، وحكم الجاهلية، فمن أخطأ حكم الله حكم بحكم الجاهلية) (٥١).

وذكر الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) في أحد قوله في بيان المراد من هذه الآية الكريمة (انها كناية عن كل من طلب غير حكم الله أي إنما خرج منه إلى حكم الجاهلية. وكفى بذلك خزياناً أن يحكم بما يوجبه الجهل دون ما يوجبه العلم) (٥٢)

ونقل الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) عن الحسن قول (هو عام في كل من يبغى غير

حكم الله. والحكم حكمان: حكم بعلم فهو حكم الله، وحكم بجهل فهو حكم الشيطان. وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية (٥٣).

وبما أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص المورد كما هو شأن الآيات التي لنزولها أسباب خاصة من الحوادث الواقعة، فليس لأسباب نزولها منها إلا ما لواحد من مصاديقها الكثيرة من السهم، وليس إلا لأن القرآن كتاب عام دائم لا يتقييد بزمان أو مكان، ولا يختص بقوم أو حادثة خاصة وإذا كانت هذه الأحكام والشرائع حقة نازلة من عند الله ولم يكن وراءها حكم حق لا يكون دونها إلا حكم الجاهلية الناشئة عن اتباع الهوى فهؤلاء الذين يتولون عن الحكم الحق ماذا يريدون بتوليهم وليس هناك إلا حكم الجاهلية؟ أفحكم الجاهلية يبغون والحال أنه ليس أحد أحسن حكما من الله لهؤلاء المدعين للإيمان؟. فقوله: ﴿أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ استفهام ت生يحي، وقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾ استفهام انكارى أي: لا أحد أحسن حكما من الله، وإنما يتبع الحكم لحسنه، وقوله: "لَقَوْمٍ يُوقِنُونَ" فيأخذ وصف اليقين تعريض لهم بأنهم إن صدقوا في دعواهم الإيمان بالله فهم يوقنون بآياته، والذين يوقنون بآيات الله ينكرون أن يكون أحد أحسن حكما من الله سبحانه (٥٤).

ومن لطائف التفسير ما صرخ به القطب الرواندي (٥٥) في تفسير آية المواريث ووجوب العمل بها على وفق ما شرعه الله تعالى من أن للرجال من الميراث نصيبا وان للنساء أيضا نصيبا، وان توريث الرجال دون النساء مع المساواة في التربي والدرجة من احكام الجاهلية، وقد نسخ الله بشريعة نبينا محمد ﷺ أحكام الجاهلية وذم من أقام عليها واستمر على العمل بها بقوله ﴿أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٥٦).

وما يصح أن يقال عنه في هذا المورد الذي استشهدت به الزهراء ة أنه

تأسیس لقاعدة تفسیرية قامت على إرساء قواعدها ألا وهي قاعدة الجري والانطباق، بمعنى أن الآية وردت لمناسبة ما باستعمال لفظ له دلالة واسعة، تتبع للمفسرين تطبيقها على موارد عديدة، وقد يلتزم بمصداقها المثالي الذي هو أكمل المصاديق، وهذا لا إشكالية فيه، وإنما قد يختلف في كون هذا المصدق هو الأكمل، وقد تبقى دلالة ذلك اللفظ على سمعتها عند الجميع بحيث لا يجزم أحد بالحصر بها في معنى معين، وليس هذا بعيدا عن طبيعة القرآن، بل كون القرآن كتاب الإنسانية على مدى الزمان والمكان، يقتضي صحة ذلك^(٥٧).

فكانَ عَلَيْهِ مُوجَّهًا لِمَنْ عَدَلَ عَنْ حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى حُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي مَا شَرَعَتْهُ التُّورَاةُ، وَبِذَلِكَ يَجْرِي عَلَى هُؤُلَاءِ الْمَانِعِينَ لِحَقِّهَا مِنْ حُكْمٍ مَا يَجْرِي عَلَى الْيَهُودِ لِوَحدَةِ الْمَنَاطِ بَيْنِ الْحَكْمَيْنِ.

هذه بعض من آيات الوعيد التي اشتملت عليها خطبة سيدة النساء عليهما
والتي توافر البحث على دراستها وبيان أبعادها واستجلاء مضامينها وسر أغوارها
مسترشدين لذلك بما أفصحت به الزهراء عليهما من مكتنون معاني الآيات الواضح
دلالاتها وبيان مصاديقها وكشف المراد منها، لتلقي على خصومها الحجج والبراهين
حججاً إثر حجة ﴿لِيَهُكَمْ مَنْ هَلَكَ عَنْ يَبْيَنَةِ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ يَبْيَنَةِ﴾^(٥٨) فهي تؤشر
إلى من ينطبق عليهم وصف المتقى من كان في عهد رسول الله عليهما لما تحتمل
الدلالات الواضحة على سبيل التغليظ وطريق التشديد، ليهاب المؤمنون بلوغ أدنى
حدود المعصية، ويقفوا عند أول مراتب السيئة فكانت الصديقة الطاهرة تستشهد
بآيات الوعيد الشريفة بما تكتنزه من دلالات واضحة وصرحية على وجوب ولزوم
أوامر الله تعالى في ما أوجبه على العباد من أحكام، وطاعته في تنفيذها، وعدم
عصيائه بالتنكر لها، وشكر نعمته على إقامة تلك الأحكام.

إِنَّمَا يُلْفِتُ النَّاظِرَ وَيُثِيرُ الانتِبَاهَ وَيُحَفِّزُ الذَّهَنَ أَنْ تَقْرَنْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ

في خطبتها وهي تستعرض التوازن والصعب التي حاقت بدعوة أبيها عليهما الله والقى احتمل وزرها بهم الرجال وذؤبان العرب وهم الذين كافحوا الرسول وناكفوه في بدء دعوته المباركة من جهة وبين من نزلت في حقهم أغلب الآيات التي استشهدت بها الزهراء عليهما الله في خطبتها والتي تشير التفاسير إلى أنهم اليهود بشكل خاص وقد عملت عليهما الله على الربط السلوكي بين من وصفتهم بالبهم والذؤبان وبين اليهود لتوكيده حقيقة اشتراك كلا الفريقين في إيقاد نار الحرب على محمد عليهما الله وآل محمد عليهما الله حتى وإن دخلوا الإسلام بعد ضرب خراطيمهم على يد علي بن أبي طالب عليهما الله.

وآخر دعواانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين وعلى آله الطيبين الطاهرين..

* هوامش البحث *

- ١ - الصدق-كمال الدين وتمام النعمة: ٤٣٥، والحديث يروى بمضمونه عند جمهور المسلمين، ظ:أحمد بن حنبل-مسند احمد: ٣ / ١٤ + الطبراني-المعجم الصغير: ١ / ١٣١ + المتقي الهندي-كنز العمال: ٥ / ٢٨٩ - ٢٩٠.
- ٢ - الصدق-كمال الدين وتمام النعمة: ٦٤.
- ٣ - احمد بن حنبل - مسند احمد: ٣ / ١٧ وينظر: أبو الصلاح الحلبي - الكافي ٩٦ و الصدق - كمال الدين وتمام النعمة ٦٤ والتزمي - سن الترمذى ٥ / ٣٢٩.
- ٤ - سورة يوسف: ١٠٨.
- ٥ - سورة الأحزاب: ٣٣.
- ٦ -- ينظر: الصدق - كمال الدين وتمام النعمة ٦٤.
- ٧ - ابن حمدون - التذكرة الحمدونية: ٩٨/٦.
- ٨ - ابطحي - الصحيفة السجادية - الإمام زين العابدين عليهما الله - ص ١٦٤ - ١٦٥. تحقيق: السيد محمد باقر الموحد الاطبخي الإصفهاني - ط: ١٤١١ هـ - الناشر: مؤسسة الإمام المهدي عليهما الله / مؤسسة الأنصاريان للطباعة والنشر - قم - ايران
- ٩ - الغزالى - إحياء علوم الدين: ١/٢٨٦.: محمد بن محمد الغزالى. الناشر: دار المعرفة - بيروت.
- ١٠ - سورة آل عمران: ١٠٢.

- ١١ - تفسير الميزان - السيد الطباطبائي: ٣ / ٣٧٧ - ٣٧٨ .
 ١٢ - سورة الأنفال: ٤٦ .
 ١٣ - سورة آل عمران: ١٠٢ .
 ١٤ - سورة الشعراة: ٢٢٧ .
 ١٥ - سورة النساء: ١ .
 ١٦ - سورة يوئس: ٣٦ .
 ١٧ - تفسير فرات الكوفي - فرات بن إبراهيم الكوفي - ص ٣٠٦ - ٣٠٩ .
 ١٨ - حقائق التأويل - الشريف الرضي: ٤٠١ - ٤٠٢ .
 ١٩ - جامع البيان - ابن جرير الطبرى: ٤ / ٣٨ .
 ٢٠ - التبيان - الشيخ الطوسي: ٢ / ٥٤٤ - ٥٤٥ .
 ٢١ - سورة البقرة: ٤٤ .
 ٢٢ - تفسير الميزان - السيد الطباطبائي: ٣ / ٣٦٧ .
 ٢٣ - صحيح مسلم - مسلم النيسابوري: ٥ / ١٥٦ .
 ٢٤ - سورة المائدة: ٦٤ .
 ٢٥ - تفسير نور الشفلين - الشيخ الحوizي: ١ / ٦٥٠ .
 ٢٦ - تفسير مجمع البيان - الطبرى: ٣ / ٣٧٨ - ٣٧٩ .
 ٢٧ - لسان العرب - ابن منظور: ١٢ / ٥٨ .
 ٢٨ - تفسير مجمع البيان - الطبرى: ٣ / ٣٧٨ - ٣٧٩ و جامع البيان - ابن جرير الطبرى: ٦ / ٤١٠ و تفسير السمعاني - السمعاني: ٢ / ٥١ و تفسير ابن زمين - أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمين: ٢ / ٣٧ .
 ٢٩ - السنن الكبرى - البهقى: ٦ / ٣١٧ و معجم البلدان - للحموى: ٣ / ٨٥٥ - ٨٥٨ و فدك في التاريخ - محمد باقر الصدر: ١٧٣ .
 ٣٠ - سورة المائدة: ٦٤ .
 ٣١ - جامع البيان - ابن جرير الطبرى: ٦ / ٤١٠ .
 ٣٢ - تفسير نور الشفلين - الشيخ الحويزى: ١ / ٦٥٠ .
 ٣٣ - سورة التوبة: ٤٩ .
 ٣٤ - سورة التوبة: ٤٩ .
 ٣٥ - ينظر: التبيان: ٥ / ٤٣٣ .
 ٣٦ - ينظر: امتاع الأسماء - للمقرىزى: ١ / ٤٤٧ .
 ٣٧ - ينظر: تفسير الشعلبي - الشعلبي: ٥ / ٥٦٢ .



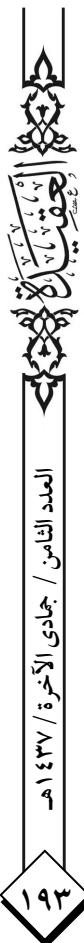
- ٣٨ - ينظر: أسباب النزول - الواحدي النيسابوري: ١٦٦.
- ٣٩ - ينظر: تيسير الكريم الرحمن - عبد الرحمن ناصر السعدي: ٦٣٤.
- ٤٠ - ينظر: التفسير الأصفي - الفيض الكاشاني: ١ / ٤٧٠ وتفسير الميزان - الطباطبائي: ٩ / ٣٥٥.
- ٤١ - ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - ناصر مكارم الشيرازي: ٦ / ٧٣ - ٧٥.
- ٤٢ - سورة التوبة: ٤٩.
- ٤٣ - تفسير الميزان - السيد الطباطبائي: ٩ / ٣٥٥ - ٣٠٦.
- ٤٤ - شرح الأخبار - القاضي النعمان المغربي - ج ٢ - ص ٩٢٨.
- ٤٥ - سقيفة بني ساعدة :، وهي ظلة كانوا يجلسون تحتها بالمدينة، فيها بoyer أبو بكر، وأما بنو ساعدة الذين أضيفت إليهم السقيفة فهم هي من الأنصار، وهم بنو ساعدة بن كعب بن الخررج و منهم سعد بن عبادة وهو القائل يوم السقيفة: منا أمير ومنكم أمير، ولم يبايع أبا بكر ولا أحدا. ينظر: معجم البلدان - الحموي: ٣ / ٢٢٨ - ٢٢٩.
- ٤٦ - شرح الأخبار - القاضي النعمان المغربي: ٢ / ٩٢٨.
- ٤٧ - صحيح البخاري - البخاري: ٤ / ١٩٤.
- ٤٨ - لاحتجاج - الشيخ الطبرسي: ١ / ٩٦ - ٩٧.
- ٤٩ - تفسير جوامع الجامع - الطبرسي: ٢ / ٧٠.
- ٥٠ - علوم القرآن - محمد باقر الحكيم - ٤٢.
- ٥١ - الكافي - الكليني: ٤٠٧/٧.
- ٥٢ - التبيان: ٥٤٩ / ٣.
- ٥٣ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل: ج ١ - شرح ص ٦١٩.
- ٥٤ - ينظر: تفسير الميزان - السيد الطباطبائي: ٥ / ٣٣٩.
- ٥٥ - ينظر: فقه القرآن - القطب الرواندي: ٢ / ٣٥١.
- ٥٦ - علوم القرآن - محمد باقر الحكيم - ٤٢.
- ٥٧ - ينظر: الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني - للباحث: ١١٤.
- ٥٨ - سورة الأنفال: ٤٢.

* المصادر والمراجع *

- ابطحي - الصحيفة السجادية - الإمام زين العابدين عليه السلام - ص ١٦٤ - ١٦٥. تحقيق: السيد محمد باقر الموحد الاطبخي الإصفهاني - ط ١٤١١ هـ - الناشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام / مؤسسة الأنصاريان للطباعة والنشر - قم - ايران.

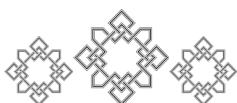
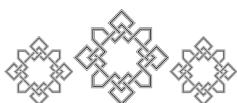
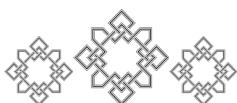


- ابن حمدون - التذكرة الحمدونية - مصدر الكتاب: موقع الوراق <http://www.alwarraq.com>
- [الكتاب مرقم آلياً غير موافق للمطبوع].
- ابن زمين: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمين (ت ٣٩٩هـ) - تفسير ابن زمين.
- تحقيق: حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنزي - ط ١٤٢٣هـ - القاهرة.
- ابن منظور: محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ) - لسان العرب - ط ١٤٠٥هـ - مؤسسة أدب الحوزة - التراث العربي. منشورات: مؤسسة أدب الحوزة - ١٤٢٢هـ
- أبو الصلاح الحلبي (ت ٤٤٧هـ) - الكافي - تحقيق: رضا أستادي
- الناشر: مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليهما السلام العامة - اصفهان
- أحمد بن حنبل: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني (ت ٤٤١هـ) - المستند: مسند أحمد - منشورات دار صادر. بيروت. لبنان.
- الباحث - الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني - ط ١٤٣٢هـ - سنة ١٤٣٢هـ - بيروت - اصدارات قسم الشؤون الفكرية في العتبة الحسينية المقدسة
- البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت ٥٦٥هـ) - الجامع الصحيح.
- طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامة باسطنبول - منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت ١٤٠١هـ
- البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ) - السنن الكبرى - طبع - دار الفكر - بيروت.
- الترمذى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ) - سنن الترمذى - تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف - منشورات دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت ١٤٠٣هـ
- الشعابى: أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٤٦٧هـ) - تفسير الشعابى: الكشف والبيان في تفسير القرآن - تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي.
- مطبعة: دار إحياء التراث العربي - ط ١٤٢٩هـ
- الحموي ياقوت بن عبد الله الروي البغدادي (ت ٦٦٦هـ) - معجم البلدان - منشورات دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان ١٣٩٩هـ
- الحويزى: عبد على بن جمعة العروسي (ت ١١١٢هـ) - نور الشقلىين - تحقيق: هاشم الرسولي المحلاوى.
- الرواندى: هبة الله بن سعيد "القطب الرواندى" (ت ٥٧٣هـ) - فقه القرآن - تحقيق: أ.حـدـ الحسيني - منشورات: مكتبة المرعشى العامة - ط ٢ - ١٤٠٥هـ



- الزمخشري محمود بن عمر بن محمد (ت ٥٢٦هـ).- الكشاف عن حقائق غواص التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأویل.-تحقيق محمد عبد السلام شاهین- منشورات محمد علي بيضون.دار الكتب العلمية.لبنان- الطبعة الثالثة.١٤٤٤هـ.
- السمعاني: منصور بن محمد بن عبد الجبار (ت ٤٨٩هـ).- تفسير السمعاني، تفسير القرآن.- تحقيق: ياسر إبراهيم وغنيم عباس-ط١- دار الوطن-١٤١٨هـ-الرياض.
- السيد محمد باقر الصدر (ت ٤٠١هـ) فدك في التاريخ-تحقيق: عبد الجبار شرارة-ط١-سنة ١٤١٥-الناشر: مركز الغدير للدراسات الإسلامية.
- الشريف الرضي: محمد بن الحسين بن موسى الموسوي(ت ٤٠٦ هـ).-حقائق التأویل، في متشابه التنزيل.-شرح محمد الرضا كاشف الغطاء -طبع ونشر دار المهاجر- بيروت-لبنان.
- الصدوقي: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ).- كمال الدين وتمام النعمة- تحقيق: علي أكبر الغفاري- مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسین-١٤٠٥هـ-قم.
- الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ).-المعجم الصغير-دار الكتب العلمية- بيروت.
- الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٤٨٤هـ).-جمع البيان في تفسير القرآن.-تحقيق لجنة من العلماء والمحققين -ط١- مؤسسة الأعلمي-١٤١٥هـ-بيروت.
- الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٤٨٤هـ).-جمع البيان في تفسير القرآن.
- تحقيق لجنة من العلماء والمحققين -ط١- مؤسسة الأعلمي-١٤١٥هـ-بيروت.
- الطبرسي: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب(ت-٤٥هـ) -الاحتجاج-تحقيق: محمد باقر الخرسان-دار النعمان-١٣٨٦هـ-التجف الأشرف.
- الطبری: محمد بن جریر (ت ٣١٠هـ).-جامع البيان عن تأویل آی القرآن.-تحقيق صدیق جمیل العطار- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزیع ١٤١٥هـ.
- الطوسي: محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ).-التبیان.-تحقيق أحمد حبیب قصیر- دار إحياء التراث العربي-ط١-بيروت-١٤٠٩هـ.
- عبد الرحمن بن ناصر السعدي: نفسه.-تيسير الكریم المنان: تيسیر الكریم الرحمن في کلام المنان.-تحقيق: ابن عثیمین- مؤسسة الرسالة- ١٤٢١هـ-بيروت.
- الغزالی محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ).-إحياء علوم الدين: ٢٨٦/١:: محمد بن محمد الغزالی أبو حامد. الناشر: دار المعرفة - بيروت

- فرات بن إبراهيم الكوفي (ت ٥٣٥ هـ) - تفسير فرات الكوفي - تحقيق: محمد الكاظم - ط ١ - سنة ١٤١٠ - الناشر: مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - طهران
- الفيض الكاشاني: محمد محسن (ت ١٠٩١ هـ).-التفسير الأصفي، في تفسير القرآن.-مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية.
- الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت ٣٢٩ هـ).-الكافي.
- تحقيق: علي أكبر الغفاري - دار الكتب الإسلامية - ط ١ - طهران.
- المتقي الهندي: علي بن حسام الدين البرهان فوري (ت ٩٧٥ هـ).-كنز العمال: في سنن الأقوال والأفعال.-تحقيق بكري حياني وصفوة السقا.-مؤسسة الرسالة - ١٤٠٩ هـ - بيروت.
- محمد باقر الحكيم: نفسه.-علوم القرآن.-مجمع الفكر الإسلامي - ط ٣ - مؤسسة الهادي - ١٤١٧ هـ - قم .
- محمد حسين الطباطبائي: محمد حسين الطباطبائي الحسيني (١٤١٩ هـ)-الميزان-منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم.
- مسلم بن الحاج ابن مسلم بن ورد القشيري النيسابوري(ت ٦٦١ هـ). - صحيح مسلم - منشورات دار الفكر. بيروت. لبنان.
- المقريزي (ت ٨٤٥ هـ)- إمتاع الأسماع- تحقيق: تحقيق وتعليق: محمد عبد الحميد التميمي ط ١-طبع: ١٤٤٠-الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
- ناصر مكارم الشيرازي-الأمثال في تفسير كتاب الله المنزل.-طبعة جديدة منقحة مع إضافات.
- النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي(ت ٣٦٣ هـ).- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار.-منشورات مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين- تحقيق محمد الحسيني الجلاي. مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي. قم. إيران.
- الوحدوي: أبو الحسن علي بن أحمد الوحدوي النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ).- أسباب النزول، أسباب نزول الآيات. منشورات مؤسسة الحلبي وشركاه. القاهرة. ١٣٨٨ هـ



الفكر الكلامي عند السيدة الزهراء عليها السلام الخطبة الفدكية انموذجاً

السيد سلام الخرسان

مقدمة

وبه نستعين، الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيد المرسلين، المبعوث رحمة للعالمين أبي القاسم المصطفى، وعلى أخيه أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب وعلى الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وعلى أبنائهما الطاهرين، لا سيما بقية الله في الأرضين الإمام الموعود، والأمل المنشود، الحجة بن الحسن (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وللعن الدائم على أعدائهم اجمعين من الأولين والآخرين..

أما بعد ..

لقد حظي كلام المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، بعناية فائقة منذ فجر الاسلام المحمدي الأصيل وحتى عصرنا الحاضر، وسوف يبقى مثاراً للأجيال إلى ما شاء الله تعالى.

وقد عرضه العلماء والمتكلمون والأدباء والشعراء، في كلامهم واغترفوا من هذا المنهل العظيم، فكلامهم عليهم السلام دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين، كيف لا وهم عدل القرآن، بل هم القرآن الناطق.

ولا شك في أن خطبة السيدة الزهراء عليها السلام هي من أشرف الخطب وأعلاها رتبة في البلاغة، وقد اشتغلت على المعارف الإلهية، التي هزت بها اركان الظلم والطغيان، وأزالت الغشاوة عن أعين الناس، ولم يكن كلامها مجرد محاججة

المطلب الثالث: العدالة في فكر السيدة الزهراء عليها السلام
 المطلب الثاني: الإمامية في فكر السيدة الزهراء عليها السلام
 المطلب الأول: المعرفة والآيات في فكر السيدة الزهراء عليها السلام

وبحادلة مع القوم فحسب، بل كان كلامها دستوراً للعقائد والتشريعات الإسلامية بكل صورها، في التوحيد والعدل وفي النبوة والإمامية والمعاد، فكلامها عليها السلام شامل لكل النواحي التكوينية والتشريعية.

ولأجل بيان أسرار هذه الخطبة المباركة فقد اختار الباحث عنوان بحثه (الفكر الكلامي عند السيدة الزهراء عليها السلام الخطبة الفدكية انموذجاً).

وقد قسم البحث على مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث.

عرض الباحث في التمهيد أساسيات الخطبة الفدكية.

أما المبحث الأول فقد عرض فيه التوحيد، وقد قسمه على ثلاثة مطالب:
 المطلب الأول: وجوب النظر في معرفة الله تعالى. وفي المطلب الثاني: أدلة وجود الله تعالى، وفي المطلب الثالث: حقائق التوحيد وأسرار الشهادة بالوحدةانية عند الزهراء عليها السلام.

في حين عرض في المبحث الثاني: العدل الإلهي، وقد قسمه على ثلاثة مطالب: المطلب الأول: مفهوم العدل لغة واصطلاحاً والمطلب الثاني: أدلة اثبات عدل الله عز وجل. والمطلب الثالث: العدل الإلهي في كلام الزهراء عليها السلام.

وعرض المبحث الثالث: النبوة، وقد قسمه على ثلاثة مطالب:

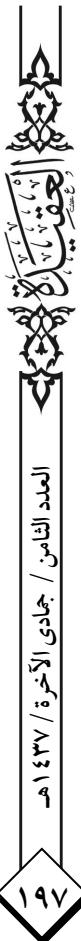
المطلب الأول: مفهوم النبوة وطرق اثباتها، والمطلب الثاني: أدلة لزوم بعثة الانبياء، والمطلب الثالث: النبوة في فكر السيدة الزهراء عليها السلام.

أما المبحث الرابع: فقد عرض فيه الإمامية. وقد قسمه على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : معنى الإمامية لغة واصطلاحاً. والمطلب الثاني: طرق إثبات الإمامية والمطلب الثالث: الزهراء عليها السلام ودفاعها عن الإمامية.

وفي المبحث الخامس: المعاد، وقد قسمه على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المعاد لغة واصطلاحاً، والمطلب الثاني: أدلة المعاد، والمطلب الثالث: المعاد في فكر الزهراء (عليها السلام).



وفي الخاتمة ذكر الباحث أهم النتائج التي توصل إليها. أما أهمية الموضوع و اختياره فتكمن في أن الزهراء عليهما السلام تعد حلقة الوصل بين النبوة والإمامية، بل هي الوعاء الذي حمل الأئمة الطاهرين عليهم السلام. وكذلك تبرز أهميته بإثراء المكتبة العلمية بفكر أهل البيت عليهم السلام.

أما أهدافه: فهي بيان دور الزهراء عليهما السلام في التصدي للظلم والدفاع عن العقيدة الحقة. وكذلك توضيح فلسفة أسرار الأحكام. والإشارة أيضاً إلى مظلومية أهل البيت عليهم السلام وما تعرضوا له من اغتصاب لحقوقهم وابعادهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها. وايضاً ابراز بلاغة السيدة الزهراء عليهما السلام في كلماتها التورانية.

أما أهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث للوصول إلى ما كان يصبو إليه، تفسير القرآن الكريم للطاطبائي والطبرسي، وشرح الخطبة الفدكية، وشرح نهج البلاغة، ومحاضرات في الالهيات، والالهيات، وبحار الانوار، والنكت الاعتقادية، وكتب اللغة لسان العرب وجمع البحرين والمفردات، والكتب الكلامية ككتاب الذخيرة في علم الكلام، والمواقف في علم الكلام، وما سواها من المصادر والمراجع.

وأخيراً يبتهل الباحث إلى الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منه هذا العمل و يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وان ينفع به كل من يقرأه أو يطلع عليه، و يجعله في ميزان حسناتهم إنه سميع علiem. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا وشافع ذنوبنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

التمهيد

أسانيد الخطبة الفدكية

إنَّ هذه الخطبة رواها الموالف والمخالف، وقد اهتمَ بنقلها أهل البيت عليهم السلام من الصدر الأول حتى شاعت واشتهرت عند المحدثين والعلماء..

رغم من سعى من المخالفين والمعاندين لأهل البيت عليهم السلام على اخفاها أو رميها بالتلقيق والتزوير - وهذا طبيعي لأنَّه فيه تفضيح لزعمائهم - إلا أنها ذاع صيتها بين الناس حتى أشار إليها اللغويون القدماء في كتبهم أمثل:

الخليل الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) حيث قال: (اللَّمَةُ) مخففة: الجماعة من الرجال والنساء أيضاً، وفي الحديث «جاءت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر في لميّة من حَفَدَتها ونساء قومها»^(١). فقد أشار الفراهيدي هنا إلى خروج السيدة الزهراء عليها السلام إلى أبي بكر من أجل المطالبة بحقها بفك.

وكذلك ما قاله ابن منظور (ت ٧٦١ هـ) في معنى (اللَّمَةُ): (كل من لقي في سفره من يؤذنه أو يُرْفده. وفي الحديث: لا تسافروا حتى تُصِيبوا لَمَةً أي: رُفقة).

وفي حديث فاطمة رضوان الله عليها، إنها خرجت في لَمَةٍ من نسائها تتوطأ ذيلها إلى أبي بكر فاعتبرته، أي: في جماعة من نسائها ..)^(٢).

وقوله فاعتبرته أيضاً فيه إشارة إلى هذه الخطبة.

وأما غيرهم فقد رواها كل من أحمد بن أبي طاهر المعروف بابن أبي طيفور (ت ٤٨٠ هـ) في كتابه (بلاغات النساء) الذي يعد من أقدم الكتب التي ذكرت الخطبة بكاملها بالأسانيد المتصافرة. وهو من المصادر المهمة، وقد رواها عن الإمامة عليها السلام، وعن زينب ابنة أمير المؤمنين عليها السلام وأسندها إليهم^(٣).

ثم قال : (قال أبو الفضل ذكرت لأبي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (صلوات الله عليهم) كلام فاطمة عليها السلام عند منع أبي بكر إياها فدك

ساز سلام آستانه / آستانه عین السیده زینب (ع) / آستانه الکاظمی



وقلت له: إِنَّ هُؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ مُصْنَعٌ وَأَنَّهُ مِنْ كَلَامِ أَبِي الْعَيْنَاءِ (الْخُبْرُ مَنْسُوقٌ
الْبَلَاغَةُ) فَقَالَ لِي: رَأَيْتُ مَشَايخَ آلَ أَبِي طَالِبٍ يَرَوُونَهُ عَنْ آبَائِهِمْ وَيَعْلَمُونَهُ أَبْنَاءَهُمْ
وَقَدْ حَدَثْنِيهِ أَبِي عَنْ جَدِّي يَبْلُغُ بِهِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ عَلَى هَذِهِ الْحَكَايَةِ وَرَوَاهُ مَشَايخُ
الشِّيَعَةِ وَتَدَارُسُهُ بَيْنَهُمْ قَبْلَ أَنْ يُولَدَ جَدُّ أَبِي الْعَيْنَاءِ ... إِلَى أَنْ قَالَ: وَهُمْ يَرَوُونَ كَلَامَ
عَائِشَةَ عَنْ مَوْتِ أَبِيهَا مَا هُوَ أَعْجَبُ مِنْ كَلَامِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ يَتَحَقَّقُونَهُ لَوْلَا عَدَاوَتِهِمْ
لَنَا أَهْلُ الْبَيْتِ ... ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ^(٤).

وروى هذه الخطبة أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري (ت ٥٣٣هـ) في
كتابه (السقيفة وفك) فقال: (حدثني احمد بن محمد بن يزيد، عن عبد الله بن
محمد بن سليمان، عن أبيه، عند عبد الله بن الحسن، قالوا جميعاً: لما بلغ
فاطمة علية السلام اجماع أبى بكر على منعها فدك، لاثت خمارها، وأقبلت في لمة من
حفتها ونساء قومها ..)^(٥).

وقال المسعودي (ت ٣٤٦هـ) في مروج الذهب: (وأَخْبَارُ مَنْ قَدِدَ عَنِ الْبَيْعَةِ
وَمَنْ بَاعَ، وَمَا قَالَتْ بَنْوَهَاشَمْ، وَمَا كَانَ مِنْ قَصَّةِ فَدَكِ، وَمَا قَالَهُ أَصْحَابُ النَّصِيفِ
وَالْإِخْتِيَارِ فِي الْإِمَامَةِ، وَمَنْ قَالَ بِإِمَامَةِ الْمُفْضُولِ وَغَيْرِهِ، وَمَا كَانَ مِنْ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ
وَكَلَامِهَا ...)^(٦).

وقد رواها الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ) عن الحافظ ابن مردويه، في كتابه (مقتل
الحسين علية السلام)^(٧).

وذكرها ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) في كتابه النهاية في باب (لمة)^(٨).

وكذلك ذكرها في كتابه (منال الطالب في شرح طوال الغرائب) إذ أورد
الخطبة كاملة.

فقال: (قالت زينب بنت علي بن أبي طالب: لما بلغ فاطمة إجماع أبى بكر
على منعها حقها من فدك، لاثت خمارها، وأقبلت في لمة من حفتها ونساء
قومها...)^(٩).

اما ابن ابي الحديد (ت٦٥٦هـ) فقد روى الخطبة في كتابه (شرح نهج البلاغة) حينما شرح كتاب أمير المؤمنين عائلاً إلى عثمان بن حنيف عند ذكر الأخبار الواردة في فدك. فقال ابن ابي الحديد: (الفصل الأول فيما ورد من الأخبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم، لا من كتب الشيعة ورجالهم ... وجميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب أبي بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري في السقيفة وفدي .. وأبو بكر الجوهري هذا عالمٌ محدثٌ كثير الادب، ثقةٌ ورع، أثني عليه المحدثون ورووا عنه مصنفاتٍ) (١٠).

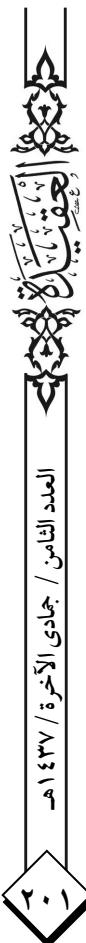
ثم قال: (قال ابو بكر: فحدثني محمد بن زكرييا قال: حدثني جعفر بن محمد بن عمارة الكندي... عن عبدالله بن الحسن بن الحسن قالوا جميعاً: لما بلغ فاطمة عليها السلام إجماع ابى بكر على منعها فدك، لاثت خمارها، واقبّلت في لمةٍ من حفدتتها ونساء قومها ..) (١١).

وقد رواها الاستاذ عمر رضا كحالة، في كتابه (أعلام النساء)، فقال: (ولما
اجمع ابو بكر على منع فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، من فدك وبلغ ذلك فاطمة،
لاثت خمارها على رأسها وأقبلت في لمة من حفتها ...) (١٢).

- أما في كتب الإمامية فقد ذكرها جملة من العلماء الأعلام منهم:-

الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ھ) فقد أورد بعض مقاطعها في كتابه (علل الشرائع) بسند ينتهي إلى زينب بنت علي عليهما السلام، وطرق أخرى عديدة^(١٣).

وروى الطبرى في كتابه (دلائل الإمامة) فقال: (حدثني أبو المفضل محمد بن عبد الله، قال: حدثنا أبو العباس احمد ابن محمد بن سعيد الهمданى، قال : حدثني احمد بن محمد بن عثمان بن سعيد الزيات، قال: حدثنا محمد بن الحسين العضباني، قال: حدثنا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنَ نَصْرٍ الْبَزْنِيُّ عَنِ السَّكُونِيِّ عَنْ أَبِي عَمَانَ الْأَحْمَرِ عَنْ أَبِي تَغْلِبِ الرَّبِيعِ عَنْ عَكْرَمَةَ عَنْ أَبْنَى عَبَاسٍ قَالَ: لَا يَلْعَفُ فَاطِمة



اجتمع أبي بكر على منع فدك ..) ^(١٤).

وروى الشيخ الطبرسي (ت ٦٢٠ هـ) في كتابه (الاحتجاج) بسند عن أبي عبد الله بن الحسن بأسناده عن آبائه عليهما السلام أنه لما أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة عليهما السلام فدكاً، وبلغها ذلك لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في ملة من حفدتتها ونساء قومها..) ^(١٥).

وقال العلامة بهاء الدين الأربلي في كتابه (كشف الغمة في معرفة الأئمة):
 (أن خطبة فاطمة عليهما السلام نقلتها من كتاب (السقيفة) عن عمر بن شبة تأليف أبي بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري من نسخة قديمة مقرودة على مؤلفها المذكور،
 قرأت عليه في ربيع الآخر سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة، روى عن رجاله من طرق عدّة: أن فاطمة عليهما السلام لما بلغها اجماع أبي بكر على منعها فدكاً لاثت خمارها وأقبلت في لميّة من حفدتتها ...) ^(١٦).

وذكر السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤ هـ) في كتابه (الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف) موضع الشكوى والاحتجاج من هذه الخطبة عن الشيخ اسعد بن شقروة في كتابه (الفائق).

... قال: (حدثنا شرفي بن قطامي عن صالح بن كيسان عن الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت: لما بلغ فاطمة عليهما السلام أن أبياً بكر قد أظهر منها فدك لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها وأقبلت في ملة من حفدتتها ونساء قومها...) ^(١٧).

وقال العلامة الإمام السيد شرف الدين في كتابه (النص والاجتهد):
 (السلف من بني علي وفاطمة يروي خطبتها في ذلك اليوم لمن بعده ومن بعده رواها لمن بعده حتى انتهت إلينا يداً عن يد، فنحن الفاطميون نرويها عن آبائنا، وآباءنا يروونها عن آبائهم، وهكذا كانت الحال في جميع الأجيال إلى زمان الأئمة عليهما السلام من أبناء علي وفاطمة عليهما السلام) ^(١٨).

ثم يذكر أن هذه الخطبة قد ذكرت في كتب عديدة وبطرق وأسانيد متعددة،
فقال: (ودونكموها في كتاب الاحتجاج للطبرسي، وفي بحار الانوار)، وقد
أخرجها من ثبات الجمهور وأعلامهم ابو بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري في
كتاب (السقيفة وفك) بطرق وأسانيد ينتهي بعضها إلى السيدة زينب بنت علي
وفاطمة عليها السلام، وبعضها إلى الامام ابي جعفر محمد الباقر عليهما السلام، وبعضها إلى عبد الله
بن الحسن بن الحسن يرفعونها جميعاً إلى الزهراء عليها السلام، وأخرجها ايضا ابو عبيد الله
محمد بن عمران المرزباني بالإسناد الى عروة بن الزبير ... ونقل ثمة عن زيد أنه
قال: رأيت مشايخ آل ابي طالب يرونها عن آبائهم ويعلمونها أولادهم)^(١٩).

وقال الشريف المرتضى في مقام الرد على القاضي عبد الجبار مؤلف (المغني):
 (روى أكثر الرواة الذين لا يتهمنون بتشييع ولا عصبية فيه من كلامها عليهما في تلك
 الحال، بعد انصرافها عن مقام المنازعة والمطالبة ما يدل على ما ذكرناه من سخطها
 وغضبها).^(٢٠)

ثم يذكر أسانيد عدّة تثبت صحة هذه الخطبة وصدورها من السيدة الزهراء عليها السلام، فيقول: (نحن نذكر من ذلك ما يستدل به على صحة قولنا، قال المرزباني: وحدثنا أبو بكر احمد بن محمد المكي قال: حدثنا أبو العينا محمد بن القاسم السيمامي، قال: حدثنا ابا بن عائشة قال: لما قبض رسول الله عليه السلام أقبلت فاطمة عليها السلام في ملة من حفدتتها إلى أبي بكر ...) (٢١).

وقال العلامة المجلسي (ت ١١١١هـ): (أعلم أن هذه الخطبة من الخطب المشهورة التي روتها الخاصة وال العامة بأسانيد متضادرة ... قال ابو بكر : حدثني احمد بن محمد بن زيد ، عن عبد الله بن محمد بن سليمان، عن ابيه، عن عبد الله بن الحسن. قالوا جميعاً: لما بلغ فاطمة ظاهرًا اجماع أبي بكر على منعها فدك لاثت خمارها وأقبلت في لمة من حفدتتها ونساء قومها ...)^(٢٢).

المبحث الأول

(التوحيد)

وفيه ثلاثة مطالب :

• المطلب الأول: وجوب النظر في معرفة الله تعالى:

انَّ الحقيقة التي يجب أن يؤمن بها كل مسلم هي وجوب وحدانية الله عز وجل، أي إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي الْمُلْكِ.

وإنَّ الخطوة الأساسية في الدين هي معرفة الله سبحانه وتعالى، وإلى هذا المعنى اشار سيد البلغاء والمتكلمين الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام بقوله: «أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الأخلاص له، وكمال الأخلاص له نفي الصفات عنه ...»^(٢٣).

قال التستري (ت ١٠١٩هـ): (إِنَّ النَّظرَ واجِبٌ بِالْعُقْلِ، الْحَقُّ أَنْ مَدْرُكٌ وَجُوبُ النَّظرِ عَقْلٌ لَا سَمْعٌ وَإِنْ كَانَ السَّمْعُ قَدْ دَلَّ عَلَيْهِ أَيْضًا بِقَوْلِ تَعَالَى (قَالَ انْظُرُوهُ) ^(٢٤) وَقَالَ الْإِشَاعِرَةُ: قَوْلًا يَلْزِمُ مِنْهُ انْقِطَاعَ حَجَجِ الْأَنْبِيَاءِ، وَظَهُورِ الْمَعَانِدِينَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ، فَقَالُوا: إِنَّهُ واجِبٌ بِالسَّمْعِ لَا بِالْعُقْلِ وَلَيْسَ يَجِبُ بِالْعُقْلِ شَيْءٌ إِلَّا بِتَهْبِيَّةٍ... ^(٢٥)).

قال الفضل بن روزبهان الخنجي الشيرازي: (اعلم أن النظر في معرفة الله تعالى واجب بالاجماع، والاختلاف في طريق ثبوته، فعند الاشاعرة طريق ثبوته السمع لقوله تعالى: (قل انظروا)^(٢٦).

وأما المعتزلة والامامية فهم أيضاً يقولون بوجوب النظر، لكن يجعلون مدركه العقل لا السمع^(٢٧) في حين قال الشهيد الثاني: (اعلم أن العلماء اطبقوا على وجوب معرفة الله تعالى بالنظر وأنها لا تحصل بالتقليد، إلا من شذ منهم

كعبد الله بن الحسن العنبري، والخشوية، والتعليمية، إذ ذهبوا إلى جواز التقليد في العقائد الأصولية كوجود الصانع وما يحب له ويمتنع والنبوة والعدل وغيرها، بل ذهب بعضهم إلى وجوبه لكن اختلف القائلون بوجوب المعرفة في أنه عقلي أو سمعي، فالإمامية والمعزلة على الأول والأشعرية على الثاني) (٢٨) :

وقد أشارت كثير من كتب علماء الشيعة الامامية المعدة للعقائد إلى حكم العقل بوجوب تحصيل المعرفة بالله عز وجل، وكذلك في طيات بعض الكتب الفقهية، وأغلب تلك المصادر تؤكد على أن هذا الوجوب يجب أن يكون مستندًا للدليل العقلي.

ويمكن أن يُتصور نوعان لمعارف الله: المعرفة الحضورية والمعرفة الحصولية.

والمعرفة الحضورية: تعني أن يتعرف الإنسان على الله عن طريق نوع من الشهود الباطني والقلبي من دون توسیط المفاهيم الذهنية.

ومن البديهي أن من يملك هذا الشهود الشعوري (النابه أو الوعي) بالنسبة للله تعالى لا يحتاج إلى الاستدلال والبرهان العقلي، ولكن مثل هذا العلم لا يحصل لأي كان، فهو يحتاج إلى بناء النفس واجتياز مراحل السير والسلوك العرفانية^(٢٩):

وطبيعي أن هذا العلم وكما نعتقد موجود عند الانبياء عليهن السلام وعندهم
المعصومين عليهن السلام إذ أنهم كانوا يتميزون بنوع من الشهود منذ طفولتهم.

والمعرفة الحصولية: تعني أن يتوصّل الإنسان من خلال بعض المفاهيم الكلية أمثل (الخالق الغني العالم بكل شيء وال قادر على كل شيء ...) إلى معرفة ذهنية بمعنى (غيلي) عن الله تعالى ليؤمن بوجود مثل هذا الموجود المتعالي في حدود هذه المعلومات ... ثم يضيف اليها معلومات حصولية أخرى، ومن خلال ذلك كله يتوصّل إلى نظام عقائدي متناسق (الرؤى الكونية) (٣٠).



ورغم وجود طرق متعددة ومختلفة لمعرفة الله تعالى، إلا أن أسهل الطرق وأوضحتها يتمثل في التأمل في آيات الله تعالى وشواهده، تلك الآيات التي تحتاج إلى تفكير والتي تؤدي إلى الدلالة على معرفة الله سبحانه وتعالى. وإن هذا الطريق يوجه الإنسان بصورة مباشرة نحو خالق الكون وموجده. من خلال ايقاظ المعرفة الفطرية لدى الإنسان. فكل ما موجود في هذا الكون هو عبارة عن آيات دالة على خالق عظيم ومقدر قادر لا يعزب عن علمه مثقال ذرة لا في الأرض ولا في السماء. كما أن الإنسان في الحياة الدنيا غارق في النعم، وهذا واضح لكل عاقل ولا يمكن لأحد أن ينكره، وعليه فإن العقل يحكم بوجوب شكر المنعم، وهذا الشكر لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال معرفة المنعم. ومن هنا وجب البحث عن المنعم الذي أفضى هذه النعم على الإنسان.

• المطلب الثاني: أدلة وجود الله تعالى:

هناك اختلاف بين الفرق الإسلامية فيما يتعلق بالادلة التي أوردوها لاثبات وجود الله تعالى، فمنهم من قال بأن العقل هو أصل المعرفة واعتمد القرآن الكريم بوصفه معجزاً وبرهاناً في إثبات الله تعالى، وقد وافق هؤلاء الأشعرية^(٣١). وبعض علماء أبناء العامة^(٣٢)، ومنهم من اعتمد على أدلة أخرى كدليل الجوهر الفرد أي الاعتقاد بوجود الجزء الذي لا يتجرأ، وهو ما عليه فريق واسع من المسلمين وهم غالبية المعتزلة وجمهور المتكلمين، ويرى أبو القاسم البلخي المعتزلي (ت ٤٣١٩ هـ) مثلاً أن امتداد الجسم ناشئ عن التأليف بين الجواهر الأفراد لأن للجواهر الأفراد حجوماً.

ومن أوائل المعتزلة الذين قالوا بالجوهر الفرد هو الهذيل العلاف (ت ٤٧٧ هـ) والجباري (ت ٣٠٣ هـ)^(٣٣)، في حين كان ابراهيم النظام (ت ٤٦١ هـ) من خصوم مذهب الجزء الذي لا ينقسم^(٣٤)، وهناك دليل آخر يعد من البراهين التي يستدل بها على

اثبات وجود خالق الكون، وهو ما يعرف بـ(برهان الحدوث) وهو مشهور عند المتكلمين^(٣٥). وأيضاً من البراهين والادلة الاخرى الدالة على وجود خالق لهذا الكون، هو برهان النظم، الذي يُعد من أوضح البراهين العقلية تناولاً للجميع، عن طريق مشاهدة النظام الدقيق السائد في هذا الكون والتفكير فيه.

وان برهان النظم يقوم على مقدمتين: احداهما حسية، والاخري عقلية.
أما الأولى: فهي هناك نظام سائد على الظواهر الطبيعية التي يعرفها الانسان
أما بالمشاهدة الحسية الظاهرة أو بفضل الأدوات والطرق العلمية التجريبية^(٣٦).

حيث إنّ العلوم الطبيعية لا زالت إلى اليوم تكتشف أموراً جديدة في نظام الطبيعة وكلما تطورت هذه العلوم توصلت إلى اكتشافات أخرى.

أما المقدمة الثانية: فهي أن العقل بعد ما لاحظ النظام وما يقوم عليه من التوازن والانسجام، يحكم بالبداهة بأن هذا الأمر لا يصدر إلا عن فاعل قادر عليه ذي إرادة وقصد، ويستحيل تحققه صدفة^(٣٧).

ونرى أن الوحي القرآني قد أعطى برهان النظم اهتماماً بالغاً، وهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تدعو الإنسان إلى التفكير في نظام الكون وما يحويه من الاتقان والإبداع.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...﴾ (٣٨).

وقال الإمام الصادق عليه السلام ل聆ميذه المفضل بن عمر: (أول العبر والأدلة على الباري جل قدسه، تهيئة هذا العالم وتأليف اجزاءه ونظمها على ما هي عليه، فإنك إذا تأملت بفكك ونيرته بعقلك وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج إليه العباد، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم مضيئة كالمصابيح... ففي هذا دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملاعنة...).

• المطلب الثالث: حقائق التوحيد وأسرار الشهادة بالوحدانية عند

الزهراء عليهما السلام :

قالت مولاتنا فاطمة الزهراء عليهما السلام في خطبتها الغراء :

«أَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَلْمَةُ جَعْلِ الْإِخْلَاصِ تَأْوِيلَهَا،
وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَهَا، وَأَنَّارَ فِي الْفَيْكَرِ مَعْقُولَهَا. الْمُمْتَنَعُ مِنَ الْإِبْصَارِ رُؤْيَتُهُ، وَمِنَ
الْأَلْسُنِ صِفَتُهُ، وَمِنَ الْأَوْهَامِ كَيْفِيَّتُهُ. إِبْنَدَعَ الْأَشْيَاءُ لَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ قَبْلَهَا، وَأَدْسَأَهَا بِلَا
احْتِذَاءٍ أَمْثِلَةً امْتَنَّهَا، كَوَافِرَهَا يُقْدِرُتُهُ، وَذَرَّاهَا يُمَشِّيَّتُهُ» (٤٠).

هذه الكلمات تضمنت معارف عجيبة، والمتأمل فيها يصل إلى اعمق الفكر

التوحيدي، على لسان الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليهما السلام.

لقد افتتحت الزهراء عليهما السلام قولها بـ(أشهد أن لا إله إلا الله ..) وكلمة الشهادة على السنة الناس هي عبارة عن العلم والادراك، ويدركون بوجданهم وبفطرتهم وبعقولهم أن لا إله إلا الله.

وأما على لسان الصديقة الزهراء عليهما السلام فهي تعني فوق الادراك، وهي فوق التصور، لأنّ هؤلاء هم خاصة خلق الله، ومن اصطفاهم الله، فلا بد من أن يكونوا في أعلى درجات الكمال. فإذاً الزهراء عليهما السلام تشير بهذه الشهادة إلى الذات المقدسة التي لا يمكن ان تكون لها شراكة على الاطلاق.

وقال العلامة المجلسي: (الشهادة بمعنى: الحضور والمعاينة وـ(وحدة) معرف في معنى النكرة، أي منفرداً عن غيره ومتوحداً، ولا شريك له، حال بعد حال، وكلاهما حال عن لفظ الجلالة، والحال الأول دال على ثبوت الصفات الكمالية له تعالى ... والحال الثاني دال على نفي جهات النقيصة وسلبها عنه ...) (٤١).

ثم قالت كلمة الشهادة التوحيدية «كلمة جعل الاخلاص تأويلها»، والمراد بالإخلاص هنا جعل الاعمال كلها خالصة لله تعالى وعدم شوب الرياء والاغراض الفاسدة، فهذا تأويل كلمة التوحيد، لأن من ايقن بأنه الخالق والمدبر وبأنه لا

شريك له في الالهية، فحق له أن لا شريك في العبادة غيره، ولا يتوجه في شيء من الامور إلى غيره) (٤٢).

ويتضح هنا أن الناس في قضية التوحيد على اتجاهات وفرق، فمنهم من ينظر إلى الله تعالى موصوفاً بالحركة، وأخرى موصوفاً بالنزول كما في مرويات أبناء العامة، فقد جاء في بعضها: أنَّ اللَّهَ يَنْزُلُ إِلَى السَّمَاوَاتِ الدُّنْيَا^(٤٣). وفي بعضها أنه يطأ برجله نار جهنم، فتقول: قط قط لقد امتلأت^(٤٤)، وهذا خلاف التوحيد الخالص الذي أشارت له الزهراء عليها السلام. فهي عليها السلام تريد أن تبين أن التوحيد الخالص متمثل في أهل البيت عليهم السلام وبمن تبعهم وسار على نهجهم وهم الإمامية.

وأما قوله تعالى «وضمّن القلوب موصولها، وانار في التفكير معقولها»، يقول العالمة المجلسي: (هذه الفقرة تحتمل وجوهاً: الأول: أن الله تعالى ألزم وأوجب على القلوب ما تستلزم هذه الكلمة من عدم تركبها تعالى وعدم زيادة صفاتها الكمالية الموجودة وأشباه ذلك مما يؤول إلى التوحيد.

الثاني: أن يكون المعنى: جعل ما يصل إليه العقل من تلك الكلمة مدرجاً في القلوب ما أراهم من الآيات في الآفاق وفي أنفسهم أو بما فطّرهم عليه من التوحيد^(٤٥)، ومعنى ذلك أن ما يدرك ويوصل إليه من التوحيد ولو ازمه أمر جعل ضمن القلوب، لأنها مفطورة على قبوله، ومتّهية لاعتئاقه.

ومعنى (وأنار في التفكير معقولها) أي قبول المعارف الحقة لا عن تقليد أو تلقين وإنما عن طريق التفكير بالأدلة والبراهين.

ويعتقد الباحث أن في هذه الفقرة اشارة من الزهراء عليهما السلام إلى التوحيد الفطري والنظري فقولها عليهما السلام : (وَضِمْنَ الْقُلُوبِ مَوْصُولُهَا) بمعنى أن ما من قلب إلا ويعرف ويتوصل إلى حقيقة أن لا إله إلا الله عن طريق الفطرة المودعة فيه التي فطر الله الناس عليها.

وقولها ﷺ : (وأنار في التفكير معقولها) بمعنى أن العقول لو توجهت إلى الله تعالى ورأت آثاره وعظمته في هذا الكون، وتفكرت في كل شيء، لتوصلت إلى حقيقة التوحيد وهذا ما يصطلح عليه بالتوحيد النظري.

ثم تقول ﷺ : (الممتنع من الأ بصار رؤيته، ومن الألسن صفتة، ومن الأوهام كيفيةه). يقول العلامة المجلسي: (المراد من الرؤية هنا هي الرؤية بالعين، والغرض من امتناع الرؤية عن الواقع في الأ بصار نفيها، فقد شبهت ﷺ الرؤية المفروضة بصيد يمتنع من الواقع في الحبالة، ويجري هذا في الجملتين التاليتين ايضاً، فإنَّ امتناع صفتة من الألسن وامتناع كيفيةه من الأوهام كناية عن أن لا صفة ولا كيفية له تعالى أصلاً) ^(٤٦).

ونلاحظ هنا أن السيدة الزهراء ﷺ قد تدرجت بكلامها بشكل دقيق، إذ ابتدأت بالبصر بمعنى أن البصر محدود الرؤية، ثم انتقلت إلى اللسان الذي هو أوسع من البصر إذ أنه يقدر على وصف ما يراه وما لا يراه، ثم انتقلت إلى الأوهام، بمعنى حتى بهذا المقدار من الوهم والخيال لا يمكن وصف الله تعالى، لأن الإنسان مهما امتلك من قابليات وقدرات فإنه يبقى محدوداً بقدراته، فكيف يستطيع أن يصف اللامحدود؟ ثم قالت ﷺ : (ابدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة أمثلتها، كونها بقدرته، وذرأها بمشيئته...).

هنا معنيان: أحدهما أن خلقه تعالى بديع أي جديد لا مثال له سبقه. والآخر أن خلقه إحداث وإنشاء لا مادة له قبله. وقد اشتمل كل من الجملتين على المعنيين جميعاً. فقولها ﷺ ابدع الأشياء، دل على المعنى الأول، وتقييده بقولها ﷺ : لا من شيء كان قبلها، دل على المعنى الثاني ^(٤٧) أي كونها بقدرته وذرأها بمشيئته.

المبحث الثاني

(العدل الإلهي)

وفيه ثلاثة مطالب :

- **المطلب الأول: مفهوم العدل لغة واصطلاحاً:**

العدل لغة: قال الراغب الأصفهاني (ت٥٥٠هـ): (العدالة والمعادلة لفظ يقتضي معنى المساواة ويستعمل باعتبار المضايقة والعدل والعدل يتقاربان) ^(٤٨).

وقال ابن منظور (ت٧٦١هـ): (العدل: ما قام في النقوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور، والعدالة والعدولة والمعدلة، كله: العدل، وتعديل الشهود: أن تقول إنهم عدول، وعدل الحكم أقامه، وعدل الرجل: زakah) ^(٤٩).

و(العدل) من أسماء الله تعالى، وهو مصدر أقيم مقام الاسم، والمقصود منه المبالغة في وصفه تعالى بأنه عادل، أي: كثير العدل ^(٥٠).

أما معنى العدل في الاصطلاح العقائدي:

فهو يعني تزية الله تعالى عن فعل القبيح والأخلاق بالواجب ^(٥١).

ومعنى الوجوب هنا لا يعني أنه تعالى محكوم بأوامر غيره، بل يعني أننا نكتشف عن طريق التدبر في صفاته تعالى أنه حكيم، وتقتضي حكمته أن يفعل كذا، لأن عدم فعله له يؤدي إلى الاخلال بحكمته ^(٥٢).

وقد وردت آيات قرآنية متضمنة لمعنى الوجوب على الله تعالى منها:

قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَة﴾ الانعام/٥٤.

أي أوجب الله تعالى على نفسه الرحمة ^(٥٣).

اشتهر الخلاف حول مسألة العدل الإلهي بين المسلمين من بداية القرن الثاني للهجرة، واستمر هذا الخلاف مع مرور الأيام، بحيث أصبحت هذه المسألة

علامة بارزة للتفریق بین من یعتقد بها و بین غيره.

فالأشاعرة تقول أن صفة العدل منتزعه من فعل الله تعالى من حيث هو فعل الله ومن رأيهم أن أي فعل بذاته ليس عدلاً ولا ظلماً^(٥٤).

فالأشاعرة فسروا (العدل الالهي) بصورة تؤدي إلى نفيه، فوقف أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام بقوة أمام هذا التفسير، ودافعوا عن العدل الالهي بحيث عرموا بذلك بالعدلية، وعد العدل الالهي أصلًا من أصول العقائد.

• المطلب الثاني: أدلة أثبات عدل الله عز وجل:

لا يخلو الداعي إلى فعل القبيح والظلم عن أربع صور هي:

الأولى: الجهل بالقبح: وهي أن يكون فاعل القبيح جاهلاً بقبح ما يفعله.

الثانية: العجز عن تركه: وهي أن يكون فاعل القبيح عالماً بقبح ما يفعله، ولكنه عاجز عن تركه.

الثالثة: الاحتياج اليه: وهي أن يكون فاعل القبيح عالماً بقبح ما يفعله، وغير عاجز عن تركه، ولكنه محتاج إلى فعله.

الرابعة: فعله عبثاً: وهي أن يكون فاعل القبيح عالماً بقبح ما يفعله، وغير عاجز عن تركه، وغير محتاج إلى فعله، ولكنه يفعله عبثاً.

والله سبحانه وتعالى منزه عن جميع هذه الصور (وهي الجهل والعجز والاحتياج والعبث)، لأنه تعالى هو العالم وال قادر والغنى والحكيم على الاطلاق، فلهذا يستحيل عليه فعل القبيح أو الظلم^(٥٥).

وذكر معظم علماء الشيعة أن الله تعالى لا يفعل الظلم والقبيح لعلمه بقبحه واستغنائه عنه^(٥٦).

ومن الأدلة الأخرى أن الله سبحانه وتعالى حكيم وهذه الحكمة تستوجب عدم فعله للظلم، لأن الظلم لا ينسجم مع الحكمة.

سلام آمن / سلام آمن
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْكَلْمَانُ عَنِ السَّيِّدَةِ الْأَمَّةِ

كذلك إن الله سبحانه وتعالى ذم الظالمين وندد بهم ونهى الناس عن الظلم،
فكيف يكون سبحانه وتعالى ظالماً للعباد؟

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٥٧).

• المطلب الثالث: العدل الإلهي في كلام الزهراء عليه السلام :

قالت فاطمة الزهراء عليه السلام : «ثُمَّ جَعَلَ التَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَوَضَعَ الْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، ذِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَحِيَاشَةً مِنْهُ إِلَى جَنَّتِهِ»^(٥٨).

لقد اشارت السيدة الزهراء عليه السلام بهذه الكلمات النورانية إلى أصل مهم من أصول الاعتقاد ألا وهو العدل الإلهي.. أي إن الله سبحانه وتعالى عادل في كل شيء ومن عدله أن جعل الشواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته.

ويقول العلامة المجلسي: (كان المراد من جعل الشواب والعقاب بيان ترتيبهما على الطاعة والمعصية بلسان أنبيائه وسفرائه)^(٥٩).

لقد بينت الصديقة الزهراء عليه السلام من خلال هذا المقطع من خطبتها إلى جملة من المسائل العقائدية، منها:

الأولى: مسألة التكليف:

وهو حسن لأنّه يشتمل على مصلحة، وهذه المصلحة هي التعريض لنفع عظيم لا يمكن الحصول عليه إلا عن طريق التكليف، وهذا النفع هو الشواب^(٦٠).

وقد اتفقت العدلية على وجوب التكليف من الله تعالى للعباد^(٦١).

وهذا لا يعني فرض الوجوب عليه تعالى من غيره بل يعني أن الحكمة الإلهية تقتضي ذلك. وقد ذكر الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ھ) في كتابه (الذخيرة) أدلة وجوب التكليف من الله تعالى للعباد حيث قال: (إن العباد يجهلون الكثير مما يعود

عليهم بالنفع والصلاح وما يعود عليهم بالضرر والخسران، ولهذا تقتضي رحمة الله تعالى ولطفه أن يبين للعباد ما فيه النفع والصلاح لهم، ويرشدهم إلى طرق الخير والسعادة، ويأمرهم باتباعها، ويبين لهم ما فيه الضرر والخسران، ويزجرهم عن طريق الشر والشقاء وينهاهم عن أتباعها^(٦٢).

ومن شروط حسن التكليف أن يكون المكلف قادراً على ما يُكلَّف به، لأن تكليف ما لا يطاق قبيح، والله تعالى منزه عن فعل القبيح، ولكن ذهب الاشاعرة إلى عكس هذا القول.

ومن أدلة قبح التكليف بما لا يطاق: أن العقل يحكم على نحو البداهة والضرورة فيصبح التكليف بما لا يطاق^(٦٣).

كما أن المكلف عاجز عن امتثال التكليف بما لا يطاق، وتکلیف العاجز ومؤاخذته عليه ينافي العدل والحكمة الإلهية^(٦٤).

وإن غاية التكليف أن يفعل المكلف ما كُلِّف به، وتنتفي هذه الغاية فيما لو كان التكليف فوق استطاعة المكلف، فيكون - في هذه الحالة - عبثاً، والعبث قبيح^(٦٥).

في حين ذهب الاشاعرة إلى جواز أن يكلف الله تعالى العباد بما لا يطيقون، وقالوا: بأن التكليف بما لا يطاق جائز، ولا يمتنع عليه تعالى أن يكلف العباد بما هو فوق وسعهم وطاقتهم وما لا يقدرون عليه^(٦٦).

الثانية: مسألة الجبر والاختيار في أفعال العباد:

حيث عدّ أصحاب الملل والتحل الطائفية الجهمية أول من قالت بالجبر ووصفوها بالجبرية الحالصة، وكان جهنم يقول: (لا فعل ولا عمل لأحدٍ غير الله، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين مجازاً)^(٦٧).

وقال الشهريستاني إنهم يقولون: (إن الإنسان لا يقدر على شيء ولا يوصف

بالاستطاعة وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا ارادة ولا اختيار، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات.. وإذا ثبت الخبر فالتكليف أيضاً كان جبراً^(٦٨).

ولا شك في أن هذا المذهب باطل، فلو كان ما ذهبوا إليه صحيحاً لبطل التكليف والوعد والوعيد والثواب والعقاب، ولأصبح ارسال الرسل وانزال الكتب شيئاً عبيشاً، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً.

وقالت الاشاعرة بنظرية الكسب أي: أنّ أفعال العباد مخلوقة لله تعالى حقيقة والعبد مكتتبها، أي: إنّ الباري تعالى هو خالق اعمال العباد خيرها وشرها، حسنها وقيحها، والعبد مكتسب لها، ويثبتون تأثيراً للقدرة الحادثة ويسمون ذلك كسباً^(٦٩).

أَمَّا الْمُعْتَزِلَةُ فَقَالُوا: إِنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ مَفْوَضَةٌ إِلَيْهِمْ وَهُمُ الْفَاعِلُونَ لِمَا
مُنْحِمُّ اللَّهُ مِنَ الْقَدْرَةِ، وَلَيْسَ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ شَأْنٌ فِي أَفْعَالِ الْعِبَادِ.

وقال القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥هـ): (ذكر شيخنا ابو علي: اتفق أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وعودهم، حادثة من جهتهم، وأن الله عز وجل أقدرهم على ذلك ولا فاعل لها ولا محدث سواهم) (٧٠).

وقد تضافرت الآيات الكريمة على بطلان هذه النظرية، وكذلك ما ورد في السنة من روایات ناقدة لنظرية التفویض، كما روى الصدوق في الأمالي عن هشام.

قال: قال ابو عبد الله عائلا : إنما لا نقول جبراً ولا تفويضاً)٧١(.

وعن أبي حمزة الشعالي أنه قال: قال أبو جعفر عائشة للحسن البصري: (إياك
أن تقول بالتفويض فإن الله عز وجل لم يفوض الأمر إلى خلقه وهناً منه وضعفًا،
ولا أجبرهم على معااصيه ظلماً).^(٧٢)

أما الإمامية فقد ذهبو إلى نظرية ثالثة يؤيدها العقل ويدعمها الكتاب والسنة، وهي نظرية الامر بين الامرين التي قال بها أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد اختارها الحكماء المسلمين والامامية من المتكلمين.

قال الشيخ المفيد: (إن الله تعالى أقدر الخلق على أفعالهم، ومكنتهم من أعمالهم، وحد لهم الحدود في ذلك... فلم يكن بتمكينهم من الاعمال مجبراً لهم عليها، ولم يفوض اليهم الاعمال لمنعهم من اكثارها، ووضع الحدود لهم فيها وأمرهم بحسنها ونهائهم عن قبيحها، فهذا هو الفصل بين الجبر والتقويض).^(٧٣)

وسئل الإمام جعفر الصادق عليه السلام: أ أجبر الله العباد على المعاصي؟

فقال عليه السلام: لا.

فقال السائل: ففوض اليهم الأمر؟

فقال عليه السلام: لا.

فقال السائل: فماذا؟

فقال الإمام الصادق عليه السلام: (لطف من ربكم بين ذلك).^(٧٤)

وقد اتضح مما سبق ان الزهراء عليها السلام أشارت إلى جملة من المسائل الاعتقادية التي حارت لها العقول باجzel عبارة وأروع بيان حينما قالت : (ثم جعل الشواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، زيادةً لعباده عن نقمته، وحياشةً منه إلى جنته) أي إن الله عز وجل يدفع ويمنع عباده عن النقم بلطفه ومنه، وكذلك يسوق العباد إلى الجنة .. وكل هذا بسبب الشواب والعقاب على الاعمال. فهي بذلك قد نسفت قواعد الاعتقاد الفاسدة للمجبرة والمفروضة .. وكذلك نسفت الاعتقادات الفاسدة التي تقول بأن الله يكلف العباد بما لا يطيق.

المبحث الثالث (النبوة)

وَفِيهِ ثَلَاثَةُ مَطَالِبٍ:

- ## • المطلب الأول: مفهوم النبوة وطرق إثباتها:

النبوة: هي الاخبار عن الله تعالى، والنبي هو الانسان المخبر عن الله تعالى،
بغیر واسطة بشر، أعم من أن يكون له شريعة كسيدنا محمد ﷺ، أو ليس له
شريعة كيحيى عليه السلام (٧٥).

وقيل: النبي هو الطريق، ويقال للرسل: أنبياء الله لكونهم طرق الهدایة إلیه، فالنبيه بمعنه، طریقة الهدایة كما يستفاد من ذلك (٧٦).

والاعتقاد بالنبوة والأنبياء اصل من أصول الدين، وبما أن صفحات التاريخ تشهد على وجود أناس ادعوا السفارة من الله تعالى عن كذب وافتراء، ولم يكن همهم الا حب الدنيا، والوصول إلى السلطة، فلا بد في تمييز النبي عن المدعى كذباً وزوراً من ضوابط ومعايير تكون هي الفصل في إثبات الحق. وقد حصر العلماء هذه الضوابط في أمور ثلاث:

الأول: التحدى بالإعجاز:

تجهيز الانبياء بالمعالجز عند طرحهم دعوى النبوة - والاعجاز يدل بالدلالة المنطقية على صدق دعواه، ذلك لأن المعجزة فيها خرق للنوميس الطبيعية فلا يمكن ان تقع من أحد الا بعينية من الله تعالى، واقتدار منه، فلو كان كل مدع للنبوة كاذباً في دعواه كان اقداره على المعجزة من قبله سبحانه اغراياً بالجهل، واشادة بالباطل، وذلك محال على الحكيم تعالى، فإذا ظهرت المعجزة على يده كانت دالة على صدقه وكاشفة عن نبوته (٧٧).

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾^(٧٨). يبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية المباركة أن النبي ﷺ أثبتنا نبوته وصدقناه بالمعجزة ولا يمكن له أن يتقول علينا والا أخذناه باليمن ولقطعنا منه الوتين.

الثاني: تنصيص النبي السابق على نبوة اللاحق:

اذا اثبتت نبوةنبي بدلائل مفيدة للعلم ثم نص هذا النبي على نبوةنبي لاحق يأتي بعده، كان ذلك حجة قطعية على نبوة النبي اللاحق ، لا تقل في دلالتها عن المعجزة^(٧٩).

وقد ورد في القرآن الكريم حكاية عن لساننبي عيسى عليه السلام قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التُّورَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾^(٨٠).

الثالث: جمع القرائن والشواهد:

إن جمع القرائن والشواهد ضابطة مطردة في المحاكم الوضعية يتتخذها القضاة في اصدار احكامهم، ويستند اليها المحامون في ابراء موكلיהם، فيجمع تلك القرائن والشواهد يمكن أن نستعمل صحة دعوى المدعى أو إنكار المنكر.

فعلى ضوء ذلك، للباحث أن يتحرى القرائن المكتنفة بدعوى النبوة حتى يقطع معها بصدق الدعوى أو كذبها وهذه القرائن تتلخص في الأمور الآتية:

أ- سيرة المدعى قبل النبوة بـ- سماة بيئته ج- مضمون الدعوة د- ثباته في طريق الدعوة هـ- الادوات التي يستخدمها في نشر دعوته وـ- المؤمنون الملتفون حوله ز- مكانة أتباعه في الورع والتقوى والعلم والوعي^(٨١).

ومن خلال هذه الشواهد والقرائن نستطيع أن ثبت أحد الأمرين:

أَمَا أَن يَكُون نَبِيًّا صَادِقًا مَرْسُلًا مِنْ قَبْلِ اللَّهِ تَعَالَى. وَأَمَا أَن يَكُون مَدْعِيًّا كاذبًا لَا أَسَاسٌ لَهُ مِنَ الصَّحَةِ.

وبما أن النبوة هي من أخطر المناصب وأكبرها مسؤولية في قيادة المجتمع البشري وهدایته إلى السعادة فانها تتطلب في المتصدی لها مؤهلات وامتیازات خاصة ينفرد بها عن سائر الناس، وهذه في الانبياء تتلخص في الامور الآتية:
أولاً: العصمة: وله ثلاثة مراتب:

الأولى: المصنوية عن الذنب ومخالفة الأوامر المولوية قبل البعثة وبعدها وهذا مذهب الإمامية، أمّا أبناء العامة فقد خالف بعضهم في ذلك بما يتعلّق بعصمة النبي قبل البعثة.

الثانية: المصنونية في تلقى الوحي ووعيه وابлагه إلى الناس.

الثالثة: المصنوية من الخطأ والاشتباه في تطبيق الشريعة والامور الفردية والاجتماعية^(٨٢).

ثانياً: التنزيه عن كل ما يوجب نفرة الناس عنه، وتحليه بكل ما يوجب انجدابهم اليه^(٨٣).

ثالثاً: التحلي بـكفاءة خاصة في القيادة والإدارة مقترنة بحسن التدبير^(٨٤).

وهذا الكلام ينطبق على جميع الانبياء وهو ما يعبر عنه بالتبوة العامة، من دون تخصيص نبي، وهناك نبوة خاصة، وهي نبوة نبي الاسلام وخاتم الانبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ الذي جاء لهدایة الناس واخراجهم من الظلمات إلى النور. مستدلاً على صدق نبوته بمعجزته الخالدة القرآن الكريم الذي تحدى به الامم، وكذلك ما جرى على يديه من معاجز أخرى. وكذلك بالقرائن وال Shawahid التي دلت على صدق دعوته وقد اتسمت دعوته بالعالمية والخاتمية.



• المطلب الثاني: أدلة لزوم بعثة الأنبياء:

أولاً: دليل العقل:

وهو يقضي ويحكم ببعثة الأنبياء ولزوم النبوة من وجوه عديدة.

أ- إن الاجتماع فطنة النزاع، وإنما تزول مفسدته بشرعية مستفادة من الإله الحكيم المدبر للعالم دون غيره، وتلك الشريعة لا بد لها من رسول متميز من بني نوعه، فالحكمة تدعوه إلى نصبه ليحول دون الفساد ^(٨٥).

ب - إن قاعدة اللطف تقضي بارسال النبي ليقرب العباد إلى الطاعة ويبعدهم عن المعصية، لأن الغرض والحكمة في ايجاد الخلق هي المعرفة والعبادة، وذلك يتوقف على تعين واسطة بين الحق والخلق يعلمهم ذلك، لاستحالة الاستفاضة والاستفاضة بلا واسطة، إذ لا ربط ولا نسبة بين النور والظلمة حتى لا يحتاج إلى واسطة ^(٨٦).

ج- إن عدالة الله تعالى تأبى أن يخلق الخلق بهذه الكثرة العظيمة والطبقات المختلفة، ثم يتركهم سدى يتاهون في ظلمات الجهل، ودركات الضلال من دون معلم ولا مرشد، فالعدالة تقتضي نصب نبي للهداية ^(٨٧).

فإذن العقل يقضي ببعثة الرسل والأنبياء، ولزوم متابعة العباد للأنبياء من أجل الهدایة، لأن الأنبياء هم الأسوة والقدوة، وهم طرق السعادة في الحياة الدنيا والآخرة، وهم أيضاً سبل النجاة.

ثانياً: دليل النقل من الكتاب والسنة:

إن في القرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلى هذا الدليل، منها قوله تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْبِنَاتٍ وَأَنَّزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيرَاثَ لِيَقُولَمُ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ ^(٨٨).

فجعل القيام بالقسط الذي هو عبارة أخرى عن ضبط المجتمعات بالنظام والقوانين ليحصل التأزر والتالف المطلوبين لتأمين الأرضية الصالحة لسلوك الإنسان إلى معين السعادة، جعله علةً وغايةً لرسال الرسل^(٨٩).

وأما ما روي عن أئمة أهل البيت علیهم السلام فهناك إشارات كثيرة على هذا الدليل، منها: قال الإمام الكاظم علیه السلام : (يا هشام: ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعلموا عن الله فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة، واعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً، وأكملهم عقلاً أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة) (٩٠).

ويبيّن الإمام علي عليه السلام هنا أن سعادة الإنسان تكمن في أمرتين: الأولى معرفة الله تعالى وتحكّم العقل لمعرفة المصالح والمفاسد في هذه الحياة. وهذا الامران لا يمكن للإنسان الوصول اليهما إلا عن طريق الوحي وتعاليم الأنبياء.

وفي رواية أخرى عن الإمام الرضا عليه السلام قال: (لم يكن بد من رسول بينه وبينهم معصوم يؤدي إليهم أمره ونهيه وأدبه ويوقفهم على ما يكون به احراز منافعهم ودفع مضارهم إذ لم يكن في خلقهم ما يعرفون به ما يحتاجون إليه) (٩١).

فَالإِمَامُ عَائِدٌ يَقْرِئُ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ رَسُولٌ مَعْصُومٌ بَيْنَ الْخَالِقِ
وَالْمُخْلُوقِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَوْصِلَ إِلَيْهِمْ أَوْاْمِرَهُ وَنَهْيَهُ وَأَحْكَامَهُ، وَيَأْخُذُ بِأَيْدِيهِمْ مَا فِيهِ
مَنْفَعَتِهِمْ وَيَقْفِهِمْ عَلَى مَا فِيهِ مَضَارُهُمْ.

• المطلب الثالث: النبوة في فكر السيدة الزهراء عليهما السلام:

قالت عليهما السلام: «أَوَّلَهُدْ أَنْ أَبِي مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتَارَهُ وَأَنْتَجَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَاهَ قَبْلَ أَنْ اجْتَبَلَهُ، وَاصْطَفَاهُ قَبْلَ أَنْ ابْتَعَثَهُ، إِذَا الْخَلَائِقُ بِالْغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَسِرِّ الْأَهَادِيلِ مَصْوَنَةٌ، وَبِنِهايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ، عِلْمًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِسَائِلِ الْأُمُورِ، وَإِحْاطَةً بِحَوَادِثِ الدُّهُورِ، وَمَعْرِفَةً بِمَوْاقِعِ الْمَقْدُورِ. ابْتَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِنْماً لِأَمْرِهِ، وَعَزِيمَةً عَلَى إِمْضَاءِ حُكْمِهِ، وَإِنْفَادًا لِمَقَادِيرِ حَتَّمِهِ» (٩٢).

بعد أن أشارت الصديقة الزهراء عليها السلام إلى الأصلين الأولين من أصول الدين، وهم التوحيد والعدل، انتقلت بعدهما إلى الأصل الثالث وهو أصل النبوة. فقالت عليها السلام : (أشهد أن أبي محمدًا عبده ورسوله) في هذه الشهادة ذكرت عليها السلام الآية اشارة منها إلى هؤلاء المتخاذلين الذين باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم، انكم ما كنتم ولا صرتم الا بأبي محمد عليه السلام. وفي هذه الكلمة عمق كبير، وذات دلالات، أي: إن كل ما موجود في هذا الكون من خير هو ببركة أبي محمد عليه السلام.

ثم شهدت له بالعبودية (عبده ورسوله) ولكن أي عبودية كانت وكيف كان يعبد الله تعالى؟ تلك العبودية لا يعرفها إلا الله وأهل البيت عليهم السلام ، وشهدت له أيضاً بالرسالة أي إنه مرسل من قبل الله تعالى؛ ولكن قبل الرسالة كان له مقام رفيع حيث اختاره الله عز وجل قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتباه، فالاختيار وقع قبل أن يكون رسولاً، وسماه قبل أن اجتباه بمعنى جعل له الحقيقة الوجودية التي تلقاها آدم عليه السلام ﴿وَعَلِمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ لِكُلِّهَا﴾^(٩٣).

ولكن متى حصل هذا الاجتباء والاختيار (إذا الخلائق بالغيب مكتونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة).

يقول العلامة المجلسي: (الأظهر أن يكون المراد من الجمل الثلاث: الاشارة إلى عالم الأظللة والاشباح، فهو المسمى بالغيب، وبستر الأهاويل لكون الخلائق هناك مصونة عن أهاويل هذه النشأة الدنيوية، وكونها مقرونة بنهاية العدم لأنها أول خلقهم، ومحصل الكلام: أن الله تعالى اختار محمدًا عليه السلام واجتباه واصطفاه إذ كانت الخلائق أشباحاً وأظللة)^(٩٤).

وأورد ابن الجوزي عن ميسرة قال: قلت يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال: لما خلق الله تعالى الأرض، واستوى إلى السماء، فسواهن سبع سموات، وخلق العرش كتب على ساق العرش، محمد رسول الله خاتم الأنبياء، وخلق الله تعالى الجنة التي أسكنها آدم وحواء، فكتب اسمي على الأبواب والأوراق والقباب والخيام، وآدم بين

الروح والجسد، فلما أحياه الله تعالى نظر إلى العرش فرأى اسمي، فأخبره الله تعالى انه سيد ولدك، فلما غرهم الشيطان تابا واستشفعوا باسمي إليه^(٩٥). ولقد اصطفى الله تعالى نبيه محمد ﷺ لأنه أول من أجاب قوله تعالى: ألسنت بربكم.

روى العياشي عن زرار قال: سألت أبا عبد الله عائلاً عن قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَّا سُتُّ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾^(٩٦).

قال: كان محمد ﷺ أول من قال بلى^(٩٧).

ثم تقول عائلاً «علمًا من الله تعالى بما يلأن الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بموضع المقدور». وهذا اشاره منها عائلاً فيها تعلييل لاختيار الله تعالى محمد ﷺ وانتجابه وتسميته واصطفائه له. فالله سبحانه وتعالى عالم بعواقب الأمور، فعلم ان هذه المسؤولية الكبرى لا يليق بها الا شخص محمد ﷺ دون غيره لأن الله تعالى يعلم حيث يجعل رسالته.

ومن خلال هذا المقطع المبارك ركزت السيدة الزهراء عائلاً على بحث مهم وهو ان اصطفاء الله تعالى لأنبيائه ورسله إنما يكون على أساس درجات طاعاتهم وعبادتهم له تعالى وسعيهم في مرضاته بحسب اختيارهم ويتخصصهم الله تعالى بـ«اللطافه وكراماته»، ويعصيهم من حبائل الشيطان ووساوسيه في موقع الزلل^(٩٨).

بعد ذلك تبين الزهراء عائلاً أدوار النبي ﷺ وأنوار وجوده أي: إن الله تعالى أرسله حينما رأى الامم متفرقة في أديانها، وهي عاكفة على عبادة الأوثان والاصنام، منكرة لوجود الله تعالى رغم معرفتها بأن لهذا الكون خالق ومدبر، ومع هذا التشتت والاختلاف خرج النور الحمدي ﷺ وانقذ هذه الأمم حيث جعلها أمة واحدة، وفتح قلوبهم على انوار الملوك، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم.

لقد اوضحت السيدة الزهراء عليها السلام هذا الاصل بأروع بيان، وبيّنت أنه من لطف الله عز وجل أن يختار رسلاً ويرسلهم لهدایة البشر رأفة بعباده ورحمة لهم، وقد كان النبي محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه خاتم الأنبياء والمرسلين وهو النور المبين الذي جاء رحمة للعالمين.

المبحث الرابع (الإمامية)

و فيه ثلاثة مطالب :

• المطلب الأول: معنى الإمامة لغة واصطلاحاً:

قال الراغب في المفردات (ت ٥٠٢ هـ): (الإمام المقتدى بأقواله وأفعاله)^(٩٩).

قال الشيخ الطريحي (ت ١٠٨٥ هـ) في المجمع : (قوله: إني جاعلك للناس إماما)^(١٠٠) أي: يأتكم بك الناس، فيتبعونك ويأخذون عنك، لأن الناس يؤمّون أفعاله أي يقصدونها فيتبعونها)^(١٠١).

أما معنى الإمامة اصطلاحاً:

الإمامية: هي خلافة الرسول ووصاية النبي بعد سيدنا محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه. وقد عرفها الشيخ المفید (ت ٤١٣ هـ) بقوله: (الإمامية هي التقدم فيما يقتضي طاعة صاحبه، والاقتداء به)^(١٠٢).

وقال العالمة الحلي: (الإمامية رئاسة عامة لشخص من الأشخاص في أمور الدين والدنيا)^(١٠٣).

في حين قال السيد البهانـي (ت ١٣٩٥ھ) : (الإمامـة عبارة عن الخلافـة عن الرسـول ﷺ في أمـور الدين والـدنيـا، وافتراض طـاعـته على الأـمـة فيما أمرـ به أو نـهى عنه) (١٠٤) :

وعلیه فَإِنَّ الْإِمَامَةَ هِيَ مَنْصَبٌ أَلِهٌ، وَهِيَ رِئَاسَةُ عَامَّةٍ كَمَا صَرَحَ بِهَا
الْعُلَمَاءُ، فِي أُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، يُوكِلُهَا اللَّهُ تَعَالَى إِلَى شَخْصٍ يَخْتَارُهُ مِنْ بَيْنِ الْعَبَادِ،
يَقُولُ مَقَامُ النَّبِيِّ ﷺ بِإِرشادِ الْأُمَّةِ إِلَى طَرِيقِ السُّعَادَةِ وَالنُّجَاهَةِ.

قال الشيخ الطبرسي (ت٥٤٨هـ) : (إن المستفاد من لفظ الإمام أمران:

أحدهما: إنّ المقتدى في أفعاله وأقواله، والثاني: انه الذي يقوم بتدبير الأمة وسياستها والقيام بأمورها وتأديب جُناتها وتولية ولاتها، وإقامة الحدود على مستحقها، ومحاربة من يكيد لها ويعاديها^(١٠٥).

ولا شك في أنّ من أشرف المعارف في أصول الدين، هي معرف الإمامة للأئمة المعصومين عليهم السلام المنصبين من قبل الله تعالى، الذين جعلهم خلفاء وأوصياء للرسول عليه السلام، فهم حجج الله على خلقه وأدلة إلهيه، وهم سبل النجاة التي من سلوكها نجا ومن تخلف عنها ضاع بالضلالة وتردى.

• المطلب الثاني: طرق اثبات الإمامة:

اختلف المسلمون في طرق اثبات الإمامة، فالمعتزلة يرون أن الإمامة تثبت بالاختيار^(١٠٦). أما أبناء العامة فقالوا: إن الإمامة تثبت بالنص، وكذلك تثبت ببيعة أهل الحل والعقد.

قال الايجي: (المقصد الثالث فيما ثبت به الامامة، وإنها ثبت بالصل من الرسول ﷺ ومن الامام السابق بالإجماع وثبتت ببيعة أهل الحل والعقد خلافا للشيعة، لنا ثبوت إماماة أبي بكر بالبيعة).^(١٠٧)

في حين أنّ الامامية ترى أن الامامة تختلف في حقيقتها عما لدى أبناء العامة، فهم يرون أنها منصب إلهي، وهي امتداد لوظائف النبوة، وعليه فلا بدّ من أن تنحصر طرق اثباتها بالنص من قبل الله سبحانه وتعالى، وتنصيب من قبل النبي ﷺ، ومن أدلة لهم على ذلك:

أولاً: ان النبي ﷺ لم تكون مسؤولياته وأعماله مقتصرة على تلقي الوحي الإلهي وتبيّنّه إلى الناس، بل كان يفسر الكتاب الحكيم ويشرح مقاصده، ويكشف أسراره، وكان أيضاً يحكم بين الناس، وكذلك بيان أحكام الموضوعات التي تحدث في زمن الدعوة، ويدفع الشبهات والتساؤلات التي كان يثيرها أعداء الإسلام وغيرها^(١٠٨).

إذا كانت هذه الأمور قد مارسها النبي ﷺ في حياته وهي كلها تنصب في خدمة الشريعة، فكيف يكون الحال بعد رحيله ﷺ؟ هل ترك الشريعة تتعرض لهذه الهجمات وغيرها؟ أم أن الأمة وصلت إلى مرحلة من الرقي والإزدهار العلمي القادر على الدفاع عن الشريعة المقدسة؟ والتاريخ يشهد بأن هذا الاحتمال لا وجود له أساساً، وأما أن يوكل النبي ﷺ هذه المهمة إلى شخص قادر على تحمل المسؤولية وله كفاءة علمية وخبرة بالمعارف وغيرها وهذا ما ثبت بالعقل بعد بطلان الاحتمالين السابقين^(١٠٩).

مضافاً إلى ذلك أن ابرز ما كان يتميز به المجتمع العربي آنذاك هو حياة النظام القبلي والتقطيعات العشائرية، التي كانت تحتل مكانة كبرى في ذلك المجتمع، والتاريخ يشهد لنا على حجم المنازعات والخلافات التي كانت تقع بين القبائل، ولعل أشهرها قضية بناء الكعبة المشرفة... وكذلك ما حدث في يوم السقيفة من روح قبلية مقيتة ونزعـة تعصـبية فـهل من العـقل أن يـترك هـكذا مجـتمع غـارق بـنزاعـاته العـصـبية من دون أن يـنصـب عليه قـائـد، يـكون قادرـاً على قـطـع دـابر الاختلاف، ومانعاً لـلـأسـاة التـمزـق والتـفرق،؟^(١١٠) إذن المصلحة تقتضي أن يـنصـب

قائد حكيم، وهذا التنصيب لا بد من أن يكون من قبل الله تعالى لأنه أعرف بمصلحة العباد، لا تفويض الأمر إلى المسلمين، وهو متفرقون وممزقون و مختلفون.

كما أن نصب الامام هو لطف من الله تعالى على العباد، وقد اوضحه العالمة الحلي بقوله: (اللطف الإمامية يتم بأمور: منها ما يجب على الله تعالى وهو خلق الإمام وتمكينه بالتصريف والعلم والنص عليه باسمه ونسبة، وهذا قد فعله الله تعالى، ومنها ما يجب على الإمام وهو تحمله للإمامية وقبوله لها وهذا قد فعله الإمام، ومنها ما يجب على الرعية وهو مساعدته والنصرة له وقبول أوامرها وامتثال قوله وهذا لم يفعله الرعية، فكان منع اللطف الكامل منهم لا من الله تعالى ولا من الإمام).^(١١١)

وقد دلت آيات كثيرة وروايات شريفة على إمامية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام وأنه منصب من قبل الله تعالى خليفة لرسوله الراكم عليهما السلام، ومن بعده الأئمة الاطهار عليهم السلام واحداً بعد واحد إلى الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

• **المطلب الثالث: الزهراء عائشة ودفاعها عن الإمامة:**

قالت عليهما السلام: «الله فيكم، عهد قدّمه إليّكم، وبقيّة استحلفها عليّكم». كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والتور الساطع، والضياء اللامع...» (١١٢).

قال العلامة المجلسي: (العهد: الوصية. وبقية الرجل: ما يخلفه في أهله، والمراد بهما القرآن، أو بالأول ما أوصاهم به في أهل بيته وعترته، وبالثاني القرآن. وفي رواية أحمد بن أبي طاهر: وبقيه استخلفنا عليكم، ومعنا كتاب الله فالمراد بالبقية أهل البيت عليهم السلام، وبالعهد ما أوصاهم به فيهم (١١٣).

فالسيدة الزهراء عليها السلام في هذا المقطع أشارت إلى أصل مهم من أصول الدين،
ألا وهو الإمامة. فخاطبت القوم بعباد الله، تريد أن تقول لهم يا من تعبدون الله

تعالى، الله عز وجل قدّم إيمكم عهداً، بمعنى بيته وأنزله على نبيه الأكرم ﷺ في يوم غدير خم حينما رفع الرسول ﷺ يد علیٰ حتى بان بياض ابطيهما، وهو يقول: (ألا من كنت مولاه فهذا عيٰ مولاه، اللهم والي من والا، وعاد من عاده، وانصر من نصره، واخذل من خذله) ^(١١٤).

ثم قالت ﷺ: (وبقيه استخلفها عليكم) هذه البقية هي كتاب الله الناطق وتعني أن الناطق هم آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين). والقرآن الصادق الذي هو كلام الله عز وجل الذي نطق صدقًا بولاية علي عليه السلام حينما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الَّذِينَ يُقْبِلُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ^(١١٥).

فهذه الآية المباركة حضرت الولاية بهؤلاء فقط وهم الراكون، بمعنى أن علياً الراکع هو الولي، وهو المعنى بهذه الآية الكريمة دون غيره من أفراد الأمة.

فالزهراء عليها السلام من خلال هذه الكلمات النورانية بينت فضل هذا الأصل المهم الذي كمل به الدين وتمت به نعمة الله عز وجل على العباد، وأصبح الإسلام مرضياً عند الله سبحانه وتعالى . وكل ذلك حصل بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام. قال تعالى: ﴿الَّيْوَمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ^(١١٦). فأصبحت ولاية علي عليه السلام نظام للدين وأمان للعباد. كما نصت الزهراء عليها السلام بقولها: (وطاعتني نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً من الفرق) وتدل هاتان الجملتان على انتظام أمر الدين وصلاح أمور المسلمين واجتماعهم على الصلاح لا يمكن ولا يتحقق الا بطاعتهم والتسليم لمامتهم عليها السلام، وقد صدق تاريخ المسلمين هذا المعنى أحسن تصدق فاختل أمر المسلمين وقع فيهم الاختلاف والفرق يوم سارعوا إلى سقيفة بني ساعدة، وبادروا إلى نقض الخلافة، وغيروا أمر الإمامة، وبدّلوا نعمة الله كفرا ^(١١٧).

فالزهراء عليها السلام بينت أن الإمامة هي من الأصول الاعتقادية للدين وليس

للمذهب فقط. لأن العقل والنقل يؤيدان ذلك، أما العقل فإنه يقر بلزموم من يمثل الحق بوصفه سفيراً مبلغاً في أرضه يكمل مسيرة النبي ﷺ لشلا ترك الأمة سدى، ولشلا تضيع البشرية في الضلال.

وأمام النقل فقد تضافرت الآيات والروايات التي دلت على إمامية الأئمة عليهما السلام،
وهنالك روايات نصت عليهم بأسمائهم عليهما السلام.

الصديقة الطاهرة عَلَيْهَا السَّلَام ركزت على هذا المحور وجعلته أساساً لنظام الكون، والمراد بالملة اي الطريقة والشريعة، أي: نظام الوجود، قال الامام الصادق عَلَيْهِ السَّلَام: (ان الله عز وجا خلقنا فأحسن خلقنا .. ولو لانا لما عبد الله). (١١٨).

المبحث الخامس (المعاد)

و فيه ثلاثة مطالب :

• المطلب الأول: المعاد لغة واصطلاحاً

المعاد في اللغة: كل شيء إليه المصير والمال، وهو مصدر عاد إليه يعود عوداً وعودهً ومعاداً، أي رجع وصار إليه، ويتعذر بنفسه وبالهمزة، فيقال: عاد الشيء عوداً وعياداً: انتابه وبذأ ثانياً، وأعدت الشيء: ردته ثانياً أو أرجعته، وأعاد الكلام: كرره، وأصل المعاد (معود) على وزن (مفعل) قلبت واوه ألفاً، ومثله: مقام ومراح، ومفعل ومقلوبها تستعمل مصدراً صحيحاً بمعنى العود، واسماً لمكان العود أو زمانه، والمبدء المعيد: من صفات الله تعالى، لأن الله سبحانه بدأ الخلق إحياءً ثم يحييهم، ثم يعيدهم إلى الحياة يوم القيمة^(١١٩).

أما معنى المعاد اصطلاحاً فهو الوجود الثاني للالجسام بعد موتها وتفرقها^(١٢٠).

وعرّف أيضاً بأنه الرجوع إلى الوجود بعد الفناء، أو رجوع أجزاء البدن إلى الاجتماع بعد التفرق، وإلى الحياة بعد الموت، ورجوع الأرواح إلى الأبدان بعد المفارقة^(١٢١).

والاعتقاد بالمعاد عنصر اساسي في كل شريعة لها صلة بالسماء، وبدونه تصبح الشرائع مسالك بشرية مادية، لا تمت إلى الله سبحانه وبصمة، فقوام الشريعة بالمبأ والمعاد، فكل الشرائع تدعوا إلى الحياة الأخرىوية وحشر الإنسان بعد الموت، وإقامة الحساب والجزاء والثواب والعقاب.

ومن الحقائق التاريخية التي تثبت هذا الشيء نذكر ما يأتي:

أولاًً: ان البدو القاطنين في الصحاري والبراري، الذين يُعدون نموذجاً للمجتمع البدائي المنقرض، لهم طقوس خاصة في دفن الموتى تدل على اعتقادهم بعودة الأرواح إلى الأجسام المدفونة ومن ذلك أنهم يضعون حجارة كبيرة على صدور موتاهم، ويربطون أعضاءهم بحبال متينة، لئلا يتحركوا بعد عود الروح ويخرجوا من أماكنهم^(١٢٢).

ثانياً: ان المصريين، ذوي الحضارة القديمة، كانوا يعتقدون أن الروح بعد خروجها من البدن، لها علاقة به، وسوف ترجع اليه، ولذلك كانوا يتربكون في القبور منافذ ليسهل دخول الروح إليها، ويضعون بعض الطعام والشراب في جنب الميت. ولأجل حماية الموتى من الآفات، قام المتمكرون منهم ببناء الاهرام العظيمة فوق قبورهم^(١٢٣).

ثالثاً: عند المجروس أيضاً أن الاعتقاد ببقاء الروح بعد الموت ومحاسبة الإنسان على أعماله تُعد لديهم من الأصول في ديانتهم^(١٢٤).



وقد ذكر القرآن الكريم وجود أصل المعاد لدى الشرائع السماوية من زمان آدم عليه السلام إلى المسيح عليه السلام، قال تعالى : «يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتٍ يَقُولُنَّ اتَّقُوا وَاصْلَحُ فَلَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَجْزِئُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِنَّكَ أَصْحَابُ التَّارِهِمْ فِيهَا خَالِدُونَ» (١٢٥).

وهاتان الآيتان تبرهنان على أن المعاد هو الهدف الأصيل لخلق الإنسان في الأرض. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًاٌ * ثُمَّ يُعِدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ أَنْهَارًا﴾ (١٢٦) . غيرها من الآيات التي حذرت على أن الآئمة والآباء أخذوا

حقيقة المعاذ.

المطلب الثاني: أدلة المعاد

هناك أدلة قطعية متضادرة، وعلمية متواترة في اثبات هذا الاصل، والاعتقاد به، الذي يعد الأصل الخامس من أصول الدين الحنيف، إذ دل عليه صريح الكتاب الكريم والسنة المطهرة والاجماع والعقل.

وقد اعترفت به جميع الاديان والمذاهب في جميع العصور، إلا الدهريون والطبيعيون الذين شذوا عن الحق المبين، وادعوا: إنْ هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن ببعوثين^(١٢٧). وادلة المعاد ثابتة بكلتا الطريقتين: الأدلة الشرعية والبراهين العقلية. أما ما يتعلّق بالأدلة الشرعية فمنها:

أولاً: دليل الكتاب الكريم:

هناك آيات قرآنية كثيرة أثبتت هذه الحقيقة وأكدت عليها، وعدتها وعداً حقاً لا يمكن أن يُخْلِفَ، قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ نَمُوتُ يَا، وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٢٨).

وقال تعالى : ﴿رَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبَعِّثُوا قُلْ بَلَ وَرَبِّي لَتُبَعَّثُ ثُمَّ لَتُبَيَّنُونَ﴾
بِمَا عَمِلْتُمْ ﴿١٢٩﴾ .

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمْبُعُوثُونَ حَلْفًا جَدِيدًا * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ حَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةً﴾ (١٣٠).

وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةً وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (١٣١).

وعليه يثبت ان المعاد يوم القيمة حقيقة ثابتة لا ريب فيها.

ثانياً: دليل السنة المطهرة:

لقد وردت أحاديث شريفة كثيرة تناولت يوم الدين والمعاد بصورة تفيد العلم واليقين بوقوعه. قال رسول الله ﷺ: (يا بني عبد المطلب، إن الرائد لا يكذب أهله والذي بعثني بالحق لتموتن كما تナمون، ولتبغضن كما تستيقظون، وما بعد الموت دار إلا جنة أو نار، وخلق جميع الخلق وبعثهم على الله عز وجل كخلق نفس واحدة وبعثها..) (١٣٢).

وقال ﷺ: (لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربعة: حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني رسول الله بعثني بالحق، وحتى يؤمن بالبعث بعد الموت، وحتى يؤمن بالقبر) (١٣٣).

وقال الإمام علي عليه السلام: (... حتى إذا بلغ الكتاب أجله، والأمر مقاديره، وألحق آخر الخلق بأوله، وجاء من أمر الله ما يريد من تجديد خلقه، ماد السماء وفطراها، وأرج الأرض وأرجفها، وقلع جبالها ونسفها، ودك بعضها بعضاً من هيبة جلاله..) (١٣٤).

وقال عليه السلام في موضع آخر يصف فيه يوم القيمة: (ذلك يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين لمناقش الحساب وجزاء الاعمال، خصوصاً، قياماً، قد الجهم العرق، ورجفت بهم الأرض، فأحسنهم حالاً من وجد لقدميه موضعاً، ولنفسه متسعأً) (١٣٥).

وقال الإمام علي بن الحسين عليهما السلام: (العجب كل العجب لمن شك في الله وهو يرى الخلق والعجب كل العجب لمن أنكر الموت وهو يرى من يموت كل يوم وليلة، والعجب كل العجب لمن أنكر النشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى، والعجب كل العجب لعمر دار الفناء، ويتراك دار البقاء). (١٣٦).

ثالثاً: الاجماع:

ان الاعتقاد باليوم الآخر لما اجمع عليه المسلمين كافة بلا خلاف في ذلك،
وجميعهم يعتبرون الايمان باليوم الآخر من ضرورات الدين التي يجب الاعتقاد بها،
ومن انكرها فهو خارج عن عداد المسلمين ^(١٣٧).

رابعاً: الدليل العقلي:

لقد استدل كثير من الفلاسفة والمتكلمين، بالبراهين العقلية، على حتمية المعاd ووجوبه. كما نص القرآن الكريم من الأدلة والبراهين العقلية على ثبوت حقيقة المعاd والحياة الأخرى.

قال العلامة الحلي: (العالم المماثل لهذا العالم ممكن الوجود، لأن هذا العالم ممكن الوجود، وحكم المثلين واحد، فلما كان هذا العالم ممكناً وجب الحكم على الآخر بالمكان) (١٣٨).

كما انَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْرُهُ غَيْرُ مُتَنَاهِيَّةٍ. وَقَدْ أَشَارَتْ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ إِلَى
هَذَا الْمَعْنَى أَيْ: إِنَّ الْقَادِرَ عَلَى الْإِيمَاجَادِ مِنَ الْعَدَ ابْتِدَاءً، فَهُوَ عَلَى اعْدَادِ الْمَوْجُودِ أَقْدَرُ،
قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبَدِّيُ اللَّهُ الْخُلُقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ * قُلْ
سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخُلُقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشَأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٣٩).

ويستدل الذكر الحكيم على لزوم المعاد بأن الحياة الآخرية هي الغاية من

خلق الانسان وأنه لو لاها لصارت حياته منحصرة في اطار الدنيا، ولأصبح إيجاده وخلقه عبشاً وباطلاً، والله سبحانه وتعالى منزه عن فعل العبث^(١٤٠).

قال تعالى : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾^(١٤١).

كما أن المعاد هو مقتضى العدل الالهي، لأن العباد فريقيان، مطيع وعاص، والتسوية بينهما بصورتها المختلفة خلاف العدل، وهنا يستقل العقل بأنه يجب التفريق بينهما من حيث الشواب والعقوب، وبما أن هذا غير متحقق في الحياة الدنيا، فيجب أن يكون هناك نشأة أخرى يتحقق فيها ذلك التفريق^(١٤٢).

والى هذا المعنى اشار قوله تعالى : ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفَحَارِ﴾^(١٤٣).

ومن خلال هذه الأدلة تبين أن المعاد ضرورة قطعية لا بد من وقوعها في يوم القيمة لطرح فيه اعمال العباد للحساب.

• المطلب الثالث: المعاد في فكر السيدة الزهراء عليها السلام :

قالت عليها السلام : (نلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد صلوات الله عليه، والموعد القيمة، وعند الساعة ما تخسرون، ولا ينفعكم إذ تندمون)^(١٤٤).

بعد أن اعترضت السيدة الزهراء عليها السلام على المسلمين آذاك ووجتهم على خذلانهم وعدم نصرة الحق. وجهت خطابها في هذا المقطع إلى رئيس القوم الغاصبين لحقوق أهل البيت عليهم السلام ، قائلة: فدونك يا أبو بكر هذه القضية التي لاتفنى على مر العصور والأجيال، فإن اغتصابك لي أرثي وهي فدك، وغضبك للخلافة وجلوسك في هذا الموضع الإلهي بهتاناً وزوراً. وقد وافقك المهاجرون والأنصار على ذلك طمعاً منهم للمال والجاه والسلطة.

وإنما قام أبو بكر بهذا التعدي والاغتصاب المالي لفدرك بعد اغتصابه

الخلافة حذراً من أن يكون أهل فدك والزارعين أنصاراً لعلي وفاطمة عليهما السلام،
وuncanدا للحق أمام الباطل، ويكونوا اعواناً ل الخليفة رسول الله عليهما السلام الواقعي
المنصب من قبل الله عز وجل، ضد المدعين لهذا ظلماً وجوراً، ولذا رد شهادة
الشهدود الذين جاءت بهم، وهم علي عليهما السلام وأم سلمة والحسنان عليهما السلام. وقد خالف أبو
بكر أحكام كتاب الله وسنة النبي عليهما السلام، عند ذلك قالت الزهراء عليهما السلام : (فنعم
الحكم الله والزعيم محمد عليهما السلام والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولا
ينفعكم إذ تندمون، وكل نبأ مستقر فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل
عليه عذاب مقيم).

في هذا المقطع أشارت السيدة الزهراء عليها السلام إلى أصل من أصول الدين لأنّه هو المعاد، وأشارت إلى مسألة الحشر، حينما يحشر الناس في ذلك اليوم، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشْرُنَا هُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (١٤٥). فهذا الحشر يكون للخلافتين منذ أن خلقهم الله تعالى إلى آخر الخلق على أرض المحشر، فيجتمعون على تلك الأرض من أولهم إلى آخرهم إنسهم وجنهم حتى حيواناتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ (١٤٦).

فالزهراء عليه السلام وضحت أن هناك حشراً يوم القيمة، وذلك لإقامة المحكمة الإلهية، فنعم الحكم الله، إن الحاكم والقاضي في ذلك اليوم هو الله سبحانه وتعالى فيقضي بين عباده وهو جبار السموات والأرض، الذي يعلم السر وما يخفي، والذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، قال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٤٧).

إذاً في يوم القيمة هناك حشر، لإقامة الحساب ومجازاة الخلائق على اعمالهم.
ثم بيّنت السيدة الزهراء عليهما السلام أن الله سبحانه وتعالى سوف يقتضي من
الظالم ويأخذ حق المظلوم في ذلك اليوم. عندها لا تنفع الندامة اشارة منها لقوله

تعالى : ﴿أَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * قَالُوا رَبَّنَا غَلَبْتُ عَلَيْنَا شِقْوَنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا إِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ احْسِنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (١٤٨).

تبين مما سبق أن أصل المعاد كان حاضراً في فكر السيدة الزهراء عليهما السلام وقد وضحته بخطبتها بأروع بيان وحضرت الظالمين من ذلك اليوم الذي سوف تعود فيه الأرواح والاجساد وتحشر من جديد من أجل الحساب وجزاء الاعمال حينها لا ينفع الظالمين والعاصين ندمهم، ولا تحيى مندوم.

الخاتمة

توصل الباحث من خلال دراسته لخطبة السيدة الزهراء عليهما السلام إلى النتائج الآتية :

أولاً: تعد هذه الخطبة واحدة من الخطب المشهورة التي نقلها كبار علماء أبناء العامة مضافاً إلى علماء الشيعة مع سلسلة كبيرة من الأسانيد المعتبرة، خلافاً لما يتصوره بعضهم من أنها ضعيفة أو حتى عديمة السند.

ثانياً: اشتغلت الخطبة على تحليل عميق ومحضر لمسائل التوحيد وصفات الخالق وأسمائه الحسنى.

ثالثاً: بيان أن الاخلاص هو روح التوحيد وتطهير الروح من دنس الشرك بالله سبحانه وتعالى.

رابعاً: تلخيص هدف الخلق بجمل قصيرة المعنى تمثلت بما يأتي :

أ - تبيين الحكمة الإلهية اللاحمدودة وتوضيحها.

ب - دعوة العباد إلى طاعته وعبوديته.

ج - الاشارة إلى قدرته اللاحمدودة.

خامساً: التحدث عن أهمية القرآن الكريم وعمق تعاليم الإسلام، كما أنها أبدعت في بيان فلسفة الأحكام من خلال عبارات قصيرة، فبدأت بالإيمان حتى الوفاء بالنذر، فوصفت كل منها بجملة رائعة، وأبدت النصائح في ذلك.

سادساً: ذكر مسألة الخلق والتكون البدائي التي تعدّ من المسائل المهمة التي تشير إلى قدرة الله سبحانه وتعالى، فلم تكن هناك مادة مصنوعة من قبل حتى يخلق الله منها هذا العالم بل إنّ الخلق والتكون قد تم من العدم، وقد اختصت هذه الحلقة بذاته الطاهرة حتى صعب على بعضهم تصوّر ذلك.

سابعاً: بيان مسألة النبوة والتذكير بمنزلة الرسول ﷺ السامية وخصائصه ومسئولياته وأهدافه.

ثامناً: الدفاع عن الإمامة المتمثلة بالإمام علي عليه السلام، ووصي رسول الله عليه السلام،
ويوضح ما قدمه الإمام علي عليه السلام لهذه الأمة من خدمات جليلة، وكيف أن
النبي عليه السلام كان يرسله لمواجهة الحوادث الخطيرة والتصدي لها، وهو يقوم لها مؤثراً
بنفسه مضحياً وفدائياً، أهوى برؤوس المتكبرين إلى الأرض بسيفه ومن غ هامات
الطواحيت بالتراب، وكان ناصراً ومساعداً للرسول عليه السلام وحامياً ومدافعاً عن
الإسلام الحنيف.

حيث تجاهل هؤلاء كل ما ورد من آيات قرآنية وتوصيات نبوية.

تاسعاً: كانت هذه الخطبة بمثابة تحذير مروع لأولئك الذين سعوا إلى حرف الحكومة الإسلامية وخلافة الرسول ﷺ عن مسيرها الحقيقي.

عاشرًا: من خلال خطبتها أعلنت عن رأيها وظللتها أمام جمهور المسلمين
وسادات المهاجرين والأنصار حق تتم الحجة، وتكشف حجج هذا الغصب
والمقدمة الظالمة من قبل جهاز النظام، فضلاً عن فضح صفوف المدافعين عن
سياسة التجاوز وتمييزهم عن الأوفياء الحقيقيين للإسلام.

الحادي عشر: أفصحت السيدة الزهراء عليها السلام من خلال خطبتها عن موقف أهل البيت عليهم السلام بالنسبة إلى النظام الحاكم، وبرأت ساحة الإسلام المقدس من الظلم والجور الذي ارتكب باسم الإسلام.

الثاني عشر: بلاغة فاطمة الزهراء عليها السلام وقدرتها الكلامية والفلسفية الفائقة، إذ إنها ذكرت المسائل العقائدية المتعلقة بأصول الدين، مرتبة ابتداءً من التوحيد ثم العدل والنبوة والإمامية والمعاد.

* هوامش البحث *

- (١) كتاب العين، الفراهيدي، تحقيق: د. عبد الحميد الهنداوي، ط١، دار الكتب العلمية ٢٠٠٣م، بيروت - لبنان، ج٤، ص ١٠٣.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق، ط١، دار احياء التراث العربي، م٢٠١٠م، بيروت - لبنان ، ج٨، ص ٩٧.

(٣) بلالات النساء، ابن طيفور، تصحيح: أحمد الألفي، مدرسة والدة عباس الأول، م١٩٠٨م، القاهرة، ص ١٦.

(٤) ن. م، ص ١٦.

(٥) السقيفة وفك الجواهري، تحقيق: د. محمد هادي الأمين، مكتبة نينوى الحديثة، طهران، ص ٩٨، (د.ت)

(٦) مروج الذهب، المسعودي، تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة، قم، ج٤، ص ٣١١.

(٧) مقتل الحسين، الخوارزمي، تحقيق: محمد طاهر السماوي، منشورات مكتبة المفيد، قم - ايران، ج١، ص ٧٧.

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية، ج٤، ص ٢٧٣، (د.ت)

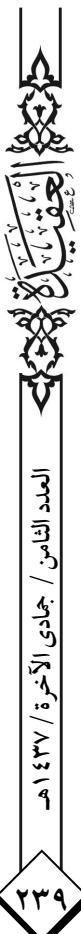
(٩) منال الطالب في شرح طوال الغرائب، ابن الأثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مكتبة الطناحي، مصر، ص ٥٠١-٥٠٧، (د.ت).

(١٠) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم، ط١، الدار اللبناني للنشر، م٢٠٠٨م، بيروت، ج١٦، ص ٣٠٧.

(١١) ن. م: ج١٦، ص ٣٠٨.

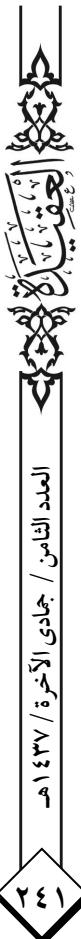


- (١٢) اعلام النساء، عمر رضا كحاله، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج٤، ص١١٦، (د.ت).
- (١٣) علل الشرائع، الصدوق، منشورات المكتبة الحيدرية، ١٩٦٦م، النجف، ج١، ص٤٨.
- (١٤) دلائل الامامة، الطبرى، ط٢، مؤسسة الاعلامي للمطبوعات، ١٩٨٨م، بيروت - لبنان ص٣١.
- (١٥) الاحتجاج، الطبرسي، ط١، انتشارات الشريفى الرضي، ١٣٨٠هـ، قم، ج١، ص١٣٦.
- (١٦) كشف الغمة في معرفة الائمة، بهاء الدين الأربلي، ط٢، دار الأضواء للطباعة، ١٩٨٥م،
بيروت، ج١، ص٤٧٩.
- (١٧) الطراف في معرفة مذاهب الطوائف، ابن طاوس، مطبعة الختم، ١٤٠٠هـ، قم، ج١، ص٣٦٤.
- (١٨) النص والاجتهاد، الامام شرف الدين، ط١، مطبعة سيد الشهداء ع١٤٠٤هـ، قم، ص٦.
- (١٩) ن.م، ص١٠٧.
- (٢٠) الشافي في الامامة، الشريفي المرتضى، ط٢، مؤسسة اسماعيليان، ١٤١٠هـ، قم، ج٤، ص٦٩-٧٠.
- (٢١) م.س، ج٤، ص٧٠.
- (٢٢) بحار الانوار، المجلسى، المطبعة الاسلامية، ١٣٨٨هـ، طهران، ج٣٩، ص٢١٥-٢١٦.
- (٢٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ج١، ص٦٤.
- (٢٤) سورة يونس، الآية ١١٠.
- (٢٥) احراق الحق، نور الله التستري، مطبعة السعادة، ١٣٩٦هـ، مصر، ج١، ص١٥١.
- (٢٦) سورة يونس، الآية ١١٠.
- (٢٧) احراق الحق، نور الله التستري، ج١، ص١٥١.
- (٢٨) حقائق الایمان، الشهید الثانی، تحقيق: مهدي الرجائي، ط١، مکتبة آیة الله العظمى
المرعشي، ١٤٠٩هـ، قم المقدسة، ص٥٩.
- (٢٩) دروس في العقيدة الاسلامية، محمد تقى اليزدي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ص٥٨.
- (٣٠) م.س، ص٥٩.
- (٣١) اللمع في الرد على أهل الزيف والبدع، ابو الحسن الاشعري، تقديم حموده غرابه، المطبعة
الميرية، ١٩٤٥م، مصر، ص١٥-١٧.
- (٣٢) تفسيرة سورة الاخلاص، ابن تيميه، المطبعة الميرية، ١٣٢٣هـ، مصر، ص٢٢-٢٣.
- (٣٣) نظريات الجزء الذي لا يتجزأ في التراث العربي الاسلامي، د. عبد الكريم اليافى، بحث في
مجلة التراث العربي، دمشق، العدد الثامن، تموز، ١٩٨٢م، ص١٠.
- (٣٤) م.ن، ص١١.
- (٣٥) محاضرات في الاهليات، السبحاني، تحقيق علي الريانى، ط١٠، مؤسسة التراث العربي، ١٤٦٧هـ



- .٣٠ ص، لبنان - بيروت .٤٦) ن. م، ص .٤٧) ن. م، ص .٤٨) الآية ١٦٤، سورة البقرة .٤٩) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٣، ص ٦٦ .٥٠) شرح الخطبة الفدكية، العلامة المجلسي، ط ١، دار كلستان كوثر، ٢٠٠٣م، طهران، ص ٣٦ .٥١) م. س، ص ٣٦ .٥٢) ن. م، ص ٣٦ .٥٣) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير، ط ١، دار طوق النجاة، ١٤٢٩هـ، ج ٨، ص ٥٣ .٥٤) ن. م، ج ٨، ص ١٦٨ .٥٥) شرح الخطبة الفدكية، العلامة المجلسي، ص ٣٧ .٥٦) ن. م، ص ٤٣ .٥٧) م. س، ص ٤٤ .٥٨) المفردات، الراغب الأصفهاني، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط ١، مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠٩م، بيروت، ص ٤٢٨ .٥٩) لسان العرب، ابن منظور، ج ٦، ص ٦٣-٦٤ .٥٠) مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي، تحقيق: أحمد الحسيني، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ج ٣، ص ١٣٣ .٥١) النكت الاعتقادية، الشيخ المفيد، ط ١، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ، ص ٣٦ .٥٢) تلخيص المحصل، ناصر الدين الطوسي، ط ٤، دار الأضواء، ١٩٨٥م، بيروت، ص ٦٤ .٥٣) الميزان، محمد حسين الطباطبائي، ط ٥، مؤسسة إسماعيليان، ١٤١٢هـ، قم، ج ٧، ص ٢٧ .٥٤) العدل الالهي، مرتضى مطهرى، ط ٢، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠١هـ، طهران، ص ٦٩ .٥٥) نهج الحق، العلامة الحلي، تعليق: الشيخ عين الله الحسيني، ط ١، مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٧هـ، قم - ايران، ص ٥٨ .٥٦) الاقتصاد، الطوسي، ط ١، منشورات منتدى النشر، ١٣٩٩هـ، النجف الأشرف - العراق، ص ٨٨ .٥٧) الآية ٤٤، سورة يونس

- (٥٨) شرح الخطبة الفدكية، العلامة المجلسي، ص ٤٦.
 (٥٩) م. س، ص ٤٦.
- (٦٠) شرح جمل العلم والعمل، الشريف المرتضى، تحقيق: يعقوب الجعفري، ط ٢، دار الاسوة للطباعة، ١٤١٩هـ، قم - ایران، ص ١٠١-١٠٣.
- (٦١) كشف الفوائد، العلامة الحلى، تحقيق: حسن مكي العاملي، ط ١، دار الصفو، ١٤١٣هـ، بيروت - لبنان، ص ٢٥٤.
- (٦٢) الذخيرة في علم الكلام، الشريف المرتضى، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١١هـ، قم، ص ١١٠.
 (٦٣) ن. م، ص ١٠٠.
- (٦٤) شرح جمل العلم والعمل، الشريف المرتضى، ص ٩٨-٩٩.
 (٦٥) ن. م، ص ١٠٠.
- (٦٦) المواقف في علم الكلام، عضد الدين الايجي، تحقيق د. عبد الرحمن عمير، ط ١، ١٤١٧هـ، دار الجيل، بيروت - لبنان، ج ٣، ص ٣٩٠-٣٩٢.
- (٦٧) الفرق بين الفرق، عبد القادر الاسفرائيني، تحقيق: محمد محى الدين، ط ١، المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ، بيروت - لبنان، ص ١٢٨.
- (٦٨) الملل والنحل، الشهريستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت ، ج ١، ص ٨٧.
 (٦٩) م. س، ج ١، ص ٩١-٩٠.
- (٧٠) المغني في ابواب التوحيد والعدل، عبد الجبار الأسد آبادى، تحقيق: د. محمود محمد قاسم، دار الكتب، ١٣٨٢هـ، بيروت، ج ٦، ص ٤١.
- (٧١) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٥، ص ٤.
 (٧٢) ن. م، ج ٥، ص ١٧.
- (٧٣) تصحيح اعتقادات الامامية، الشيخ المفيد، تحقيق: حسين درکاهی، ط ١، المؤتمر العالمي للفية الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ، ص ٤٧.
- (٧٤) الكافي، الكليني، ط ٦، دار الكتب الاسلامية، ١٣٧٥هـ، طهران - ایران، ج ١، ح ١٣، ص ١٦٠.
- (٧٥) مرآة الانوار ومشكاة الأسرار، الشيخ الكازري، الطبعة القديمة الحجرية، ١٣٣٠هـ، ص ٢٥٥.
- (٧٦) ارشاد الطالبين على نهج المسترشدين، جمال الدين الحلى، تحقيق: مهدي الرجائي، ط ١، مكتبة السيد المرعشي، ١٤٠٥هـ، قم، ص ٢٩٥.
- (٧٧) الشيعة الامامية الاثنا عشرية، السبحاني، مقال، موقع مؤسسة الامام الصادق علیه السلام، ١١ ربيع الآخر، ١٤١٧هـ.



- (٧٨) سورة الحاقة، الآيات ٤٤-٤٧.
- (٧٩) الشيعة الامامية الاثنا عشرية، جعفر السبحاني، مقال، موقع مؤسسة الامام الصادق علیه السلام، ١١ ربيع الآخر، ١٤١٧هـ.
- (٨٠) سورة الصاف، الآية ٦.
- (٨١) الشيعة الامامية الاثنا عشرية، السبحاني.
- (٨٢) الشيعة الامامية الاثنا عشرية، جعفر السبحاني، مقال، موقع مؤسسة الامام الصادق، ١١ ربيع الآخر، ١٤١٧هـ.
- (٨٣) محاضرات في الاهليات، السبحاني، ص ٢٨٢.
- (٨٤) ن. م، ص ٢٨٣.
- (٨٥) ارشاد الطالبين على نهج المسترشدين، العلامة الحلي، ص ٥٨.
- (٨٦) حق اليقين، عبد الله شبر، ط ١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٩٧م، بيروت، ج ١، ص ٨٤.
- (٨٧) ن. م، ج ١، ص ٨٦.
- (٨٨) سورة الحديد، الآية ٥٥.
- (٨٩) الاهليات، جعفر السبحاني، ط ٧، مؤسسة الامام الصادق علیه السلام، قم، ج ٣، ص ٦٩.
- (٩٠) الكافي، الكليني، ج ١، ص ١٤.
- (٩١) بحار الانوار، المجلسي، ج ١١، ص ٤٠.
- (٩٢) شرح الخطبة الفدكية، العلامة المجلسي، ص ٤٨.
- (٩٣) سورة البقرة، الآية ٣١.
- (٩٤) شرح الخطبة الفدكية، العلامة المجلسي، ص ٤٨.
- (٩٥) الوفا بتعريف فضائل المصطفى، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ص ٥٥.
- (٩٦) سورة الاعراف، الآية ١٧٢.
- (٩٧) شرح الخطبة الفدكية، العلامة المجلسي، ص ٤٩.
- (٩٨) ن. م، ص ٥٠.
- (٩٩) المفردات، الاصفهاني، ص ٤١.
- (١٠٠) سورة البقرة، الآية ١٣٤.
- (١٠١) مجمع البحرين، الطريحي، ص ٥٠٣.
- (١٠٢) الاوصاف في الامامة، المفید، ط ٢، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ، بيروت – لبنان، ص ٩٧.
- (١٠٣) ارشاد الطالبين على نهج المسترشدين، العلامة الحلي، ص ٦٢.



- (١٠٤) مصباح الهدى في ثبات الولاية، البهبهانى، ط١، مكتبة الالفين، ١٩٩٩، ينيد القار، ص٤٨.
- (١٠٥) مجمع البيان، الطبرسى، ط١، دار الكتب الاسلامية، ١٣٧٣هـ، طهران، ج١، ص٢٠١.
- (١٠٦) محاضرات في الاهيات، السبحانى، ص٣٣١.
- (١٠٧) شرح المواقف، عضد الدين الايجي، ج٨، ص٣٥١.
- (١٠٨) ينظر، محاضرات في الاهيات، السبحانى، ص٣٣٩.
- (١٠٩) ن.م، ص٣٤١-٣٤٣.
- (١١٠) الاهيات، السبحانى، ج٤، ص٥٦.
- (١١١) كشف المراد، العلامة الحلى، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٩هـ، قم المقدسة، ص٢٨٤.
- (١١٢) شرح الخطبة الفدكية، العلامة المجلسى، ص٥٩.
- (١١٣) ن.م، ص٦٠.
- (١١٤) معانى الأخبار، الصدق، تحقيق: علي اكابر الغفارى، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٣٧٩هـ، قم - ايران، ص٦٧.
- (١١٥) سورة المائدة، الآية ٥٥.
- (١١٦) سورة المائدة، الآية ٣.
- (١١٧) شرح الخطبة الفدكية، العلامة المجلسى، ص٦٨.
- (١١٨) الكافي، الكليني، ج١، ص١٩٣.
- (١١٩) ينظر ، لسان العرب، ابن منظور، ج٦، ص٣٤٦، المفردات، الاصفهانى، ص٤٦٤، معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٤، ص١٨١.
- (١٢٠) النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادى عشر، العلامة الحلى، تحقيق: المقداد السعىوى، ط٢، دار الاصوات، ١٩٩٦م، بيروت / ص٨٦.
- (١٢١) شرح المقاصد، التفتلزاني، دار المعارف النعمانية، ١٩٨١م، باكستان، ج٢، ص٨٦.
- (١٢٢) الاهيات، جعفر السبحانى، ج٤، ص١٥٨.
- (١٢٣) ن.م، ص١٥٩.
- (١٢٤) مساهمة الايرانيين في الحضارة العلمية، حميد نيرنوري، ص٢٢٨.
- (١٢٥) سورة الاعراف، الآيات: ٣٥-٣٦.
- (١٢٦) سورة نوح، الآيات: ١٧-١٨.
- (١٢٧) لمحات من المعاد، علي الحسيني الصدر، ط١، منشورات، دليل ما، ١٤٣٥هـ، قم، ص٩.



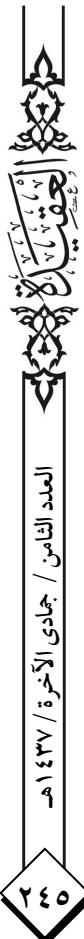
- (١٦٨) سورة النحل، الآية: ٣٨.
- (١٦٩) سورة التغابن، الآية: ٧.
- (١٣٠) سورة الأسراء، الآيات: ٥١-٤٩.
- (١٣١) سورة يس، الآيات: ٧٩-٧٨.
- (١٣٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٧، ص ٧٤.
- (١٣٣) م. س ، ج ٧، ص ٤٠.
- (١٣٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٦٥.
- (١٣٥) ن.م، ج ٧، ص ١٢٥.
- (١٣٦) بحار الأنوار، العلامة المجلسي ، ج ٧، ص ٤٣.
- (١٣٧) حق اليقين، عبد الله شبر، ج ٤، ص ٥٤.
- (١٣٨) كشف المراد، العلامة الحلي، ص ٢٢٤.
- (١٣٩) سورة العنكبوت، الآيات: ٢٠-١٩.
- (١٤٠) محاضرات في الالهيات، جعفر السبحاني، ص ٣٩٨.
- (١٤١) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.
- (١٤٢) محاضرات في الالهيات، السبحاني، ص ٣٩٩.
- (١٤٣) سورة ص، الآية: ٩٨.
- (١٤٤) شرح الخطبة الفدكية، المجلس، ص ١٠٣.
- (١٤٥) سورة الكهف، الآية: ٤٧.
- (١٤٦) سورة هود، الآية: ١٠٣.
- (١٤٧) سورة يونس، الآية: ٩٣.
- (١٤٨) سورة المؤمنون، الآيات: ١٠٨-١٠٥.

* المصادر والمراجع *

- ١) الاحتجاج ، الطبرسي، ط١، انتشارات الشريف الرضي، ١٣٨٠هـ، قم - ايران.
- ٢) احراق الحق، نور الله التستري، مطبعة السعاده، ١٣٩٦هـ، مصر.
- ٣) ارشاد الطالبين على نهج المسترشدين، جمال الدين مقداد، تحقيق: مهدي الرجائي، ط١، مكتبة السيد المرعشى، ١٤٠٥هـ، قم.



- ٤) أعلام النساء، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
- ٥) الاصفاح في الإمامة، المفید، ط٢، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ، بيروت - لبنان.
- ٦) الاقتصاد، الطوسي، ط١، منشورات جمعية منتدى النشر، ١٣٩٩هـ، النجف الاشرف - العراق.
- ٧) الالهيات، جعفر السبحاني، ط٧، مؤسسة الإمام الصادق، ١٣٨٨هـ، قم - ایران.
- ٨) بحار الأنوار، المجلسي، المطبعة الإسلامية، ١٣٨٨هـ، طهران - ایران.
- ٩) بلاغات النساء، ابن طيفور، تصحيح: احمد الالفي، مدرسة والدة عباس الأول، ١٩٠٨م، القاهرة.
- ١٠) تصحيح اعتقادات الامامية، الشيخ المفید، تحقيق: حسين درکاهی، ط١، المؤتمر العالمي لأئمة الشیخ المفید، ١٤١٣هـ.
- ١١) تفسير سورة الاخلاص، ابن تيمية، المطبعة الميرية، ١٣٢٣هـ، مصر.
- ١٢) تلخيص المحصل، نصیر الدین الطوسي، ط٢، دار الاضواء، ١٩٨٥م، بيروت.
- ١٣) حقائق الایمان، الشهید الثاني، تحقيق: مهدي الرجائي، ط١، مکتبة آیة الله العظمی المرعشی، ١٤٠٩هـ، قم المقدسة.
- ١٤) حق الیقین، عبد الله شبر، ط١، مؤسسة الأعلیٰ للمطبوعات، ١٩٩٧م، بيروت.
- ١٥) دروس في العقيدة الإسلامية، محمد تقی اليزدی، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت - لبنان.
- ١٦) دلائل الامامة، الطبری، ط٢، مؤسسة الأعلیٰ للمطبوعات، ١٩٨٨م، بيروت - لبنان.
- ١٧) الذخیرة في علم الكلام، الشریف المرتضی، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١١هـ، قم المقدسة.
- ١٨) السقیفة وفك، الجواہری، تحقيق: د. محمد هادی الامین، مکتبة نینوی الحدیثة، طهران.
- ١٩) الشافی في الامامة، الشریف المرتضی، ط٢، مؤسسة اسماعیلیان، ١٤١٠هـ، قم - ایران.
- ٢٠) شرح الخطبة الفدکیة، العلامة المجلسی، ط١، دار کلستان کوثر، ٢٠٠٣م، طهران.
- ٢١) شرح جمل العلم والعمل، الشریف المرتضی، تحقيق: یعقوب الجعفری، ط٢، دار الاسرة للطباعة، ١٤١٩هـ، قم - ایران.
- ٢٢) شرح المقاصد، التفتازانی، دار المعارف، النعمانیة، ١٩٨١م، باکستان.
- ٢٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابی الحدید، تحقيق: الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهیم، ط١، الدار اللبنانيّة للنشر، ٢٠٠٨م، بيروت.
- ٢٤) الشیعة الامامية الاشنا عشریة، السبحانی، مقال، موقع مؤسسة الامام الصادق، ١١ ربیع الآخر، ١٤١٧هـ.
- ٢٥) صحيح البخاری، محمد بن اسماعیل البخاری، تحقيق: محمد زهیر، ط١، دار طوق النجاۃ، ١٤٢٢هـ.



- (٢٦) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ابن طاوس، مطبعة الخنام، ١٤٠٠هـ، قم - ايران.
- (٢٧) العدل الالهي، مرتضى مطهرى، ط٢، دار الكتب الاسلامية، ١٤٠١هـ، طهران.
- (٢٨) علل الشرائع، الصدوق، منشورات المكتبة الحيدرية، ١٩٦٦م، النجف الاشرف.
- (٢٩) الفرق بين الفرق، عبد القادر الاسفارائي، تحقيق: محمد محيي الدين، ط١، المكتبة العصرية، ١٤١١هـ، بيروت - لبنان.
- (٣٠) الكافي، الكليني، ط٦، دار الكتب الاسلامية، ١٣٧٥هـ، طهران - ايران.
- (٣١) كتاب العين، الفراهيدي، تحقيق: د. عبد الحميد الهنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م، بيروت - لبنان.
- (٣٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة، بهاء الدين الأربلي، ط٢، دار الاضواء للطباعة، ١٩٨٥م، بيروت.
- (٣٣) كشف الفوائد، العلامة الحلى، تحقيق: حسن مكي العاملي، ط١، دار النسوة، ١٤١٣هـ، بيروت - لبنان.
- (٣٤) كشف المراد، العلامة الحلى، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٩هـ، قم المقدسة.
- (٣٥) لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب و محمد صادق، ط١، دار احياء التراث العربي، ٢٠١٠م، بيروت - لبنان.
- (٣٦) لمحات من المعاد، علي الحسيني الصدر، ط١، منشورات دليل ما، ١٤٣٥هـ، قم - ايران.
- (٣٧) اللمع في الرد على أهل الزيف والبدع، أبو الحسن الاشعري، تقديم حمودة غرابة، المطبعة الميرية، ١٩٩٥م، مصر.
- (٣٨) مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي، تحقيق: احمد الحسيني، مطبعة الآداب، النجف الاشرف.
- (٣٩) مجمع البيان، الطبرسي، ط١، دار الكتب الاسلامية، ١٣٧٣هـ، طهران.
- (٤٠) محاضرات في الاهليات، السبحاني، تحقيق: علي الرباني، ط١٠، مؤسسة التراث العربي، ١٤٩٧هـ، بيروت - لبنان.
- (٤١) مرآة الأنوار ومشكلة الأسرار، الشيخ الكازرانى، الطبعة القديمة الحجرية، ١٣٠٣هـ.
- (٤٢) مروج الذهب، المسعودي، تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة، ١٤٠٩هـ، قم - ايران.
- (٤٣) مساهمة الايرانيين في الحضارة العالمية، حميد نيرنوري.
- (٤٤) مصباح الهدایة في ثبات الولاية، البهانی، ط١، شركة مكتب الالفين، ١٩٩٩م، بنید القار.
- (٤٥) معانی الاخبار، الصدوق، تحقيق: علي اکبر الغفاری، مؤسسة النشر الاسلامی، ١٣٧٩هـ، قم.

- ٤٦) المغني في أبواب التوحيد والعدل، عبد الجبار الأسد آبادي، تحقيق: د. محمود هاشم، دار الكتب، ١٣٨٦هـ/٢٠٠٩م، بيروت - لبنان.
- ٤٧) المفردات، الراغب الاصفهاني، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، ط١، مؤسسة الاعلمي، ٢٠٠٩م، بيروت - لبنان.
- ٤٨) مقتل الحسين، الخوارزمي، تحقيق: محمد طاهر السماوي، منشورات مكتبة المفيد، قم - ايران.
- ٤٩) الملل والنحل، الشهريستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ٥٠) منال الطالب في شرح طوال الغرائب، ابن الاثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخافجي، مصر.
- ٥١) المواقف في علم الكلام، عضد الدين الأبيجي، تحقيق: د. عبد الرحمن عمير، ط١، ١٤١٧هـ، دار الجيل، بيروت - لبنان.
- ٥٢) الميزان، محمد حسين البطاطبائي، ط٥، مؤسسة اسماعيليان، ١٤١٦هـ، قم - ايران.
- ٥٣) النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادى عشر، العلامة الحلى، تحقيق: المقداد السيوسي، ط٢، دار الأضواء، ١٩٩٦م، بيروت.
- ٥٤) النص والاجتهاد، شرف الدين، ط١، مطبعة سيد الشهداء عٰلِيٰ، ١٤٠٤هـ، قم - ايران.
- ٥٥) نظريات الجزء الذي لا يتجزأ في التراث العربي الاسلامي، د. عبد الكريم الباقي، بحث مجلة التراث العربي، دمشق، العدد الثامن، تموز ١٩٨٦م.
- ٥٦) النكست الاعتقادية، الشيخ المفيد، ط١، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ.
- ٥٧) النهاية في غريب الحديث والاثر، ابن الاثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي، المكتبة الاسلامية.
- ٥٨) نهج الحق، العلامة الحلى، تعليق: الشيخ عبد الله الحسيني ، ط١، مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٧هـ، قم - ايران.
- ٥٩) الوفا بتعريف فضائل المصطفى، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.



أشياء اختصت بها

السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

رسول كاظم عبد السادة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآلـه الطيبين الطاهرين وبعد..

انـ الحديث عنـ الزهـراء صـلوـات الله عـلـيـها دـائـما يـرـتـبـطـ بالـمـحـنـ والـاحـزـانـ والـرـزاـياـ فـلـوـ تـصـفـحـناـ التـارـيخـ وـالـحـاضـرـ لـمـ نـجـدـ حـتـىـ فـيـ الـمـسـتـقـبـلـ اـمـرـأـةـ قـدـ جـابـهـتـ مـحـنـاـ وـبـلـاـيـاـ مـثـلـ الصـدـيقـةـ الطـاهـرـةـ هـيـ وـوـلـدـهـاـ صـلوـاتـ اللهـ عـلـيـهـمـ بـرـغـمـ المـزاـياـ الـتـيـ تـمـيـزـتـ بـهـاـ وـقـرـبـهـاـ مـنـ رـسـوـلـ الـأـمـمـ عـلـيـهـلـهـ بـوـصـفـهـاـ اـبـنـتـهـ وـثـمـرـةـ فـؤـادـهـ وـبـهـجـةـ قـلـبـهـ وـرـوحـهـ الـتـيـ بـيـنـ جـنـبـيـهـ كـمـاـ وـرـدـ فـيـ الـحـبـرـ عـنـهـ عـلـيـهـلـهـ بـلـ كـانـ يـفـتـدـيـهـ رـوـحـيـ فـدـاهـ بـنـفـسـهـ إـذـ لـمـ تـلـقـ اـمـرـأـةـ مـنـ نـسـاءـ بـقـيـةـ الـمـسـلـمـيـنـ مـثـلـهـ،ـ وـمـعـ ذـلـكـ فـقـدـ اـجـمـعـ عـلـمـاءـ الـمـسـلـمـيـنـ عـلـىـ جـلـالـتـهـ وـعـظـيمـ مـنـزـلـتـهـ فـيـ الـدـنـيـاـ وـالـآخـرـةـ وـاـنـ اـحـبـ انـ اـسـتـعـيرـ الـكـلـمـةـ الـقـيـمـةـ الـتـيـ ذـكـرـهـاـ الـمـفـكـرـ الـاسـلـامـيـ الـدـكـتـورـ عـلـيـ سـامـيـ النـشـارـ فـيـ كـتـابـهـ (ـنـشـأـةـ الـفـكـرـ الـفـلـسـفـيـ فـيـ الـاسـلـامـ)ـ مـعـ مـاـ لـدـيـ مـنـ مـلـاحـظـاتـ عـلـىـ بـعـضـ فـقـرـاتـهـ إـلـاـ أـنـهـ ثـمـيـنـةـ حـيـثـ تـصـدـرـ عـنـ مـثـلـهـ قـالـ فـيـ الـجـزـءـ الثـانـيـ مـنـ كـتـابـهـ :

(إـنـ الـمـسـلـمـيـنـ أـجـمـعـينـ - اللـهـمـ إـلـاـ السـلـفـ - مـنـ الـخـانـبـلـةـ الـمـتأـخـرـينـ رـأـواـ فـيـ أـهـلـ الـبـيـتـ جـمـيـعـاـ مـلـاـذاـ لـهـمـ فـيـ أـدـعـيـتـهـمـ وـتـوـسـلـاـتـهـمـ وـقـدـ أـمـرـواـ فـيـ أـدـعـيـتـهـمـ

وتسلّطهم، وقد أمرّوا في صلواتهم بالدعاء لهم والصلوة عليهم. ومجده المسلمين جمِيعاً سنة وشيعة فاطمة الزهراء واعتبروها سيدة نساء العالمين ومنها بقي الدّم النبوي في آفاق الأرض وفاطمة الزهراء العقب الوحيدة الباقية لـ محمد ﷺ وقد عاشت في أحضان الرسول ﷺ وذاقت مرار اليتم - بعد وفاة أمها وتحمّلت مع أبيها وهي طفلة غضة عذاب قريش والقرشيين واضطهادهم، وكانت مثلاً من مثل الفداء ولم تهن على الإطلاق. وقد هاجرت مع ابن عمها علي بن أبي طالب فارساً الإسلام العظيم من مكة إلى المدينة، يسيران ليلاً ويختفيان نهاراً ولما نصر عودها رفت إلى ابن عمها وحواري أبيها، ثم حملت حفيدي محمد ﷺ: الحسن والحسين زهري بني هاشم وسيدي شباب أهل الجنة كتب عليهما الموت شهادة في ميلاده.

وحيث أتى وفد نجران إلى الرسول ﷺ وسألوه عن حقيقة المسيح نزل في القرآن: «إِنَّهُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَعْمَنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ» الزخرف/٥٩ «إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلَ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» آل عمران/٥٩ ثم دعا إلى المباهلة: «فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» آل عمران/٦١.

ورضي الوفد بالمباهلة - فأتى الرسول ﷺ آخذاً بأيدي الحسن والحسين تتبعه فاطمة وعلي بين يديه وألقى عليهم الرسول ﷺ بكسائه وقد عرفت هذه الحادثة بحادثة الكسأء وعرف الحديث الواحد فيها بحدث الكسأء، ثم جثا الرسول ﷺ على ركبتيه وركع فانسحب الوفد التجراني - هارباً ورفض المباهلة.

وحيث مرض الرسول ﷺ - وذهبت لدعوه ملتاعة خرجت ضاحكة لتعلن أن الرسول ﷺ بشرها بأنها ستلتحقه في رياض الله قريباً وحين تولى خلافة المسلمين أبو بكر غضبت فاطمة وقد رأت أن لعلى الحق الأكبر في الخلافة، واجتمع جماعة من المهاجرين والأنصار مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة - بعد

تولى أبي بكر الخلافة، فقالت: والله لتخرون أو لا كشفن شعرى ولا عجن إلى الله،
خشى الصحابة دعوتها فخرجوا.

وبعد سبعين ليلة من وفاة الرسول ﷺ أحسست فاطمة بالموت، فقالت
لصديقتها أسماء بنت عميس: ألا ترين إلى ما بلغت فأحمل على سرير ظاهراً. لقد
خشيت فاطمة الزهراء بنت محمد رسول الله ﷺ أن تحمل على سرير يظهر
جسدها المضحى للناس فقالت لها أسماء لعمري يا بنت رسول الله ﷺ ولكنني
أصنع لك شيئاً فقالت فاطمة فأرنيه فأرسلت إلى جريد رطب فقطعته ثم جعلتها
على السرير نعشاً وهو أول ما كنت النعوش وتبسمت الزهراء الطاهرة وما رؤيت
متبسمة إلا يومئذ وحضرت نساء من قريش في مرضها وقلن لها كيف أنت يا بنت
رسول الله قالت أجدهي كارهة لدنياكم مسرورة لفراقكن مما حفظ لي الحق ولا
رُعيت مني الذمة ولا قبلت الوصية ولا عرفت الحمرة. وبعد سبعين يوماً من وفاة
الرسول ﷺ كما قلت أسلمت الروح العظيمة وبين يديها طفلاها الصغيران
الحسن والحسين وكان سنها ثلاثة وعشرين سنة.

كانت حياة فاطمة الزهراء القصيرة عظةً كبرى للمسلمين جميعاً المهاجرة
الصغرى في ظلام الليل الدامس، مع ابن عمها الفقي تسير في دروب جبال مكة
متخفية ثم تحرق الصحراء الكبيرة في طريقها إلى يثرب وأعداء أبيها اللدد في أثرها
وإثر ابن عمها ثم هجرتها الأخيرة إلى الموت إلى الله ورسوله - أفعم كل هذا
المسلمين بالأسى وقد كان أبو بكر يتذكر فاطمة وي بكى بل أعلن حين موته ندمه
أن اقتحم منزلها بالرجال وكانت فاطمة الزهراء تؤمن بلا شك بحق علي في الخلافة
ولم يكن هذا منبثق عن أمل في مشاركة ابن عمها حكم المسلمين.

لقد كانت تعلم عن يقين أنها تاركة الدنيا سراعاً ولكن إيمانها بأحقيته
وأهليته للمهمة الكبرى التي تركها الرسول ﷺ.

وإذا كان المسلمين أجمعون قد اعتبروها زهرة الوجود وعطر الحياة والأنوثة الخالدة فإن الشيعة من بين المسلمين قد اعتبروها البرهان على عقيدتهم في الحق الألهي لعلي بل يؤمنون بأنها الشهادة الكبرى من رسول الله ﷺ على أحقيته علي بن أبي طالب في خلافة الرسول دينا ودنيا ولقد تحرزوا عن دعوتها بالأنوثة ودعوها بفاطم وشغلت أم الإمامين والأئمة في أفكار الشيعة وفي عقائدهم مكاناً قدسياً وحرماً طاهراً مقدساً.

انتهى كلام النشار ولعمري ان اتقن العبارة فقد راوغ في بعض المواطن لاسيما في هجوم القوم على دارها، ونحن في هذه الفقرات المتواضعة سوف نتابع بعض ما اختصت به الصديقة الزهراء عليها السلام، وان هذه الاشياء التي اختصت بها قد صودرت وخولف فيها عن عمد وقصد.

نعم كانت للزهراء بعض الاشياء الخاصة الا ان هذه الاشياء معاني في الآخرة غير ما يتبادر اليها في الدنيا وربما ظهرت بعض تلك المعاني لمصلحة خاصة، فلنتابع بعض اشياء الزهراء، بالرواية والنص التاريخي، ونسأل الله التوفيق ونعتذر سلفاً عن التقصير والغفلة وصلى الله على محمد واله الطيبين الطاهرين والحمد لله رب العالمين أولاً وآخرأً وظاهراً وباطناً.

- ١ -

بابها عليها السلام

باب فاطمة عليها السلام هو باب الوجود الحقيقي وسر التوحيد لذلك فلا غرابة ان يتعرض هذا الباب للهتك، كما هو شأن التوحيد الذي هتكه الشرك، ولذلك كان رسول الله ﷺ يراعي هذا الباب رعاية خاصة، فيقف عنده اربعين ليلة، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليه السلام، قال: كان النبي ﷺ يقف عند

طلع كل فجر على باب علي وفاطمة عليهم السلام، فيقول: الحمد لله المحسن المجمل المنعم المفضل، الذي بنعمته تتم الصالحات، سمع سامع بحمد الله ونعمته وحسن بلائه عندنا، نعوذ بالله من النار، نعوذ بالله من صباح النار، نعوذ بالله من مساء النار، الصلاة يا أهل البيت إنما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُظْهِرَكُمْ تَطْهِيرًا^(١) وعن أبي سعيد الخدري قال: لما دخل علي بفاطمة جاء النبي عليه السلام أربعين صباحا إلى بابها فيقول: أنا حرب من حاربتم وسلم من سالمتم^(٢).

ولابد من أن يكون هذا الباب مميزا عن ابواب الاخرين فلا تمثل عليه اثار الدنيا كبقية ابواب ،عن أبي جعفر عليه السلام، قال: رجع رسول الله عليه السلام من سفر، فدخل على فاطمة عليها السلام فرأى على بابها سترا، وفي يديها سوارين من فضة، فخرج من بيتها، فدعت فاطمة عليها السلام ابنيها، فنزعت الستر وخلعت السوارين، وأرسلتهما إلى النبي، فدعا النبي عليه السلام أهل الصفة، فقسمه بينهم قطعا، ثم جعل يدعو الرجل منهم العاري الذي لا يستر بشيء، وكان ذلك الستر طويلا ليس له عرض، فجعل يوزر الرجل فإذا التقى عليه قطعه، حتى قسمه بينهم أزوا^(٣).

وكان هذا الباب مفتوحا الى المسجد النبوى واغلق كل ابواب الشارعه الى المسجد الا هذا الباب اشعارا بكونه جزءا لا يتجزأ منه فهو اصل نظام العبادة ومنتهى الطهارة، فقد اكتسب المكان طهارتة من المكين

عن عيسى الملائى قال: دخلت على علي بن الحسين فقلت: حدثني عن ابواب سمعت من أبيك فيها شيئا؟ قال: حدثني أبي الحسين بن علي عن علي أنه قال: أخذ رسول الله عليه السلام يدي ثم أرسل إلى أبي بكر أن سد بابك فاسترجع ثم قال: هل فعل بهذا بأحد قبلى؟ قال: لا. قال: سمعاً وطاعة فسده. ثم أرسل إلى عمر سد بابك فقال: هل فعل بأحد قبلى؟ قيل: نعم بأبي بكر فقال: إن لي بأبي بكر أسوة فسد بابه ثم أرسل إلى العباس سد بابك فغضب غضبا شديدا ثم قال: ارجع إلى النبي عليه السلام فقل: أليس عم الرجل صنو أبيه؟ قال: بلى ولكن سد بابك. فلما

سمعت فاطمة سد الابواب خرجت فجلست على بابها تنتظر من يرسل إليها بسد الباب فخرج العباس ينتظر هل يسد باب علي فرأى فاطمة غالسة والحسن والحسين معها فقال: قد خرجت وبسطت ذراعيها مثل الاسد وأخرجت جرويها وخاص الناس في سد الابواب وفتح باب علي فلما سمع النبي ﷺ ذلك صعد المنبر فقال: ما الذي تخوضون فيه ما أنا بالذى سددت أبوابكم وفتحت باب علي ولكن الله سد أبوابكم وفتح باب علي^(٤)

وهذا الباب الملكي المفتوح لأهل الدنيا رحمة للعالمين هتك حجابه واحرق، ولو لا حرق هذا الباب وتهك لما احرقت خيام الحسين بكرباء وذلك

انه:

صدر وضرج بالدماء جبين	برقي منبره رقي في كربلا
أودى لها في كربلاء جنين	لولا سقوط جنين فاطمة لما
في طيها سر الإله مصون	وبكسر- ذاك الضلع رضت أصلع
فله علي بالوثاق قرين	وكما على قوده بنجادة
لبناتها خلف العليل رنين	وكما لفاطم رنة من خلفه
بالطف من زجر لهن متون	وبيزجرها بسياط قنفذ وشحت
قطعت يد في كربلا ووتين	وبقطعهم تلك الاراكة دونها
أدهى وان سبقت به صفين	لكنها حمل الرؤوس على القنا
هذا وهذا ناطق ومبين	كل كتاب الله هذا صامت

نعم أشعلت النار على بيت التي بمحبتها تطفى نيران الآخرة!!

عن مروان بن عثمان قال: لما بايع الناس أبا بكر دخل علي عليه السلام والزبير والمقداد بيت فاطمة عليهما السلام، وأبوا أن يخرجاها، فقال عمر بن الخطاب: اضرموا عليهم

البيت نارا، فخرج الزبير ومعه سيفه، فقال أبو بكر: عليكم بالكلب، فقصدوا نحوه، فزلت قدمه وسقط إلى الأرض ووقع السيف من يده، فقال أبو بكر: اضربوا به الحجر، فضرب بسيفه الحجر حتى انكسر. وخرج علي بن أبي طالب عليهما السلام نحو العالية فلقيه ثابت بن قيس بن شماس، فقال: ما شأنك يا أبو الحسن؟ فقال: أرادوا أن يحرقوا علي بيتي وأبو بكر على المنبر يبايع له ولا يدفع عن ذلك ولا ينكره، فقال له ثابت: ولا تفارق كفي يدك حتى أقتل دونك، فانطلقوا جميعاً حتى عادوا إلى المدينة وإذا فاطمة عليهما السلام واقفة على بابها، وقد خلت دارها من أحد من القوم وهي تقول: «لا عهد لي بقوم أسوأ حضراً منكم، تركتم رسول الله عليهما السلام جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم لم تستأنرونا وصنعتم بنا ما صنعتم ولم تروا لنا حقا»^(٥).

قال شاعر النيل حافظ ابراهيم في قصيده الملحمية في حياة عمر بن الخطاب :

وقولة لعلي قالماء عمر	أكرم بسامعها أعظم بملقيها
حرقت دارك لا أبقى عليك بها	إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حفص بقائهما	أمام فارس عدنان وحاميهما

نقل احمد بن يحيى جابر البغدادي البلاذري (المتوفي ٢٧٠) - الكاتب الشهير وصاحب التاريخ الكبير - هذه الواقعة التاريخية في كتابه انساب الاشراف: إن أبويا بكر أرسل إلى علي يريد البيعة فلم يبايع، فجاء عمر ومعه فتيلة! فتلقتها فاطمة على الباب. فقالت فاطمة: يا ابن الخطاب، أتراك محرقاً على بابي؟ قال نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك...!

وكتب المؤرخ الشهير عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٤١٢ - ٢٧٦) في كتاب الامامة والسياسة: إن أبويا بكر تفقد قوماً تخلّفوا عن بيته عند علي فبعث إليهم عمر فجاء فنادهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا فدعوا بالخطب وقال:

الذي لا إله إلا هو نضر بعنقك^(٦)

- ٤ -

بيت احزانها عليها السلام

بيت الأحزان: جمع حزن ضد الفرح: بلد بين دمشق والساحل، سمي بذلك لأنهم زعموا أنه كان مسكن يعقوب عليهما السلام، أيام فراقه ليوسف عليهما السلام، وكان الإفرنج عمروه وبنوا به حصناً حصيناً^(٧) ومثلما كان ليعقوب بيت الأحزان، فان لآل النبي كربلاء^(٨) ولأن كان نوح عليهما السلام بكى عليهما السلام على هلاك قومه وسوء عاقبتهم حتى سمي نوحاً، فقد بكت فاطمة الزهراء عليهما السلام أيضاً على ضلاله هذه الأمة المرحومة وغوايتها وسوء عاقبتها، حتى صار لها عالم الإمكان بيت الأحزان^(٩) ولأن خرجت عليهما السلام من الدنيا حزينة مظلومة فلعلمرك ان الدنيا سجن المؤمن وقد وصف النبي الله يوسف على نبينا عليهما السلام السجن بذلك بان كتب على بابه: هذا قبر الاحياء، وبيت الأحزان، وتجربة الاصدقاء، وشماتة الاعداء!^(١٠).

جاء في حديث ورقة بن عبد الله مع فضة قال: قلت لها: يا فضة أخبريني عن مولاتك فاطمة الزهراء عليهما السلام وما الذي رأيت منها عند وفاتها بعد موتها أبىها محمد عليهما السلام. قال ورقة: فلما سمعت كلامي تغررت عيناه بالدموع ثم انتحبت



نادية وقالت: يا ورقة بن عبد الله هيجنت علي حزنا ساكنا وأشجانا في فؤادي كانت
كامنة فاسمع الان ما شاهدت منها. اعلم أنه لما قبض رسول الله ﷺ افتوجع له
الصغرى والكبير وكثير عليه البكاء وقل العزاء وعظم رزءه على الأقرباء والأصحاب
والأولياء والأحباب والغرباء والأنساب، ولم تلق إلّا كل باك وباكية ونادب ونادبة،
ولم يكن في أهل الأرض والأصحاب والأقرباء أشد حزنا وأعظم بكاء وانتحابا
من مولاتي فاطمة الزهراء، وكان حزنها يتجدد ويزيد، وبكاؤها يشتدد فجلست
سبعة أيام لا يهدى لها أنين ولا يسكن منها حنين، وكل يوم جاء كان بكاؤها
أكثر من اليوم الأول. فلما كان في اليوم الثامن أبدت ما كتمت من الحزن فلم تطق
صبرا إذ خرجت وصرخت فكأنها من فم رسول الله ﷺ تنطق، فتبادرت النسوان
وخرجت الوليد والولدان، وضج الناس بالبكاء والنحيب، وجاء الناس من كل
مكان، واطفيت المصايب لكيلا تتبيّن صفحات النساء، وخیل إلى النسوان أن
رسول الله ﷺ قد قام من قبره، وصار الناس في دهشة وحيرة لما قد رهقهم، وهي
تنادى وتندب وأباء وأباء واصفياء وأصفياء وأبا القاسم واربع الأراميل
واليتامى اه من للقبة والمصلى، ومن لابنته الوالهة الشكل.

ثم أقبلت تعثر في أذيالها وهي لا تبصر شيئا من عبرتها ومن توافر دمعتها
حتى دنت من قبر أبيها محمد ﷺ فلما نظرت إلى الحجرة وقع طرفها على الماذنة
فقصر خطها ودام نحيبها وبكاؤها إلى أن أغمى عليها، فتبادرت النسوان إليها
فنضحن الماء عليها وعلى صدرها وجبينها حتى أفاقت وهي تقول: رفعت قوتي،
وخاني جلدي، وشمت بي عدوّي، والكمد قاتلي، يا أبناه بقيت واهلة وحيدة وحيرانة
فريدة فقد انحد صوتي، وانقطع ظهري، وتنقص عيشي، وتکدر دهري، فما أجد
يا أبناه بعدك أنيسا لوحشتي، ولا رادا لدموعي ولا معينا لضعفني، فقد فنى بعدك
محكم التنزيل، ومهبط جبرئيل، ومحل ميكائيل انقلبت بعدك يا أبناه الأسباب،
وتغلقت دوني الأبواب، فأنا للدنيا بعدك قالية، وعليك ما ترددت أنفاسي باكية، لا



ينفذ شوقي إليك، ولا حزني عليك. ثم نادت: يا أبتابه والباه ثم قالت:

إن حزني عليك حزن جديد	وفؤادي والله صبّ عنيد
كلّ يوم يزيد فيه شجوني	واكتئابي عليك ليس يبيد
جلّ خطبى فبان عنّي عزائي	فكائي كلّ وقت جديد
إن قلبًا عليك يألف	صبراً أو عزاء فأنّه لجيده

ثم نادت: يا أبتابه انقطعت بك الدنيا بأنوارها، وزوت زهرتها وكانت ببهجتك زاهرة فقد أسود نهارها، فكان يحكي حنادسها رطبها وريباسها، يا أبتابه لا زالت آسفة عليك إلى التلاق، يا أبتابه زال غمسي منذ حق الفراق، يا أبتابه من للأراميل والمساكين، ومن للأمة إلى يوم الدين، يا أبتابه أمسينا بعدك من المستضعفين، يا أبتابه أصبحت الناس عناً معرضين، ولقد كنا بك معظمين في الناس غير مستضعفين فأي دمعة لفارقك لا تنهمل، وأي حزن بعدك عليك لا يتصل، وأي جفن بعدك بالنوم يكتحل، وأنت ربيع الدين، ونور النبيين، فكيف للجبال لاتمور، وللبحار بعدك لا تغور، والأرض كيف لم تنزل، رميتك يا أبتابه بالخطب الجليل، ولم يكن الرزية بالقليل، وطرقتك يا أبتابه بالمصاب العظيم، وبالفادح المهول، بكتك يا أبتابه الأملاك، ووقفت الأفلاك فمنبرك بعدك مستوحش، ومحرابك حال من مناجاتك، وقبرك فرح بمواراتك، والجنة مشتاقة إليك وإلى دعائك وصلاتك، يا أبتابه ما أعظم ظلمة مجالسك، فواً أسفًا عليك إلى أن أقدم عاجلاً عليك واثكل أبي الحسن المؤمن أبي ولديك الحسن والحسين وأخيك وولييك وحبيبك ومن ربّيته صغيراً وأخيته كبيراً وأحلي أحبابك وأصحابك من كان منهم ساقوا ومهاجرا وناصراء، والشكل شاملنا، والبكاء قاتلنا، والأسى لازمنا.

ثم زفت زفراً وأتت آنة كادت روحها أن تخرج ثم قالت :

قل صبّري وبان عنّي عزائي
 عين يا عين اسكتي الدمع سحّا
 يا رسول الله يا خيرة الله
 قد بكتك الجبال والوحش جمّا
 وبكاك المجنون والركن و
 وبكاك المحراب والدرس
 وبكاك الاسلام إذ صار في
 لوطى المنبر الذي كنت تعلوه
 يا إلهي عجل وفاطي سريعاً

بعد فقدى لخاتم الأنبياء
 ويک لا تبخلي بفيض الدّماء
 وكهف الأيتام والضّعفاء
 والطير والأرض بعد بكى السماء
 المشعر يا سيدى مع البطحاء
 للقرآن في الصّبح معلنًا والمساء
 الناس غربياً من ساير الغرباء
 علاه الظلام بعد الضّياء
 قد نصت الحياة يا مولائي

قالت: ثم رجعت إلى منزلها وأخذت بالبكاء والعويل ليالها ونهارها وهي
 لا ترقى دمعتها، ولا تهدى زفتها.

واجتمع شيخ أهل المدينة واقبلوا إلى أمير المؤمنين علي عليهما السلام فقالوا له يا أبا
 الحسن إن فاطمة تبكي الليل والنهار فلا أحد منها يتنهأ باللّوم في الليل على فراشنا
 ولا بالنهار قرار على أشغالنا وطلب معايشنا، وإنما نخبارك أن تسألا إماماً أن تبكي ليلاً
 أو نهاراً، فقال حبّاً وكرامـة فأقبل أمير المؤمنين حتى دخل على فاطمة عليهما السلام وهي لا
 تفique من البكاء، ولا ينفع فيها العزاء، فلما رأته سكتت هيمنة له فقال لها: يا بنت
 رسول الله عليهما السلام إن شيخ المدينة يسألوني أن أسألك إماماً أن تبكين أباك ليلاً وإماماً
 نهاراً فقلت يا أبا الحسن ما أقلّ مكثي بينهم وما أقرب مغيبتي من بين أظهرهم،
 فو الله لا أسكـت ليلاً ولا نهاراً أو الحق بأبي رسول الله، فقال لها علي: افعلي يا بنت
 رسول الله عليهما السلام ما بدا لك ثم إنـه عليهما السلام بنـها بيـتا في الـبعـقـعـ نـازـحاـ منـ المـدـنـةـ يـسـمـيـ
 بـيـتـ الـأـحـزـانـ وكانت إذا أصبحـت قدـمتـ الحـسـنـ وـالـحسـينـ أـمـامـهـاـ وـخـرـجـتـ إـلـىـ

البقيع باكية فلا تزال بين القبور باكية، فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين إليها وساقها بين يديه إلى منزتها. ولم تزل على ذلك إلى أن مضى لها بعد أبيها سبعة وعشرون يوماً واعتلت العلة التي توفيت فيها⁽¹¹⁾.

قال الفرطوسي:

لم تزل بعده عليلة جسم	لقليل السلوى وطول البلاء
وهي يغشى من السقام عليها	كل حين من كثرة الإغفاء
لم تفارق فراشكها من نحول	قد براها ضعفاً وطول عناء
وهي تبكي ليلاً نهاراً أباها	بدموع الذكرى بغير انتهاء
قاتل الله قوم سوء بغاة	منعوها عن الأسى والبكاء
آخر جوها من بيتها حين ضجوا	لعليّ من كثرة الإستياء
فاستظللت ظل الأراكية لكن	قطعوها بقسوة وعداء
فأقام الوصي بيته وأسما	ه ببيت الأحزان والأرذاء
فهي تأوي إليه كل نهار	ثم تأتي لبيتها في المساء
لم تزل دأبها النياحة حتى	أسلمتها إلى قسي——الفناء

نعم لقد تنحَّت الزهراء عن البلد في نياحتها على أبيها عليهما صَلَوةُ اللهِ وَخَلْقُهُ وَخَرَجَت بولديها في ملة من نسائها إلى البقيع يندبن رسول الله عليهما صَلَوةُ اللهِ وَخَلْقُهُ في ظل أراكة كانت هناك فلما قطعت بنى لها علي بيته في البقيع كانت تأوى إليه للنياحة يدعى بيت الأحزان وكان هذا البيت يزار في كل خلف من هذه الأمة كما تزار المشاهد المقدسة حتى هدم بأمر الملك عبد العزيز بن سعود لما استولى على الحجاز وهدم المقدسات في البقيع عملا بما يقتضيه مذهب الوهابي وذلك سنة ١٣٤٤ للهجرة (١٢).

لقد دأب آل سعود على محو الآثار الإسلامية في مكة والمدينة: فقد هدم آل

سعود :

- ١ - البيت الذي ولد فيه النبي محمد ﷺ بشعب الهواشم بمكة المكرمة .
- ٢ - هدموا بيت السيدة خديجة أم المؤمنين وأول امرأة آمنت بالرسول ﷺ والرسالة الإسلامية وبذلت كل أموالها في سبيل الدعوة الإلهية .
- ٣ - هدموا البيت الذي ولدت فيه الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء .
- ٤ - هدم بيت أبي بكر ويقع بمحله المسفلة بمكة .
- ٥ - هدم بيت حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ أسد الله وأسد رسوله ويقع بيته في المسفلة بمكة .
- ٦ - هدم بيت الأرقام وهو أول بيت تكونت فيه خلايا الثورة الإسلامية وكان الرسول ﷺ يجتمع فيه مع أصحابه سرا وهذا البيت يقع بجوار الصفا . أما الآن فقد شيد في مكانه قصر أعطى لتاجر الفتواتي السعودية الباطلة عبد الملك بن إبراهيم ليتاجر به وذريته ويفسدون .
- ٧ - هدم قبور الشهداء الواقعة في المعلى بأعلى مكة وبعثروا رفاتها .
- ٨ - هدم قبور الشهداء في بدر .
- ٩ - هدم البيت الذي ولد فيه الحسن والحسين ؓ في المدينة .
- ١٠ - سرقوا الذهب الموجود في القبة الخضراء في المدينة .
- ١١ - دمروا بقيع الغرقد الذي يرقد فيه الأئمة الأربع من أهل البيت وهم الحسن بن علي ووزين العابدين والإمام الباقي والإمام الصادق ؓ، وزوجات النبي ﷺ وبناته وأولاده وجملة كبيرة من أصحابه .
- ١٢ - هدموا بيت الأحزان الذي بناه الإمام على لسيدة النساء فاطمة الزهراء لتباكي على أبيها فيه .



المدينة.

١٣ - طمو المكان الذي ربضت فيه ناقة الرسول ﷺ عند قدومه إلى

١٤ - مكتبات من أثمن المكتبات في العالم أحرقها الهمجية السعودية بمكة والمدينة: فقد أحرق آل سعود "المكتبة العربية" الأثرية الإسلامية التاريخية العلمية التي كانت في مكة المكرمة وهي التي تعد من أثمن المكتبات في العالم إذ لا تقدر بمال أبداً، ولا بمليارات العملات. لقد كان بهذه المكتبة (٦٠,٠٠٠) من الكتب النادرة الوجود الجامعية ل مختلف المناهل العلمية والتاريخية. وفيها (٤٠,٠٠٠) مخطوطة نادرة الوجود من مخطوطات "جاهرية" خطت كمعاهدات بين طغات قريش واليهود وتكشف الغدر اليهودي وعدم ارتباط اليهود بالدين والوطن من قديم الزمان وتكشف مؤامرات اليهود على - النبي محمد ﷺ - وفيها وثائق خطت قبل الثورة المحمدية بمئات السنين وفيها ما يعطي فكرة ممتازة عن تلك الحضارات العربية القديمة.

وفي هذه المكتبة وغيرها من مكتبات المدينة بعض المخطوطات المحمدية التي كتبت بخط النبي محمد في أيام كفاحه السري وهناك ما هو بخط علي بن أبي طالب وأبي بكر وعمر وخالد بن الوليد وطارق بن زياد وعدد من الصحابة، ومن هذه المخطوطات ما يسجل العديد من الخطط الحربية التي أرسلها خالد بن الوليد لعمر بن الخطاب والتي أرسلها - عمر - خالد والتي يظهر بعضها بعض الخلاف الاجتهادي في وجهات النظر.

ومن تلك المخطوطات ما هو مخطوط على جلد الغزلان وعلى فرش من الحجارة وألواح من عظام فخوذ الإبل وغيرها من الوسائل القابلة للكتابة كالألواح الخشبية والفخارية والطين المசهور بالأفران.. والمكتبة العربية التاريخية في مكة المكرمة بالإضافة إلى كونها مكتبة نادرة فهي متحف أيضاً يحتوي على مجموعة آثار ما قبل الإسلام وبعده، وأنواع من أسلحة النبي محمد ﷺ وفيها آخر

الأصنام المعبدة التي حطمتها الشورة المحمدية، مثل اللات، والعزى، ومناة، وهبل.. وغيرها.

ويقول ناصر السعيد: ويحدثنا أحد المشايخ المؤرخين المعاصرين فيقول:
وكنت أزور هذه المكتبة مع والدي قبل الاحتلال السعودي وكان يرتادها مجتمع
من الدارسين، فتقدم بعضهم بشكوى للحسين بن علي يطلبون منه "إحراق بعض
المخطوطات النادرة لأن فيها كفريةات" فقال لهم: (أي الشريف حسين): "إنني
معكم قد لا أؤيد هذه الكفريةات وبعض هذه المخطوطات هي ليست من حقي
أو حكمك أو حق أي كائن من البشر إحراق التاريخ"!

وقال إن في هذه المكتبة وثائق تكشف أصل آل سعود بأنهم من اليهود الذين أسلموا.. وأن فيها مخطوطات بأقلام مجموعة من الصحابة ومنهم عبد الله بن مسعود سجلوا فيها عدداً من الآيات القرآنية الكريمة التي دار الصراع عليها (١٣) لكنهم أبقوا بعض الآثار مثل دار تميم الداري بالمدينة وهو مشهد يزار حتى اليوم، وكذا دار أبي بكر وعثمان، ولكن انهدم بيت الأحزان في بقيع الغرقد لجوارته مراقد أئمة الشيعة عليهما السلام ذلك لأجل أنه قد يؤخذ الجار ب مجرم الجار (١٤):

ذكره الشيخ محمد السماوي في ظرافة الاحلام قال: رأى العلامة الجليل السيد باقر بن الحجة السيد محمد الهندي الإمام المهدى صلوات الله عليه وعلى آباءه الطاهرين فيما يرى النائم ليلة الغدير وهو كثيب حزين مفكر فقال له السيد بعد ان وقع عليه يقبل يديه وقدمية: ملي اراك مفكراً مهموماً وهذه ايام فرح وسرور بيوم الغدير فأجابه الإمام علیه السلام : ذكرت امي الزهراء وحزنها وما جرى عليها ثم انشأ علیه السلام :

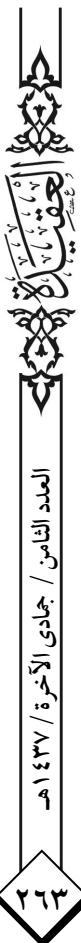
فانتبه السيد يحفظ البيت ونظم قصيدة على وزنه تتضمن حادثة الغدير وما
جرى على امير المؤمنين عَلَيْهِ الْبَشَارَةُ والزهراء صلوات الله عليهما وضمنها هذا البيت:

<p>هو فرعٌ عن جحدٍ نصّ الغدير فليس الأعمى به كالبصير بُ جليلٌ يذيبُ قلب الصبور قد دعرا الطهرَ في الزمانِ القصير يا ابن طه تهنا بطرفِ قرير منعوها من البكاءِ والزفير بسلاوْنَزِرِ ودممع غزير بعدَ بيتِ الأحزانِ بيتَ سرور) تَ والجنتَ قبلَ يوم النشور قد أذيبت بنارِ غيظِ الصدور^(١٥)</p>	<p>كُلُّ غدِيرٍ وقولِ إفكٍ وزورٍ فتبصرٌ تُصرٌ هُدَاكَ إلى الحقِ أفصبراً يا صاحبَ الأمر والخط كم مصابٍ يطُولُ فيه بيانِي كيف من بعدِ حمرة العينِ منها فابكِ وازفر لها فإنَّ عداتها وكأني به يقول ويكيبي (لاتراني أخذتُ لا وعلاما فمتى يا ابنَ أحمِدٍ تنشرُ الطاغو فتداركَ منا بقايا قلوبٍ</p>
--	--

- ٣ -

نشها عليها السلام

لم تشا الزهراء الا ان تكون مميزة حتى في جنازتها صلوات الله عليها فقد
دفنت ليلاً ومع ذلك فقد اعدت لنفسها نعشًا يستر بدنها عن الناظرين، فهي اول
من جعل لها ذلك في الاسلام، عن سليمان بن خالد عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْبَشَارَةُ قال
سألته عن أول من جعل له النعش؟ قال فاطمة بنت رسول الله عَلَيْهِ الْبَشَارَةُ (١٦).



و عن أبي عبد الله عليه السلام فيما جرى بين فاطمة والظالمين لها إلى أن قال : فلما نعيت إلى فاطمة عليه السلام نفسها ، أرسلت إلى أم أيمن وكانت أوثق نسائها عندها وفي نفسها ، فقالت : يا أم أيمن إن نفسي نعيت إلى فادي لي عليا فدعته لها ، فلما دخل عليها قالت له : يا ابن العم أريد أن أوصيك بأشياء فاحفظها على فقال لها : قولي ما أحببت ، قالت له : تزوج فلانة تكون لولدي من بعدي مثلـي ، واعمل نعشـي رأيت الملائكة قد صورـته لي فقال لها على : أريـني كـيف صـورـته ، فأـرـته ذـلـك كـمـا وـصـفـ لها ، وـكـمـا أـمـرـتـ بـهـ ، ثـمـ قـالـتـ فـاـذـاـ أـنـاـ قـضـيـتـ نـجـيـ فـأـخـرـجـيـ مـنـ سـاعـتـكـ أـيـ سـاعـةـ كـانـتـ مـنـ لـيـلـ أـوـ نـهـارـ ، وـلـاـ يـحـضـرـنـ مـنـ أـعـدـاءـ اللـهـ وـأـعـدـاءـ رـسـوـلـهـ لـلـصـلـاـةـ عـلـيـ ، قـالـ عـلـيـ عـلـيـلـأـ أـفـعـلـ . فـلـمـ قـضـتـ نـجـبـهاـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـاـ وـهـمـ فيـ جـوـفـ الـلـلـيـلـ ، أـخـذـ عـلـيـ عـلـيـلـأـ فيـ جـهـازـهاـ مـنـ سـاعـتـهـ كـمـاـ أـوـصـتـهـ ، فـلـمـ فـرـغـ مـنـ جـهـازـهاـ أـخـرـجـ عـلـيـ عـلـيـلـأـ الـجـنـازـةـ وـأـشـعـلـ النـارـ فيـ جـرـيـدـ النـخـلـ ، وـمـشـىـ مـعـ الـجـنـازـةـ بـالـنـارـ ، حـتـىـ صـلـىـ عـلـيـهـاـ وـدـفـنـهـاـ لـيـلـأـ .

و عن ابن عباس قال : مرضت فاطمة مرضًا شديداً فقالت لأسماء بنت عميس ألا ترين إلى ما بلغت فلا تحمليني على سرير ظاهر فقالت : لا لعمري ولكن أصنع نعشاً كما رأيت يصنع بالحبشة قالت : فأرنيها ، فأرسلت إلى جرائد رطبة فقطعت من الأسواق ثم جعلت على السرير نعشاً وهو أول ما كان العرش ، فتبسمت وما رأيت متبسمة إلا يومئذ ثم حملناها ودفناها ليلاً وصلى عليها العباس بن عبد المطلب ونزل في حفرتها هو وعلى والفضل بن العباس .

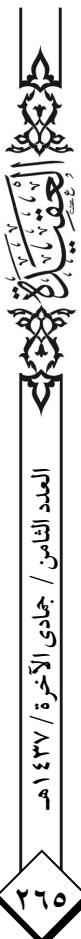
و عن أسماء بنت عميس أن فاطمة عليه السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أني قد استقبحت ما يصنع النساء إنه يطرح على المرأة الشوب فيصفها لمن رأى فقالت أسماء : يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة قال : فدعت بجريدة رطبة فحسنتها ثم طرحت عليها ثوباً فقالت فاطمة : ما أحسن هذا وأجمله لا تعرف به المرأة من الرجل ^(١٧)

لوجه الملكوت علىها السلام

اختصت الزهراء عليها السلام بان الأئمة من ولدها الى يوم القيمة فهي الكوثر المعطى للنبي صلوات الله عليه وآله وسلامه، وهي الليلة المباركة التي فيها يفرق الامر الحكيم امام من بعد امام، وقد انزل عليها من السماء بذلك لوها ملكوتيا فيه تعداد الأئمة وأسمائهم من ولدها عليها السلام.

لقد كان لوها أخضر كأنه كان من عالم الملائكة البرزخي وحضرته كنایة عن توسطه بين بياض نور عالم الجن وسود ظلمة عالم الشهادة وإنما كان مكتوبة أبيض لأنها كان من العالم الأعلى النوري المحيض.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أبي لجابر بن عبد الله الأنباري إن لي إليك حاجة فمتي ينفع عليك أن أخلو بك فأسألتك عنها فقال له جابر أي الأوقات أحببته فخلا به في بعض الأيام فقال له يا جابر أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمي فاطمة بنت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وما أخبرتك به أبي إنه في ذلك اللوح مكتوب فقال جابر أشهد بالله أني دخلت على أمك فاطمة عليها السلام في حياة رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فهنيتها بولادة الحسين فرأيت في يديها لوها أخضر ظننت أنه من زمرد ورأيت فيه كتاباً أبيض شبه لون الشمس فقلت لها بأبي وأمي أنت يا بنت رسول الله ما هذا اللوح فقالت هذا لوح أهداه الله تعالى إلى رسوله صلوات الله عليه وآله وسلامه فيه اسم أبي واسم أبي واسم الأوصياء من ولدي وأعطانيه أبي ليبشرني بذلك قال جابر فأعطيته أمك فاطمة عليها السلام فقرأته واستنسخته فقال أبي فهل لك يا جابر أن تعرضه علي قال نعم فمشى معه أبي إلى منزل جابر فأخرج صحفة من رق فقال يا جابر انظر في كتابك لأقرأ عليك فنظر جابر في نسخته فقرأه أبي بما خالف حرف حرف فقال جابر أشهد بالله أني هكذا رأيته في اللوح مكتوباً. بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لحمد نبيه ونوره. وسفيره وحجابه ودليله نزل به الروح



الأمين من عند رب العالمين عظم يا محمد أسمائي واسكر نعمائي ولا تجحد آلائي
إني أنا الله لا إله إلا أنا قاصل المبارين ومديل المظلومين وديان الدين إني أنا الله لا
إله إلا أنا فمن رجا غير فضلي أو خاف غير عدلي عنده عذاب لا أعذبه أحدا من
العالمين فإيابي فأعبد وعلي فتوكل إني لم أبعث نبيا فأكملت أيامه وانقضت مدتة
إلا جعلت له وصيا وإنني فضلت على الأنبياء وفضلت وصيك على الأوصياء.
وأكرمتك بشبليك وسبطيك حسن وحسين فجعلت حسنا معدن علمي بعد
انقضاء مدة أبيه وجعلت حسينا خازن وحي وأكرمه بالشهادة وختمت له
بالسعادة فهو أفضل من استشهد وأرفع الشهداء درجة جعلت كلمتي التامة معه
وحجتي البالغة إليك عنده بعترته أثيب وأعاقب، أولهم علي سيد العابدين وزين
أوليائي الماضين وابنه شبه جده محمود محمد الباقي علمي والمعدن لحكمتي
سيهلك المرتابون في جعفر الراد عليه كالراد علي، حق القول مني لأكرم من مثوى
جعفر ولأسرنه في أشياعه وأنصاره وأوليائه. انتجب بعده موسى فتنة عميماء
حندس لأن خيط فرضي لا ينقطع وحجتي لا تخفي وأنّ أوليائي يسقون بالكأس
الأوفي من جحد واحدا منهم فقد جحد نعمتي ومن غير آية من كتابي فقد افترى
علي ويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدة موسى عبدي وحبيبي وخيرتي علي
ولي وناصري ومن أضع عليه أعباء النبوة وأمتحنه بالاضطلاع بها يقتله عفريت
مستكبر يدفن في المدينة التي بناها العبد الصالح إلى جنب شر خلقي. حق القول
مني لأسرنه بمحمد ابنه وخليفته من بعده ووارث علمه فهو معدن علمي وموضع
سري وحجتي على خلقي لا يؤمن عبد به إلا جعلت الجنة متواه وشفعته في سبعين
من أهل بيته كلهم قد استوجبوا النار وأختم بالسعادة لابنه علي ولبي وناصري
والشاهد في خلقي وأمياني على وحي أخرج منه الداعي إلى سبيلي والخازن لعلمي
الحسن وأكمل ذلك بابنه (م ح م) درحمة للعالمين عليه كمال موسى وبهاء عيسى
وصبر أيوب فتذل أوليائي في زمانه وتتهاود رؤسهم كما تتهاود رؤس الترك

والديلم فيقتلون ويحرقون ويكونون خائفين مرعوبين وجلين تصبح الأرض بدمائهم ويفشوا الويل والرنة في نسائهم أولئك أوليائي حقا بهم أدفع كل فتنة عمياه حندس وبهم أكشف الزلزال وأدفع الآصار والأغلال أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة. وأولئك هم المهددون قال عبد الرحمن بن سالم قال أبو بصير لو لم تسمع في دهرك إلا هذا الحديث لكفاك، فصنه إلا عن أهله ^(١٨).

وعن أبي جعفر عليه السلام عن جابر بن عبد الله الأنباري قال: دخلت على فاطمة عليها السلام وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها، فعددت اثني عشر آخرهم القائم عليه السلام، ثلاثة منهم محمد وثلاثة منهم علي ^(١٩).

وعن أبي جعفر عن جابر بن عبد الله الأنباري قال: دخلت على فاطمة عليها السلام وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء فعددت اثني عشر آخرهم القائم ثلاثة منهم محمد وأربعة منهم علي عليه السلام ^(٢٠).

و عن جابر الجعفي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقي عليه السلام عن جابر بن عبد الله الأنباري قال: دخلت على فاطمة بنت رسول الله صلوات الله عليه وسلم وقد ادامتها لوح يكاد ضوءه يغشى الا بصر وفيه اثنا عشر اسمًا ثلاثة في ظاهره وثلاثة في باطنه وثلاثة أسماء في آخره وثلاثة أسماء في طرفه فعددتها فإذا هي اثنا عشر قلت: أسماء من هؤلاء؟ قالت: هذه أسماء الأوصياء أولهم ابن عمي وأحد عشر من ولدي آخرهم القائم قال جابر: فرأيت فيه محمد محمد في ثلاثة مواضع وعليها عليا عليا عليا في أربعة مواضع ^(٢١).

مصحفها عليها السلام

ورد في بصائر الدرجات: حدثنا أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد الجمال، عن أحمد بن عمر، عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليهما السلام، فقلت له: إني أسألك جعلت فداك عن مسألة، ليس هنا أحد يسمع كلامي، فرفع أبو عبد الله عليهما السلام ستراً بيبي و بين بيبي آخر فاطلعاً فيه، ثم قال: يا أبا محمد سل عما بدا لك.

قلت: جعلت فداك إن الشيعة يتحدثون أن رسول الله عليهما السلام علياً عليهما السلام
باباً يفتح منه ألف باب.

فقال أبو عبد الله عليهما السلام: يا أبا محمد علام والله رسول الله عليهما السلام الف باب يفتح له من كل باب الف باب، قلت: جعلت فداك، والله هذا العلم، فنكت ساعة في الأرض، ثم قال: إنه لعلم وما هو بذلك، قال: ثم قال: يا أبا محمد، وإن عندنا الجامعة وما يدرىهم ما الجامعة.

قلت: جعلت فداك، وما الجامعة؟

قال: صحيفه طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله عليهما السلام وإملائه من: فلق فيه وخط على بيmine، فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس اليه حتى الارش في الخدش، وضرب بيده إلى فقال: تاذن لي يا أبا محمد؟

قلت: جعلت فداك إنما أنا لك، فاصنع ما شئت.

قال: فغمزني بيده. فقال: حتى أرش هذا كأنه مغضب.

قلت: جعلت فداك، هذا والله العلم.

قال: إنه لعلم، وليس بذلك، ثم سكت ساعة، ثم قال: إن عندنا الجفر وما يدرىهم ما الجفر، مسک شاة أو جلد بغير.

فقلت: جعلت فداك، ما الجفر؟

قال: وعاء أحمر أو أدم أحمر فيه علم النبيين والوصيين.

قلت: هذا والله هو العلم.

قال: إنّه لعلم وما هو بذلك، ثم سكت ساعة، ثم قال: وإنّ عندنا لصحف

فاطمة عليها السلام وما يدرىهم ما مصحف فاطمة!

قلت: وما مصحف فاطمة؟

قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاثة مرات، والله ما فيه من قرآنكم

حرف واحد، إنما هو شيء أملأه الله وأوحى إليها.

قلت: هذا والله هو العلم.

قال: إنّه العلم وليس بذلك، قال: ثم سكت ساعة ثم قال: إنّ عندنا لعلم ما
كان وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة.

قلت: جعلت فداك، هذا والله هو العلم.

قال: إنّه لعلم وما هو بذلك.

قلت: جعلت فداك، فأي شيء هو العلم.

قال: ما يحدث بالليل والنهر الامر بعد الامر والشيء بعد الشيء إلى يوم
القيمة (٢٢).

ومن بيان هذا الحديث: إنّ الله تعالى لما خلق محمداً وآل محمد من نور
عظمته، وهم أول من صدر عن مشيته تشعشع نورهم، فخلق من شعاعه سائر
الخلق، وانهى علم ذلك كله إليهم، لأنّ الشعاع لا يغيب عن المنير.

وكان مما خلق: أمور كثيرة تشتمل على أفراد جزئية وأحكام شخصية تظهر
في الكون على التدرج، وتسمى هذه الكليات باعتبار طبعها ولونها ووضعها وأشباه
تلك من مشخصاتها بأسماء مختلفة، فبعض منها يسمى: الجفر الأحمر، وبعض
منها: الجفر الأبيض، وبعض: مصحف فاطمة، وبعضها: الناموس، وبعضها: كتاب
علي عليها السلام وهكذا.

وينسب كتابة بعض ذلك أو إملائه إلى جبريل، وبعضها إلى ملك آخر وبعضها إلى إملاء رسول الله عليه السلام وخط على علبة، وعلى هذا القياس. لأن هؤلاء أيديه وأسبابه تعالى في إجراء تلك الأمور، ووضع كل منها في موضعها اللائق بها، والله تعالى جعل محمدًا وآله عليه وعليهم السلام: خزان تلك الكتب وحافظتها، فهي كلها بعين منهم دائمًا.

فإذا أرادوا عليه السلام: الإخبار عن حكم أو وقوع أمر في العالم أو لا وقوعه أخبروا عن كتابه الجامع الذي ذلك الحكم أو الامر مذكور فيه بما هو عليه، لأنّه هو محل بيان ذلك الشيء المخبر عنه، فيقولون الحكم الفلاسي في الجفر كذا، أو في الجامعة كذا، وهكذا.

وربما يُظْهِرُونَ بعض تلك الكتب الكونية لبعض الناس في صورة الكتاب التدويني فإذا شاءوا ذلك، من باب ظهور جبريل في صورة البشر ومشاهدة بعض الناس له مع عدم تخلية مقامه الذي هو فيه، وعدم خروجه عن صورته الأصلية، فإن للشيء الواحد مراتب ومقامات يظهر في كل منها بلباس ذلك المقام، وتلك المرتبة ألا ترى الشيء الواحد كيف يوجد في عالم التعقلات بكسوة المعاني، وفي عالم النفوس بكسوة الصور النفسانية وفي عالم القوى الباطنية: بكسوة الصور الظلية المثالية الشبحية وفي عالم الظاهر بكسوة الأجسام والجسمانيات وهو حقيقة واحدة في حد نفسه. فعلى هذا القياس تلك الكتب المذكورة، فإن كونها في صورة الأعيان: لا ينافي كونها في صورة الألفاظ والنقوش المكتوبة، فافهم.

وبالجملة: كليات العالم كتب جامعة مملوءة علمًا والاثمة عليه حفظتها يخبرون عنها بما شاءوا، كما كانوا يخبرون عن الكتاب التدويني، اعني: القرآن وينسبون علمهم إليه، ومثال ذلك: إنك تكون لك دراهم ودنانير وجواهر مختلفة تضعها في خزائنه اللائقة بها، فإذا أردت استعمال شيء منها مددت يدك وأخذتها من تلك الخزينة وانفقتها في الوجه الذي تريد.

وأنت إن اتقنت هذه القاعدة، عرفت وجه نزول جبريل على النبي ﷺ وإثباته بالأخبار.

فإِنَّ مِنْ تُلْكَ الْخَزَائِنَ مَا جَعَلَ اللَّهُ خَازِنَهُ جَبَرِيلُ الَّذِي هُوَ أَحَدُ خَادِمِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا أَرَادَ الْأَخْبَارَ عَمَّا فِي تُلْكَ الْخَزِينَةِ أَمَرَ اللَّهُ جَبَرِيلَ بِوَاسْطَةِ حَقِيقَةِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِفَتْحِ بَابِ تُلْكَ الْخَزِينَةِ وَإِتِيَانِ مَا فِيهَا وَإِنْزَالِهِ إِلَى مَقَامِ الْإِخْبَارِ وَالْإِعْلَامِ،
وَابْطَائِهِ أَهْيَانًا إِنَّمَا هُوَ لِغَمْدَ وَقْتِ الإِظْهَارِ وَالْإِخْبَارِ، وَحَزَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ
لَحْوَ وَقْعِ الْبَدَاءِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. فَخَذِهِ قَصِيرَةً مِنْ طَوِيلَةٍ، فَقَدْ وَاللَّهُ كَشَفَ لَكَ
فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْقَلَائِلِ بَابًا يُنْفَتَحُ مِنْهُ أَلْفُ بَابٍ.

والى هذا الذي ذكرنا أشاروا عليهم السلام بقولهم: ما يتقلب جناح طائر في الهواء: إلا ولنا فيه علم.

وذلك بأنه ما من شيء في الوجود: إلا هو دليل لشيء، ومدلول عليه لشيء، وأصل الشيء، وفرع عن شيء، وسبب لشيء، ومبني عن شيء، وهكذا فما من شيء: إلا ويدل على شيء، وهو العلم المدوع فيه، ففهم أسرار أئمتك وحكمتهم إن شاء الله تعالى، تكون من الحكماء السابقين والعلماء الراسخين.

وَأَمّا قُولُهُ عَلَيْهِ الْبَشَارَةُ فِي مَصْحَفٍ فاطِمَةً: إِنَّهُ مَا فِيهِ مِنْ قُرْآنٍ كَمْ حِرْفٌ وَاحِدٌ؛ مَعْ كُونِ الْقُرْآنِ فِيهِ تَبْيَانٌ كُلَّ شَيْءٍ، فَقَدْ قِيلَ فِيهِ تَوجِيهاتٌ رِّيكِكَةٌ، وَالذِّي يُلِيقُ بِلِحْنِ كَلِمَاتِهِمْ عَلَيْهِ الْبَشَارَةُ: هُوَ إِنَّمَا الْمَرَادُ بِهِ إِنَّهُ لَيْسُ فِيهِ مِنْ الْقُرْآنِ مِنْ حِيْثُ أَنَّهُ قُرْآنٌ حِرْفٌ وَاحِدٌ، بِمَعْنَى: أَنَّهُ لَيْسُ مِنْ الْكَلِمَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَإِنَّمَا هِيَ كَلِمَاتٍ: أَمْلَاهَا جَبَرِيلٌ لَفاطِمَةَ عَلَيْهِ الْبَشَارَةُ كَمَا فِي الْحَدِيثِ.

ومثال ذلك: إنك تقول لصاحبك في كتاب لك، إن كتابي هذا ليس فيه من كتابك حرف واحد، وتريد به أنه ليس بمنقول ومكتسب وملقط من كتابك وإنما هو من إملائي.

وهذا لا ينافي كون معنى ما في الكتابين متحداً، بل ولفظه كذلك قوله توجيهات أخرى، عدلنا عن ذكرها لإدائها إلى التطويل.

وأما قوله عليه السلام العلم ما يحدث بالليل والنهار، لنشير هنا إلى بيانه على سبيل الإجمال.

وهو: إن الله تعالى حيث انتهى علم جميع الأشياء مما كان وممما سيكون إلى الأئمة عليه السلام، لم يكونوا ليستغنوا بذلك عن الله عزوجل، بل هم مع ذلك محتاجون دائماً إلى إمداد جديد من مبدئ الفيض، بحيث لو لم يصل إليهم هذا المدد، لم يبق لأنفسهم ذكر في الوجود، فضلاً عن علمهم الماض إليهم، فعلومهم محتاجة في البقاء دائماً إلى إحداث من الله جديد، وهو معنى الزيادة التي وردت في الأخبار، وليس زبادة عن نقصان، وإنما هو بقاء كمال على ما هو عليه، فهم عليه السلام كاملون في كل حين، وإن كمالهم لا يتناهى، ولا يمكن في الإمكان: كمال فوق ذلك؛ لكن بإحداث جديد منه تعالى له في كل آن، وهو معنى العلم الذي يحدث بالليل والنهار الأمر بعد الأمر، والشيء بعد الشيء، ولا ينافي ذلك علمهم بما كان وبما يكون فافهم ثم فافهم.

ومن تأمل في شأن هذا العلم الجديد عرف أنه هو الذي ينبغي أن يعده علمًا ويعتنى بشانه كما قال عليه السلام للراوي

هذا خلاصة حقيقة أمر مصحف فاطمة عليه السلام ولا بد من أن نذكر تمام الاخبار المتعلقة بهذا المصحف.

ومنها عن عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: تظهر الرنادقة في سنة ثمان وعشرين ومائة وذلك أني نظرت في مصحف فاطمة عليه السلام، قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: إن الله تعالى لما قبض نبأه عليه السلام دخل على فاطمة عليه السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عزوجل فأرسل الله إليها ملكا

يسلي غمها و يحدثها، فشكك ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي فأعلمهته بذلك فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كلما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفا قال: ثم قال: أما إنه ليس فيه شيء من الحلال.

منها ما في روضة الكافي عن أبي بصير قال: بينما رسول الله ﷺ جالساً إذ
أقبل أمير المؤمنين عائلاً فقال له رسول الله ﷺ: إن فيك شبهة من عيسى بن مريم
إلى قوله: قال: فغضب الحارث بن عمرو الفهدى فقال اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك ان بني هاشم يتوارثون هرقلًا بعد هرقل فأرسل علينا حجارة من
السماء أو أئتنا بعذاب اليم "أنزل الله عليه مقالة الحارث ونزلت هذه الآية ﴿وَمَا
كَانَ اللَّهُ لِيَعْدَبْهُمْ وَأَنَّتِ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَفِرُونَ﴾ ثم قال له: يا عمرو
أما تبت واما رحلت، فقال: يا محمد بل تجعل لساير قريش شيئاً مما في يديك فقد
ذهبت بنو هاشم بمكرمة العرب والعمجم، فقال النبي ﷺ ليس ذلك إلي، ذلك إلى
الله تبارك وتعالى فقال: يا محمد قلبي ما يتبعني على التوبة ولكن ارحل عنك
فدعوا براحته فركبها فلما صار بظهر المدينة أنته جندلة فرضت هامته ثم أتى
الوحى إلى النبي ﷺ فقال: ﴿سَأَلَ سَائِلٍ بِعَذَابٍ واقعٌ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللَّهِ
ذِي الْمَعَاجِرِ﴾ قال: قلت: جعلت فداك أنا لا نقرءها هكذا؟ فقال: هكذا والله نزل
بها جبرئيل على محمد ﷺ وهكذا هو والله مثبت في مصحف فاطمة عائلاً فقال
رسول الله ﷺ لمن حوله من المنافقين: انطلقوا إلى أصحابكم فقد اتاهم ما استفتح
له (٢٣)

وفي خبر فقال: قال له: فمصحف فاطمة؟ فسكت طويلا ثم قال: إنكم
لتبخثون عما تريدون وعما لا تريدون، إن فاطمة مكثت بعد رسول الله ﷺ
خمسة وسبعين يوما وقد كان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل يأتيها
فيحسن عزاءها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما
يكون بعدها في ذريتها، وكان على عرش يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة.

وعن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبدالله عليهما السلام يقول: تظهر زدقة سنة
ثمانية وعشرين ومائة وذلك لاني نظرت في مصحف فاطمة، قال: فقلت: وما
مصحف فاطمة؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى لما قبض نبيه عليهما السلام دخل على فاطمة
من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عزوجل، فأرسل إليها ملكا يسلي عنها غمها
ويحدثها، فشككت ذلك إلى أمير المؤمنين عليهما السلام فقال لها: إذا أحسست بذلك وسمعت
الصوت قولي لي، فأعلمته فجعل يكتب كما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفا،
قال: ثم قال: أما إنه ليس من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون.

وعن الحسين بن أبي العلاء عن الصادق عليهما السلام قال ان عندي الجفر الابيض
قال قلت فاي شيء فيه قال زبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى ومصحف ابراهيم
والحلال والحرام ومصحف فاطمة ما أزعم ان فيه قرآن وفيه ما يحتاج الناس فيه
الينا ولا نحتاج إلى أحد حتى فيه الجلدة ونصف الجلدة وربع الجلدة وأرش الحدش
وعندي الجفر الاحمر قال قلت وأي شيء في الجفر الاحمر قال السلاح وذلك انما
يفتح للدم يفتحه صاحب السيف للقتل ^(٢٤)

وكان الإمام الصادق عليهما السلام يقول: علمنا غابر وزبور ونكت في القلوب و
نقر في الأسماع وإن عندنا الجفر الاحمر والجفر الابيض ومصحف فاطمة عليهما السلام
وعندنا الجامعة فيها جميع ما تحتاج الناس إليه، فسئل عن تفسير هذا الكلام فقال:
أما الغابر فالعلم بما يكون، وأما المزبور فالعلم بما كان، وأما النكت في القلوب
 فهو الاهام. وأما النقر في الأسماع فحديث الملائكة عليهما السلام نسمع كلامهم ولا نرى
أشخاصهم. وأما الجفر الاحمر فوعاء فيه سلاح رسول الله عليهما السلام ولن يخرج حتى
يقوم قائمنا أهل البيت، وأما الجفر الابيض فوعاء فيه توراة موسى وإنجيل عيسى
وزبور داود وكتب الله الأولى. وأما مصحف فاطمة عليهما السلام فيه ما يكون من حادث
 وأناس من يملكون إلى أن تقوم الساعة، وأما الجامعة فهو كتاب طوله سبعون ذراعا
إملاء رسول الله عليهما السلام من فلق فيه وخط على ابن أبي طالب عليهما السلام بيده، فيه والله



جميع ما تحتاج إليه الناس إلى يوم القيمة حتى أن فيه أرش الحدش والمجلدة ونصف الجلدة^(٢٥).

وقال محمد بن عبد الله: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام نحوا من ستين رجلاً وهو وسطنا فجاء عبد الخالق بن عبد ربه فقال له كنتم مع إبراهيم بن محمد جالساً فذكروا أنك تقول أن عندنا كتاب على عليه السلام فقال لا والله ما ترك على كتاباً وإن كان ترك على كتاباً ما هو إلا أهابين ولوددت أنه عند غلامي هذا فما أبابي عليه قال فجلس أبو عبد الله عليه السلام ثم أقبل علينا فقال ما هو والله كما يقولون إنهم جفرون مكتوب فيهما لا والله إنهم لأهابان عليهما أصواتهما وأشعارهما مد حوسين كتبنا في أحدهما وفي الآخر سلاح رسول الله عليه السلام وعندنا والله صحيفه طولها سبعون ذراعاً ما خلق الله من حلال وحرام إلا وهو فيها حتى أن فيها أرش الحدش وقام بظفره على ذراعه فخط به وعندنا مصحف فاطمة أما والله ما هو بالقرآن^(٢٦).

وعن سليمان بن خالد قال قال أبو عبد الله عليه السلام إن في الجفر الذي يذكروننه لما يسوءهم لأنهم لا يقولون الحق والحق فيه فليخرجوا قضايا على عليه السلام وفرائضه إن كانوا صادقين وسلوهم عن الحالات والعمات وليخرجوا مصحف فاطمة فإن فيه وصية فاطمة ومعه سلاح رسول الله عليه السلام إن الله يقول أيتها بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم أنكم صادقين^(٢٧).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال إن عبد الله بن الحسن بزعم أنه ليس عنده من العلم إلا ما عند الناس فقال صدق والله وعبد الله بن الحسن ما عندنا من العلم إلا ما عند الناس ولكن عندنا والله الجامعه فيها الحلال والحرام وعندنا الجفر أيدرى عبدالله بن الحسن ما الجفر مسک معز ام مسک شاة وعندنا مصحف فاطمة عليه السلام أما والله ما فيه حرف من القرآن ولكنه املأه رسول الله وخط على كيف يصنع عبد الله إذا جاء الناس من كل افق ويسألونه^(٢٨).

تسبيحها عليها السلام

كان السبب في تشرع هذا التسبيح حسبما ورد في الروايات من طرق الخاصة والعامة: أن أمير المؤمنين عليه السلام اقترح على فاطمة الزهراء عليه السلام أن تسأل أباها رسول الله عليه عليه السلام خادماً لكي تعينها على أعمال المنزل بعدما لاحظ الإمام عليه السلام على زوجته الطاهرة عليه السلام أمارات التعب والضرر. وقد نقلت هذه القصة بطرق عدّة باختلافات.

روى الشيخ الصدوقي في كتاب علل الشرائع عن أبي الورد بن ثمامه عن علي (صلوات الله عليه) أنه قال لرجل من بنى سعد: «ألا أحدثك عنني وعن فاطمة؟ إنه كانت عندي وكانت من أحب أهله إليه، وإنها استقى بالقربة حتى أثر في صدرها، وطحنت بالرحي حتى مجلت^(٢٩) يداها، وكسرت البيت حتى اغترت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألته خادماً يكفيك حرّ ما أنت فيه من هذا العمل؟ فأتت النبي عليه السلام فوجدت عنده حُدّاثاً فاستحثت فانصرفت، قال: فعلم النبي عليه السلام أنها جاءت لحاجة، قال: فجدا علينا ونحن في لفافنا^(٣٠)، فقال: السلام عليكم، فسكتنا واستحينا لمكاننا، ثم قال: السلام عليكم فسكتنا، ثم قال: السلام عليكم، فخشينا إن لم نرد عليه ان ينصرف. وقد كان يفعل ذلك: يسلم ثلاثة فإن أذن له وإنما انصرف. فقلت: وعليك السلام يا رسول الله أدخل. فلم يعد ان جلس عند رؤوسنا فقال: يا فاطمة ما كانت حاجتك أمس عند محمد، قال: فخشيت إن لم تتجبه أن يقوم، قال: فأخرجت رأسي فقلت: أنا والله أخبرك يا رسول الله: إنها استقى بالقربة حتى أثر في صدرها، وجررت بالرحي حتى مجلت يداها، وكسرت البيت حتى اغترت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألته خادماً يكفيك حرّ ما أنت فيه من هذا العمل.

قال ﷺ: أَفَلَا أَعْلَمُكُمَا مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنَ الْخَادِمِ؟ إِذَا أَخْذَتُمَا مِنْ أَمْكَمَا فَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، قَالَ: فَأَخْرَجْتَ رَأْسَهَا فَقَالَتْ: رَضِيتَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، رَضِيتَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، رَضِيتَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ»^(٣١).

وروى الشيخ النعمان بن محمد بن منصور في كتابه دعائم الإسلام عن علي عليهما السلام قال: «أهدي بعض ملوك الأعاجم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيقاً»^(٣٢)، فقلت لفاطمة: استخدمي من رسول الله خادماً. فأتته، فسألته ذلك، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا فاطمة، أعطيك ما هو خيرٌ من ذلك: تكبرين الله بعد كل صلاة ثلاثاً وثلاثين تكبيرة، وتحمددين الله ثلاثاً وثلاثين تحميده، وتسبحين الله ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، ثم تختمين ذلك بلا إله إلا الله، فذلك خيرٌ من الدنيا وما فيها ومن الذي أردت فلزمت صلوات الله عليها هذا التسبيح بعقب كل صلاة ونسب إليها»^(٣٣).

وذكر ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب: ان النبي ﷺ كان عنده
أسارى، فأمر علي عليه السلام ان تطلب من النبي خادماً، فدخلت على النبي
وسلمت عليه ورجعت، فقال أمير المؤمنين عليه السلام «مالك؟» قالت: والله ما استطعت
أن أكلم رسول الله ﷺ من هيبيته» فانطلق علي معها إلى النبي ﷺ فقال لها:
«جاءت بكم حاجة؟» فقال علي: مغاراتها، فقال: لا، ولكنني أبيعهم وانفق أثمانهم
على أهل الصفة» وعلمهما تسبيح الزهراء. (ثم قال ابن شهر آشوب):

«إِنَّهَا لَمَا ذَكَرْتَ حَالَهَا وَسَأَلْتَ الْجَارِيَةَ بَكَى رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا فَاطِمَةُ، وَالَّذِي بَعَثْنِي بِالْحَقِّ إِنَّ فِي الْمَسْجِدِ أَرْبِعَمِائَةَ رَجُلٍ مَاهِمُ طَاعَمٌ وَلَا ثِيَابٌ وَلَوْلَا خَشِيقِي خَصْلَةً لَأُعْطِيَتِكَ مَا سَأَلْتَ: يَا فَاطِمَةُ إِنِّي لَا أَرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ عَنِّي أَجْرُكَ إِلَى الْجَارِيَةِ، وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَخْصِمَكَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدِيِ اللَّهِ إِذَا طَلَبَ حَقَّهُ مِنْكَ، ثُمَّ عَلِمَهَا صَلَاةُ التَّسْبِيحِ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مُضِيَتْ تَرِيَدِيْنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ الدُّنْيَا، فَأَعْطَانَا اللَّهُ ثَوَابَ الْآخِرَةِ» (٣٤).

وقد نقل العامة هذه القصة بعبارات متفاوتة إجمالاً وتفصيلاً مع اختلاف ظاهر في تعين كيفية التسبيح المزبور ووقته، ولا بأس -من باب إتمام الفائدة- في سرد جملة من الروايات المنقولة من طرقيهم بقصد هذا التسبيح.

ذكر العلامة سبط بن الحوزي في كتابه (تذكرة الخواص) هذا الخبر بإسناده عن عطاء بن السائب عن أبيه عن علي عليهما السلام قال: «لم يكن لنا خادم، فقلت لفاطمة: والله لقد سنته^(٣٥) حتى اشتكيت صدري، وقد جاء الله أباك بسيي فاذهي واستخدميه خادماً. فقالت: والله وأنا قد طحنت حتى مجلت يداي. ثم أتت النبي عليهما السلام فاستحيت أن تطلب منه شيئاً فرجعت. فأخذها علي عليهما السلام وجاء إلى رسول الله عليهما السلام فذكرا له ما لقيا فقال: إلا تحبان أن أعطيكما ما هو أفضل مما سألكما؟ قلنا: بلى. قال: تسبحان الله ثلاثة وثلاثين وتحمدان ثلاثة وثلاثين وتكبران أربعاً وثلاثين دبر كل صلاة، وإذا أويتما إلى فراشكما تسبحان».»^(٣٦)

ونقل ابن حجر العسقلاني الخبر بنفس الاسناد المتقدم هكذا: عن عطاء بن السائب عن أبيه عن علي عليهما السلام: ان رسول الله عليهما السلام لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة ادم حشوها ليف، ورداءين وسقاءين. قال: فقال علي لفاطمة يوماً: «القد سنته حتى اشتكيت صدري، وقد جاء الله بسيي فاذهي واستخدمي: فقالت: وأنا والله قد طحنت حتى مجلت يداي، فاتت النبي عليهما السلام فقال: ما جاء بك أي بنية؟ فقالت جئت لأسلم عليك، واستحيت أن تسأله ورجعت. فاتياه جميعاً، فذكر له على حالمها. قال: لا والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة»^(٣٧) تتلوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم. ولكن أبيع وأنفق عليهم أثمانهم. فرجعوا فأتاهما وقد دخلوا في قطيفتيهما^(٣٨)، إذا غطيا رؤسهما بدت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما انكشفت رؤوسهما فشارا^(٣٩)، فقال: مكانكم! ألا أخبركم بخير مما سألكماني؟ فقال: بلى. فقال: كلمات علمين جبريل: تسبحان في دبر كل صلاة عشرة وتحمدان عشرة وتكبران عشرة، وإذا أويتما إلى فراشكما تسبحان ثلاثة وثلاثين

واحـمـدا ثـلـاثـاً وـثـلـاثـيـن وـكـبـراً أـرـبـعـاً وـثـلـاثـيـن. قـالـ عـلـيـ: فـوـالـلـهـ مـا تـرـكـتـهـنـ مـنـذـ عـلـمـيـهـنـ، وـقـالـ لـهـ اـبـنـ الـكـوـاءـ^(٤٠) وـلـاـ لـيـلـةـ صـفـيـنـ. فـقـالـ: قـاتـلـكـمـ اللـهـ يـاـ أـهـلـ الـطـرـوـقـ، وـلـاـ لـيـلـةـ صـفـيـنـ»^(٤١).

ونقل هذا الخبر أيضاً مع اختلاف طفيف أحمد زيني دحلان في السيرة النبوية (٤٢).

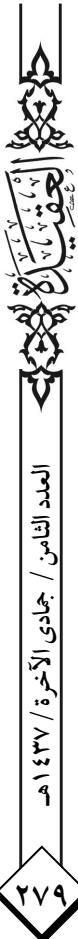
ونقل الشيخ ولی الدين الخطيب في مصابيح الانوار القصة عن كل من
عليه السلام وأبی هریرة هكذا:

عن علي: «ان فاطمة أتت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحمة، وبلغها أنَّه جاءه رقيق فلم تصادفه، فذكرت ذلك لعائشة، فلما جاء أخبرته عائشة، قال: فجاءنا وقد أخذنا مصاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال: على مكانكما، فجاء فقعد بياني وبينها حتى وجدت برد قدمه على بطني، فقال: ألا أدللكما على خير مما سألتم؟ إذا أخذتما مضجعكم فسبحا ثلاثةً وثلاثين وأحمدوا ثلاثةً وثلاثين وكبراً أربعاءً وثلاثين، فهو خير لكم من خادم». (متفق عليه)»^(٤٣).

وعن أبي هريرة قال: جاءت فاطمة إلى النبي ﷺ تسأله خادماً فقال: «ألا أدلّك على ما هو خير من خادم؟ تسبّحين الله ثلاثاً وتلاثين وتحمدّين الله ثلاثاً وتلاثين وتكبرّين الله أربعاً وتلاثين عند كل صلاة، وعند منامك - رواه مسلم» (٤٤).

وأورد القصة كذلك أبو نعيم الأصبهاني بطريقين في كتابه حلية الأولياء:

عن عطاء بن السائب عن ابيه عن علي عليهما السلام: « ان فاطمة كانت حاملةً
فكانت إذا خبزت أصاب حرف التنور بطنها، فأتت النبي ﷺ تسألة خادماً، فقال:
لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع، أو لا أدللك على خير من
ذلك؟ فإذا أوريت إلى فراشك تسبحين الله تعالى ثلاثة وثلاثين وتحمدينه ثلاثة



وثلاثين وتكبرينه أربعاً وثلاثين»^(٤٥).

وفيه كذلك عن ابن عبد قال: قال علي: يا ابن عبد ألا أخبرك عنني وعن فاطمة: كانت ابنة رسول الله ﷺ وأكرم أهله عليه، وكانت زوجتي، فجررت بالرحاء حتى أثرت الرحاء بيدها، واستقفت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها، وقمت البيت حتى أغترت ثيابها، وأوقدت القدر حتى دفست ثيابها وأصابتها من ذلك ضر»^(٤٦).

والخبر الأخير غير تام، ويدل عليه خبر علل الشرائع الذي ذكرناه أولاً، ومنه يتبين ان الرجل الذي من بني سعد يدعى بابن عبد، وفيه نظر: لأن ابن عبد هذا تصحيف ابن أغيد، ولقد أخطأ الذهبي إذ اعتبره غير معروف نقلأً عن ابن المديني، والصواب هو ما ذكره العسقلاني في تهذيب التهذيب، حيث صرّح بأن اسمه علي بن أغيد، وهو من أصحاب أمير المؤمنين ع.

ونقل القسطلاني في كتابه إرشاد الساري القصة عن الحكم بن عتبة، قال: «حدثنا علي: ان فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرحى، فأتى النبي ﷺ فانطلقت فلم تجده، فوجدت عائشة فأخبرتها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة، فجاء النبي ﷺ وقد أخذنا مصاحبنا فذهبنا لأقوم فقال: على مكانكم، فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، وقال: ألا أعلمكم ما سألتمني: إذا أخذتما مصاحبكم تكبراً أربعاً وثلاثين وتسبحوا ثلاثة وثلاثين وتحمدا ثلاثة وثلاثين، فهو خير لكم من خادم»^(٤٧).

جهاز عرسها عليها السلام

في خبر زواج الزهراء، قال علي: فأقبل رسول الله ﷺ فقال: يا أبا الحسن انطلق الان فبع درعك واتئني بشمنه حتى اهيء لك ولا بنتي فاطمة ما يصلحهما.



قال علي: فانطلقت في بعثته بأربعينات درهم سود هجرية. وقبض رسول الله ﷺ قبضة من الدرهم، ودعا بأبي بكر فدفعها إليه، وقال: يا أبا بكر اشتري بهذه الدرهم لابني ما يصلح لها في بيتها، وبعث معه سلمان وبلا بلا ليعيناه على حمل ما ياشتريه.

قال أبو بكر: وكانت الدرهم التي أعطانيها ثلاثة وستين درهماً فانطلقت واشتريت فراشاً من خيش مصر محسوا بالصوف، ونطعاً من أدم، ووسادة من أدم حشوها من ليف النخل، وعباءة خيرية، وقربة للماء وكيزاناً، وجراراً، ومطهرة للماء، وستر صوف رقيقة، وحملناه جميعاً حتى وضعناه بين يدي رسول الله ﷺ فلما نظر إليه بكى وجرت دموعه، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم بارك لقوم جل آنitem الحزف قال علي: ودفع رسول الله ﷺ باقي ثمن الدرع إلى أم سلمة فقال: اتركي هذه الدرهم عندك، ومكثت بعد ذلك شهراً لا أعاود رسول الله ﷺ في أمر فاطمة بشيء استحياء من رسول الله ﷺ، غير أنني كنت إذا خلوت برسول الله يقول لي: يا أبا الحسن ما أحسن زوجتك وأجملها، ابشر يا أبا الحسن فقد زوجتك سيدة نساء العالمين. قال علي: فلما كان بعد شهر دخل علي أخي عقيل بن أبي طالب فقال: يا أخي ما فرحت بشيء كفرحي بتزويجك فاطمة بنت محمد ﷺ، يا أخي بما بالك لا تسأل رسول الله ﷺ يدخلها عليك فنقر عيناً باجتماع شملكما، قال علي: والله يا أخي إني لاحب ذلك وما يمنعني من مسأله إلا الحياة منه فقال: أقسمت عليك إلا قمت معي. فقمنا نريد رسول الله ﷺ فلقينا في طريقنا أم أيمن مولاً رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك لها فقالت: لا تفعل ودعنا نحن نكلمه فإن كلام النساء في هذا الأمر أحسن وأوقع بقلوب الرجال. ثم انشئت راجعة فدخلت إلى أم سلمة فأعلمتها بذلك وأعلمت نساء النبي ﷺ فاجتمعن عند رسول الله ﷺ وكان في بيت عائشة، فأحدقن به وقلن: فديناك بآبائنا وامهاتنا يارسول الله قد اجتمعنا لأمر لو أن خديجة في الاحياء لقرت بذلك عينها.

قالت ام سلمة: فلما ذكرنا خديجة بـكى رسول الله ﷺ ثم قال: خديجة وأين مثل خديجة، صدقتنى حين كذبى الناس وآزرتني على دين الله وأعانتنى عليه بما لها، إن الله عزوجل أمرني أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب الزمرد لا صخب فيه ولا نصب.

قالت ام سلمة: فقلنا يا آبائنا وامهاتنا يا رسول الله إنك لم تذكر من خديجة أمرا إلا وقد كانت كذلك غير أنها قد مضت إلى ربها. فهناها الله بذلك وجمع بيننا وبينها في درجات جنته ورضوانه ورحمته، يا رسول الله وهذا أخوك في الدنيا وابن عمك في النسب على بن أبي طالب يحب أن تدخل عليه زوجته فاطمة ؑ، وتجمع بها شملة، فقال: يا ام سلمة فما بال علي لايسألني ذلك؟ فقلت: يمنعه الحياة منك يا رسول الله. قالت ام أيمن: فقال لي رسول الله ﷺ: انطلقي إلى علي فائتنيني به فخرجت من عند رسول الله ﷺ فإذا علي ينتظري ليسألي عن جواب رسول الله ﷺ، فلما رأني قال: ما وراك يا ام أيمن قلت: أجب رسول الله ﷺ.

قال ﷺ: فدخلت عليه وقمن أزواجه فدخلن البيت وجلست بين يديه مطراً نحو الأرض حياء منه، فقال أتحب أن تدخل عليك زوجتك؟ فقلت وأنا مطرقاً: نعم فداك أبي وامي فقال: نعم وكراهة يا أبي الحسن أدخلها عليك في ليلتنا هذه أو في ليلة غد إن شاء الله، فقمت فرحاً مسروراً وأمر ﷺ أزواجه أن يزين فاطمة ؑ ويطيبنها ويفرشن لها بيته ليدخلنها على بعلها، ففعلن ذلك. وأخذ رسول الله ﷺ من الدرارهم التي سلمها إلى ام سلمة عشرة دراهم فدفعها إلى وقال: اشتري سمنا وتمرا وأقطا، فاشترت وأقبلت به إلى رسول الله ﷺ، فحسر عن ذراعيه ودعا بسفرة من أدم وجعل يشدح التمر والسمن ويخلطهما بالاقط حتى اخذه حيساً. ثم قال يا علي ادع من أحبت، فخرجت إلى المسجد وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون، فقلت: أجيئوا رسول الله ﷺ، فقاموا جميعاً وأقبلوا نحو النبي ﷺ، فأخبرته أن القوم كثير، فجلل السفرة بمنديل وقال: أدخل علي عشرة

بعد عشرة، ففعلت وجعلوا يأكلون ويخرون ولا ينقص الطعام، حتى لقد أكل من ذلك الحيس سبع مائة رجل وامرأة ببركة النبي ﷺ.

قالت أم سلمة: ثم دعا بابنته فاطمة، ودعا بعلي عليهما السلام، فأخذ علياً بيمنيه وفاطمة بشماله، وجمعهما إلى صدره، فقبل بين أعينهما، ودفع فاطمة إلى علي وقال: يا علي نعم الزوجة زوجتك، ثم أقبل على فاطمة وقال: يا فاطمة نعم البعل بعلك، ثم قام يمشي بينهما حتى أدخلهما بيتهما الذي هيئ لهما، ثم خرج من عندهما فأخذ بعضاً من الباب فقال: طهر كما الله وطهر نسلكما أنا سلم لمن سالمكما وحرب لمن حاربكما، أستودعكما الله واستخلفه عليكم. قال علي: ومكث رسول الله عليه عليهما السلام وبعد ذلك ثلاثة لا يدخل علينا فلما كان في صبيحة اليوم الرابع جاءنا ليدخل علينا، فصادف في حجرتنا أسماء بنت عميس الخثعمية، فقال لها: ما يفكك هنا وفي الحجرة رجل؟ فقالت: فداك أبي واي إن الفتاة إذا زفت إلى زوجها تحتاج إلى امرأة تتعاهدها وتقوم بحاجتها فأقمت هنا لأقضي حاجات فاطمة عليهما السلام، قال عليهما السلام: يا أسماء قضى الله لك حاجات الدنيا والآخرة.

قال علي عليهما السلام: وكانت غداة قرة وكتت أنا وفاطمة تحت العباء فلما سمعنا كلام رسول الله عليه عليهما السلام لأسماء ذهبنا لنقوم فقال: بمحني عليكم لا تفترقا حتى أدخل عليكم، فرجعنا إلى حالنا ودخل عليهما السلام وجلس عند رؤوسنا، وأدخل رجليه فيما بيننا، وأخذت رجله اليمنى فضممتها إلى صدره، وأخذت فاطمة رجله اليسرى ضممتها إلى صدرها، وجعلنا ندفع رجليه من القر. حتى إذا دفتنا قال: يا علي ائتنى بکوز من ماء فأتيته، فتفل فيه ثلاثة وقرأ فيه آيات من كتاب الله تعالى، ثم قال: يا علي اشربه، واترك فيه قليلاً ففعلت ذلك فرش باقي الماء على رأسه وصدره، وقال: أذهب الله عنك الرجس يا أبا الحسن وطهرك تطهيراً. وقال: ائتنى بما جديد، فأتيته به، فعل كما فعل وسلمه إلى ابنته عليهما السلام وقال لها: اشربي واتركي منه قليلاً، ففعلت فرشه على رأسها وصدرها، وقال عليهما السلام: أذهب الله عنك الرجس

وطهرك طهيرا، وأمرني بالخروج من البيت. وخلا بابنته، وقال: كيف أنت يا بنية وكيف رأيت زوجك؟ قالت له: يا أبه خير زوج إلا أنه دخل علي نساء من قريش وقلن لي: زوجك رسول الله ﷺ من فقير لا مال له فقال لها: يا بنية ما أبوك بفقير ولا بعلك بفقير، ولقد عرضت علي خزائن الأرض من الذهب والفضة فاخترت ما عند ربى عز جل. يابنية لو تعلمين ما علم أبوك لسمحت الدنيا في عينيك. يا بنية ما ألتوك نصحا أن زوجتك أقدمهم سلما، وأكثرهم علما وأعظمهم حلما. يا بنية إن الله عز وجل اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختار من أهلها رجلين: فجعل أحدهما أباك والآخر بعلك، يا بنية نعم الزوج زوجك لا تعصي له أمرا. ثم صاح بي رسول الله ﷺ: ياعلي، فقلت لبيك يا رسول الله: قال: ادخل بيته، والطف بزوجتك، وارفق بها فان فاطمة بضعة مني، يؤلمي ما يؤلمها ويسرني ايسرها، أستودعكما الله واستخلفه عليكم. قال علي عليه السلام: فوالله ما أغضبتها، ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عزوجل، ولا أغضبني، ولا عصت لي أمرا، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عني الهموم والاحزان ^(٤٨).

- ٨ -

نحلتها عليها السلام

قال الإمام الرضا علیه السلام في كلام له مع المؤمنون والعلماء في فضل أهل البيت من القرآن: وأما الخامسة: فقول الله عزوجل: "وات ذا القربي حقه" خصوصية خصمهم الله العزيز الجبار بها واصطفاهم على الامة. فلما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ قال: ادعوا لي فاطمة فدعوها له. فقال: يا فاطمة. قالت: لبيك يا رسول الله. فقال: إن فدك لم يوجدف عليها بخيل ولا ركاب وهي لي خاصة دون المسلمين. وقد جعلتها لك لما أمرني الله به فخذيها لك ولولدك .

عن جحيل بن دراج عن ابي عبد الله عليه السلام قال: اتت فاطمة ابا بكر ت يريد فدكا، قال: هات اسود او احمر يشهد بذلك ؟ قالت فأتت بام ايمن فقال لها بم تشهدين قالت: اشهد ان جبرائيل اتي حمدا فقال: ان الله يقول «وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ» فلم يدر محمد عليه السلام من هم فقال: يا جبرائيل سل ربك من هم ؟ فقال: فاطمة ذو القربي فأعطتها فدكا، فرعموا ان عمر محا الصحيفة وقد كان كتبها ابو بكر (٤٩).

عن ابي عبد الله عليه السلام قال: لما قبض رسول الله عليه السلام وجلس ابو بكر مجلسه بعث الى وكيل فاطمة صلوات الله عليها فاخوجه من فدك فاتت فاطمة عليه السلام فقالت: يا ابا بكر ادعیت انك خليفة ابي وجلست مجلسه وانك بعثت الى وكيلي فأخرجته من فدك وقد تعلم ان رسول الله عليه السلام صدق بها علي وان لي بذلك شهودا فقال لها: ان النبي عليه السلام لا يورث، فرجعت الى علي عليه السلام فأخبرته فقال: ارجع اليه وقولي له: زعمت ان النبي لا يورث وان سليمان بن داود ورث يحيى بن زكريا وكيف لا ارث انا ابي. فقال عمر انك معلمة، قالت: وان كنت معلمة فإنما علمني ابن عمي وبعلي فقال ابو بكر: فان عائشة تشهد وعمر ايضا سمعا رسول الله عليه السلام وهو يقول ان النبي لا يورث ؟ فقالت: هذا اول شهادة زور شهدا بها في الاسلام، ثم قالت: فان فدكاً إنما هي صدق بها علي رسول الله عليه السلام ولي شاهد بذلك بينه فقال لها: هلمي بيتنك ؟ قال فجاءت بام ايمن وعلى عليه السلام فقال ابو بكر يا ام ايمن انك سمعت من رسول الله عليه السلام يقول في فاطمة ؟ فقالا سمعنا رسول الله عليه السلام يقول ان فاطمة سيدة نساء اهل الجنة، ثم قالت ام ايمن: فمن كانت سيدة نساء اهل الجنة تدعى ما ليس لها ؟ وانا امرأة من اهل الجنة ما كنت اشهد الا بما سمعت من رسول الله عليه السلام فقال عمر: دعينا يا ام ايمن من هذه القصص باي شيء تشهدين، فقالت: كنت جالسة في بيت فاطمة عليه السلام ورسول الله عليه السلام جالس حتى نزل عليه جبرائيل فقال: يا محمد قم فان الله تبارك وتعالى امرني ان اخط اليك فدكا بجناحي،



فقام رسول الله ﷺ مع جبرائيل لما لبث ان رجع، فقالت فاطمة يا ابه اين ذهبت؟ فقال خط جبرائيل لي فدكا بجناحه وحد لي حدودها، فقلت: يا ابه اني اخاف العيلة وال الحاجة من بعدك فتصدق بها علي، فقال هي صدقة عليك، فقضتها، قالت: نعم، فقال رسول الله: يا ام ايمن اشهدني ويما علي اشهد، فقال عمر: انت امرأ ولا نجيز شهادة امرأة وحدها، واما علي فيجر الى نفسه، فقامت مغضبة وقالت: اللهم انهمما ظلما ابنة محمد نبيك حقها فاشدد وطأتك عليهما، ثم خرجت، وحملها علي على اثان عليه كساء له محمل فدار بها اربعين صباحا في بيوت المهاجرين والانصار، والحسن والحسين عليهما السلام معها وهي تقول: يا عشر المهاجرين والانصار انصروا الله فاني ابنة نبيكم، وقد بايعتم رسول الله ﷺ يوم بايعتموه ان تمنعوا ذريته ما تمنعون منه افسركم وذراريكم، فنوا رسول الله يبعثكم، قال فما اعانتها ولا اجابها ولانصرها، فقال فانتهت الى معاذ بن جبل فقالت: يا معاذ اني جئتكم متنصرا وقد بايعد رسول الله ﷺ على ان تنصره وذريته وتمنعه ما تمنع منه نفسك وذرتك، وان ابا بكر قد غصبني على فدك واخرج وكيل منها، قال فمعي غيري، قالت لا ما اجابني احد قال: فاين ابلغ انا من نصرتك، قال فخرجت من عنده ودخل ابنته فقال: ما جاء بابنة محمد إليك؟ قال جاءت تطلب نصري على ابي بكر فانه اخذ منها فدكا، قال فما اجبتها به؟ قال: قلت وما يبلغ من نصري انا وحدي، قال فأبكيت ان تنصرها؟ قال: نعم: فأي شيء قالت لك؟ قال: قالت لي: والله لا نازعتك الفصيح من رأسي حتى ارد على رسول الله ﷺ قال فقال: انا والله لا نازعتك الفصيح من رأسي حتى ارد على رسول الله اذا لم تحب ابنة محمد ﷺ ، قال وخرجت فاطمة عليهما السلام من عنده وهي تقول: والله لا اكلمك كلامه، حتى اجتمع انا وانت عند رسول الله ﷺ ثم انصرفت فقال لها علي: ائت ابا بكر وحده فانه ارق من الآخر، وقولي له ادعى مجلس ابي وانك خليفته وجلست مجلسه ولو كانت فدك لك ثم استوهدتها منك لوجب ردتها علي، فلما اته وقالت له ذلك قال:

صدق، قال فدعا بكتاب فكتبه لها بفديك فقال فخرجت والكتاب معها، فلقيتها عمر فقال: يا بنت محمد ما هذا الكتاب الذي معك؟

قالت كتاب كتبه لي ابو بكر بفداك، فقال هلمي الي ؟ فأبى ان تدفعه اليه... فمزقه (٥٠).

قال الشيخ صالح الكواز:

وَمُحَمَّدٌ مَلْقِي بْنُ كَفَّافٍ	الْوَاثِبِيُّونَ لِظَلَمِ آلِ مُحَمَّدٍ
فِي طَولِ نُوحِ الدَائِمِ وَحَنِينَ	وَالْقَائِلِيُّونَ لِفَاطِمَةِ آذِيَتِنَا
بَظْلُ أُوراقِ لَهَا وَغَصَّونَ	وَالْقَاطِعِيُّونَ إِرَاكَةً كَيْمَا تَقِيلَ
لَمْ يَجِدْ مَعَ لَوَاهَ شَمْلَ الدِّينِ	وَجَمِيعِي حَطِيبٌ عَلَى الْبَيْتِ الَّذِي
وَالْمَسْطَيِّينَ لَهَا أَعْزَّ جَنِينَ	وَالْدَاخْلِيُّونَ عَلَى الْبَتْوَلَةِ بَيْتِهَا
وَالْطَهْرِ تَدْعُو خَلْفَهُمْ بَرْنِينَ	وَالْقَائِدِيُّونَ إِمَامَهُمْ بَنْجَادَهِ
رَأْسِيْ وَأَشْكَو لِلإِلَهِ شَجُونِي	خَلْوَةِ ابْنِ عَمِّيْ أَوْ لِأَكْشَفِ لِلَّدُعَا
بِالْفَضْلِ عَنْ دَلَلَةِ إِلَّا دُونِي	مَا كَانَ نَاقَةً وَفَصِيلَهَا
هُوَ فِي النَوَائِبِ مَا حَيَّيْتُ قَرِينِي	أَيِ الرَّازِيَا اتْقَيِّي بِتَجَلِّدِ
أَمْ كَسْرُ ضَلَاعِيْ أَمْ سَقْوَطِ جَنِينِي	فَقْدِي أَبِيْ أَمْ غَصَّبَ بَعْلِيْ حَقَّهِ
أَمْ جَهْلَهُمْ قَدْرِيْ وَقَدْ عَرَفُونِي	أَمْ أَخْذَهُمْ إِرَثِيْ وَفَاضِلَ نَحْلَتِيْ
وَسَأْلَتَهُمْ حَقَّهِيْ وَقَدْ نَهَرُونِي	قَهْرَوْا يَتِيمِيْكَ الْحَسِينَ وَصَنْوَهِ

وعن أبي عبدالله عَلَيْهِ الْمُبَارَكَةُ قال: لما بُويعَ لابي بكر واستقام له الامر على جميع المهاجرين والانصار بعث إلى فدك فاخر ج وكيل فاطمة بنت رسول الله عَلَيْهِ الْمُبَارَكَةُ منها



فجاءت فاطمة ظاهرًا إلى أبي بكر، فقالت يا أبا بكر منعتي عن ميراثي من رسول الله وأخرجت وكيلي من فدك وقد جعلها لي رسول الله ﷺ بأمر الله، فقال لها هاتي على ذلك شهودا فجاءت بأم أيمن فقالت لا اشهد حتى احتج يا أبا بكر عليك بما قال رسول الله ﷺ فقالت أنسدك الله، ألسنت تعلم أن رسول الله ﷺ قال إن أم أيمن من أهل الجنة؟ قال بلى، قالت فاشهد أن الله أوحى إلى رسول الله ﷺ **﴿وَاتِّ الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾** فجعل فدك لفاطمة بأمر الله وجاء على ظاهرًا فشهد بمثل ذلك فكتب لها كتاباً بفديه ودفعه إليها فدخل عمر فقال ما هذا الكتاب؟ فقال أبو بكر: إن فاطمة أدعوك في فدك وشهدت لها أم أيمن وعلى فكتبت لها بفديه، فأخذ عمر الكتاب من فاطمة فمزقه وقال هذا فيء المسلمين وقال أوس ابن الحдан وعائشة وحفصة يشهدون على رسول الله ﷺ فإنه قال: إنا معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة فان عليا زوجها يجر إلى نفسه، وأم أيمن فهي امرأة صالحة لو كان معها غيرها لنظرنا فيه، فخرجت فاطمة ظاهرًا من عندهما باكية حزينة فلما كان بعد هذا جاء على ظاهرًا إلى أبي بكر وهو في المسجد وحوله المهاجرون والأنصار، فقال:

يا أبا بكر! لم منعت فاطمة ميراثها من رسول الله؟ وقد ملكته في حياة رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: هذا فيء المسلمين فان أقمت شهوداً ان رسول الله ﷺ جعله لها وإنما لا حق لها فيه، فقال أمير المؤمنين ظاهرًا يا أبا بكر تحكم فيما بخلاف حكم الله في المسلمين؟ قال لا قال فان كان في يد المسلمين شيء يملكونه ادعني أنا فيه من تسأل البيينة؟ قال: إياك كنت تسأل البيينة على ما تدعيه على المسلمين، قال فإذا كان في يدي شيء وادع فيهم المسلمين فتسألني البيينة على ما في يدي! وقد ملكته في حياة رسول الله ﷺ وبعد ذلك ولم تسأل المسلمين البيينة على ما ادعوا على شهوداً كما سألتني على ما ادعني عليهم! فسكت أبو بكر ثم قال عمر يا علي دعنا من كلامك فانا لا نقوى على حجاجك

فان أتيت بشهود عدول وإلا فهو فيء المسلمين لا حق لك ولا لفاطمة فيه . فقال أمير المؤمنين عليه السلام يا ابا بكر تقرأ كتاب الله ؟ قال نعم قال فاخبرني عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُظَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فيمن نزلت أفيينا أم في غيرنا ؟ قال بل فيكم قال فلو أن شاهدين شهدا على فاطمة بفاحشة ما كنت صانعا ؟ قال كنت اقيم عليها الحد كما اقيم على سائر المسلمين قال كنت إذا عند الله من الكافرين، قال: ولم ؟ قال: لأنك ردت شهادة الله لها بالطهارة وقبلت شهادة الناس عليها كما ردت حكم الله وحكم رسوله ان جعل رسول الله عليه السلام لها فدكاً وقبضته في حياته ثم قبلت شهادة أعرابي بايل على عقبه عليها فأخذت منها فدك وزعمت انه فيء المسلمين وقد قال رسول الله عليه السلام

البينة على من ادعى واليمين على من ادعى عليه!!

قال: فدمدم الناس وبكى بعضهم فقالوا صدق والله علي ورجع علي عليه السلام إلى منزله (٥١).

قال الشيخ عبد المنعم الفرطوي:

شجونٌ تستهل لها الدموع	وتحرق من لوعجهما الضلوع
وقفتُ على البقىع فسال طرفى	وقلبي فالدموع هي النجيع
كأنَّ مصيبة الزهراء بيَتُ	بقلبي للأسى وهو البقىع
أمثلُ الْبَضْعَةِ الْزَّهْرَاءِ تُحْفَى	ويعرفا قبرها وهو الرفيع
ويغصب حقها جهراً وتؤذى	بحيث وصيَّةُ الْهَادِي تُضيَع
تصدَّعَنِ الْبَكَاءُ عَلَى أَيْهَا	فتحبس في محاجرها الدموع
وتقطَّعُ الْأَرَاكَةُ حِينَ تَأْوِي	لظل غصونها كافٌ قطيع
ويحرق بيتها بالنار حقداً	ويهتك ستراها وهو المنبع

في سقط حملها وهو الشفيع
 وينبغ بين ثدييها النجيع
 بهامن كف لاطمها تشيع
 وما في المسلمين لها سماع
 وكل مصيبة خطب فظيع
 حشاشة قلبها وهو المروع
 ويكسر ضلعها بالباب عصراً
 ويدمي صدرها المسمار كسرًا
 وحمرة عينها للحشر تبقى
 تنوح فتسمع الشكوى وتدعوا
 مصائب بالفظاعة قد تناهت
 قضت ألمًا من الزهراء فيها

لقد كانت فدك حدود الولاية لاهل البيت ولم تكن كما يتصور بعضهم
 ضيعة زراعية صغيرة، عن علي بن أسباط قال: لما ورد أبو الحسن موسى عليه السلام على
 المهدي رأه يرد المظالم فقال: يا أمير المؤمنين ما بال مظلمتنا لا ترد؟ فقال له: وما
 ذاك يا أبي الحسن؟ قال: إن الله تبارك وتعالى لما فتح على نبيه عليه السلام فدكاً وما والاه،
 لم يوجد عليه بخيل ولا ركب فأنزل الله على نبيه عليه السلام ﴿وَاتِّ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ فلم
 يدر رسول الله عليه السلام من هم، فراجع في ذلك جبرئيل وراجع جبرئيل عليه السلام رب
 فأوحى الله إليه أن ادفع فدك إلى فاطمة عليه السلام، فدعاهما رسول الله عليه السلام فقال لها: يا
 فاطمة إن الله أمرني أن أدفع إليك فدك، فقالت: قد قبلت يا رسول الله من الله
 ومنك. فلم يزل وكلؤها فيها حياة رسول الله صلى الله عليه فلما ولـي أبو بكر
 أخرج عنها وكلاءها، فأـتـهـ فـسـأـلـهـ أـنـ يـرـدـهـ عـلـيـهـ، فـقـالـ لـهـ: اـتـيـنـيـ بـأـسـوـدـ أوـ أـحـمـرـ
 يـشـهـدـ لـكـ بـذـلـكـ، فـجـاءـتـ بـأـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـيـلـاـ وـأـمـيـنـ فـشـهـدـاـ لـهـ فـكـتـبـ لـهـ بـتـرـكـ
 التـعـرـضـ، فـخـرـجـتـ وـالـكـتـابـ مـعـهـاـ فـلـقـيـهـاـ عـمـرـ فـقـالـ: مـاـ هـذـاـ مـعـكـ يـاـ بـنـتـ مـحـمـدـ؟
 قـالـتـ كـتـبـهـ لـيـ اـبـنـ أـبـيـ قـحـافـةـ، قـالـ: أـرـيـنـيـهـ فـأـبـتـ، فـانـتـزـعـهـ مـنـ يـدـهـ وـنـظـرـ فـيـهـ،
 ثـمـ تـفـلـ فـيـهـ وـمـحـاـهـ وـخـرـقـهـ، فـقـالـ لـهـ: هـذـاـ لـمـ يـوـجـفـ عـلـيـهـ أـبـوـكـ بـخـيـلـ وـلـاـ رـكـبـ؟
 فـضـعـيـ الـحـبـالـ فـرـقـبـاـ (٥٢)، فـقـالـ لـهـ الـمـهـدـيـ: يـاـ أـبـيـ الـحـسـنـ حـدـهـاـ لـيـ، فـقـالـ: حـدـ منـهـاـ
 جـبـلـ أـحـدـ، وـحدـ منـهـاـ عـرـيـشـ مـصـرـ، وـحدـ منـهـاـ سـيـفـ الـبـحـرـ وـحدـ منـهـاـ دـوـمـةـ الـجـنـدـلـ،

فقال له، كل هذا ؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين هذا كله، إن هذا كله مما لم يوجد على أهله رسول الله ﷺ بخيل ولا ركاب، فقال كثير، وأنظر فيه ^(٥٣):

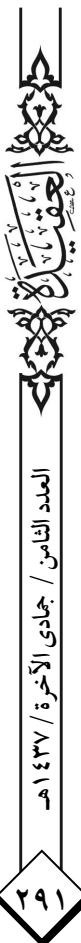
وفي كتاب أخبار الخلفاء أن هارون الرشيد كان يقول لموسى بن جعفر: خذ
فديك حتى أردها إليك، فيأتي حتى ألح عليه فقال عائلاً لا آخذنـ إلا بحدودها قال:
وما حدودها؟ قال: إن حدودتها لم تردها قال: بحق جدك إلا فعلت؟ قال: أما الحد
الأول فعدن، فتغير وجه الرشيد وقال: أيها، قال: والحد الثاني سمرقند، فاربد وجهه
قال: والحد الثالث افريقية فاسود وجهه وقال: هيـ^(٥٤) قال: والرابع سيف البحر ما
يلي الجزر وارمينية قال الرشيد: فلم يبق لنا شيء، فتحول إلى مجلسـ، قال موسى: قد
أعلمتك أنـي إن حدودتها لم تردها فعند ذلك عزم على قتلـه

وفي رواية ابن أسباط أنه قال: أما الحد الأول: فعريش مصر، والثاني دومة الجندي، والثالث: أحد والرابع: سيف البحر، فقال هذا كله، هذه الدنيا فقال عليهما هذا كان في أيدي اليهود بعد موت أبي هالة فأفأعده الله على رسوله، بلا خيل ولا ركاب، فأمره الله أن يدفعه إلى فاطمة عليهما السلام (٥٥).

9

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

كان النبي ﷺ قد بني لنفسه بيتاً شرقي المسجد ملاصقاً له سكناً مع ابنته فاطمة وبنى هناك أيضاً بيوتاً اسكنها أزواجاً وبنى لعلي عليه السلام بيتاً بجنب البيت الذي تسكنه عائشة وهو الذي دفن فيه النبي صلى الله ثم عاد إلى ذلك البيت وسكنته فاطمة معه حتى توفيت وفيه ولد الحسن والحسين وسائر أولاد علي من فاطمة عليهم السلام وبقيت الصخرة التي ولدت عليها الحسينين ظاهرة بعد



الحاقد بيتها بالمسجد يعرفها أهل البيت.

وفي كتاب وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: أنسد يحيى عن عيسى بن عبد الله عن أبيه أن بيت فاطمة في الزور الذي في القبر بينه وبين بيت النبي خوخة. والزور الموضع المزور شبه المثلث في جهة الشام قال واسند عن عمر بن علي بن عمر بن علي بن الحسين ان بيت فاطمة في موضع الزور مخرج النبي ﷺ وكانت فيه كوة إلى بيت عائشة فكان رسول الله ﷺ إذ قام إلى المخرج اطلع من الكوة إلى فاطمة فعلم خبرهم فدخلت عائشة المخرج في جوف الليل فأبصرت المصباح عندهم وذكر كلاما وقع بينهما فلما أصبحوا سالت فاطمة النبي ﷺ ان يسد الكوة فسدها

إلى أن قال: ويشهد لذلك اي كون موضع بيت فاطمة في الزور ما أنسد يحيى عن مسلم عن ابن أبي مريم ان عرض بيت فاطمة إلى الأسطوانة التي خلف الأسطوانة المواجهة للزور وكان بابه في المربعة التي في القبر

قال: وقد أنسد أبو غسان عن مسلم بن سالم قال عرس علي بفاطمة إلى الأسطوانة التي خلف الأسطوانة المواجهة للزور وكانت داره في المربعة التي في القبر قال سليمان وقال مسلم لا تنس حظك من الصلاة إليها فإنه باب فاطمة التي كان علي يدخل إليها منه وقد رأيت حسن بن زيد يصل إلى إليها.

ثم حكى عن ابن شبة ان عليا عليه السلام اتخذ بالمدينة دارين أحدهما دخلت في مسجد رسول الله ﷺ والأخرى دار علي التي بالبقع .

ثم حكى عن رزين انه لما كان زمن الوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز عامله على المدينة ومكة بعث الوليد إليه بمال وقال له من باعلك فأعطه ثمنه ومن أبي فاهدم عليه واعطه المال فان أبي ان يأخذه فاصرفه إلى الفقراء. ثم ذكر عدة روایات انه بينما الوليد بن عبد الملك يخطب على منبر رسول الله ﷺ إذ انكشف الكلة عن بيت فاطمة عليه السلام وإذا حسن بن حسن يسرح لحيته فلما نزل

أمر بهدم بيت فاطمة أخذه الغضب لكونه لم يسمع خطبته بل جلس في بيته
يسرح لحيته فامر بهدمه فأبى حسن بن حسن وفاطمة بنت الحسين وهي زوجته
زوجه إياها عمه الحسين عليهما السلام ان يخرجوا منه فامر بهدمه عليهم وهما فيه وولدهما
فنزع أساس البيت وهم فيه فلما نزع أساس البيت قالوا لهم ان لم تخرجوا قوضناه
عليكم فخرجوا منه .

وفي رواية أخرى إن الوليد كان يبعث كل عام رجلا إلى المدينة فيأتيه
بأخبارها فقال له مرة لقد رأيت أمرا لا والله ما لك معه سلطان كنت في مسجد
النبي عليهما السلام فإذا منزل عليه كلة فلما أقيمت الصلاة رفعت الكلة وصل صاحبه فيه
بصلاوة الامام وهو ومن معه ثم أرخت الكلة واتي بالغداء فتغدو وإذا هو يأخذ
المرأة والكحل فسألت فقيل إن هذا حسن بن حسن قال ويحك فما أصنع هو بيته
وبيت امه فما الحيلة قال تزيد في المسجد وتشتري هذا المنزل فكتب إلى عمر بن
عبد العزيز بذلك فأبوا أن يخرجوا منه، فأرسل إليهم الوليد بن عبد الملك: إن لم
تخرجوا منه هدمته عليكم فأبوا أن يخرجوا، فأمر بهدمه عليهم .. فخرجوا منه
حتى أتوا دار علي نهاراً .

وقال حسن والله لا نأكل له ثمنا ابدا وأعطاهم به سبعة آلاف أو ثمانية
آلاف دينار فكتب إلى الوليد بذلك فامر بهدمه وإدخاله وطرح الشمن في بيت
المال ففعل وانتقلت منه فاطمة بنت الحسين بن علي (٥٦)

وروى ما حاصله أن بيت فاطمة الزهراء لما أخرجوا منه فاطمة بنت حسين
وزوجها حسن بن حسن وهدموا البيت بعث حسن بن حسن ابنه جعفرا وكان
أسن ولده فقال له: اذهب ولا تبرح حتى يبنوا فتنظر الحجر الذي من صفتة كذا
وكذا... فجاء جعفر إلى أبيه فأخبره فخر ساجدا وقال: ذلك حجر كان النبي عليهما السلام
إذا دخل إلى فاطمة.. أو كانت فاطمة تصلي إليه.

قال يحيى: ورأيت الحسين بن عبد الله بن الحسين ولم أر فينا
رجلاً أفضل منه إذا اشتكي شيئاً من جسده كشف الحصى عن الحجر فيمسح به
ذلك الموضع، ولم يزل ذلك الحجر تراه^(٥٧)

ان هذا البيت له صورة في الملوك تبين عظمة النازلين به وعلو شأنهم
وعجيبة مقامهم في العوالم.

عن بشير الدهان قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك أي الفصوص
أفضل لأركبه على خاتمي؟ قال: يا بشير أين أنت عن العقيق الأحمر والعقيق
الأصفر والعقيق الأبيض فإنها ثلاثة جبال في الجنة، أما الأحمر فمطل على دار
رسول الله، وأما الأصفر فمطل على دار فاطمة، وأما الأبيض فمطل على دار أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام الدور كلها واحدة تخرج منها ثلاثة أنهار من تحت
كل جبل نهر أشد بردًا من الشلوج وأحلى من العسل وأشد بياضاً من اللبن، لا يشرب
منها إلا محمد وآلته وشيعتهم، ومصبها كلها واحد ومجراها من الكوثر. وإن هذه
الثلاثة جبال تسبح الله وتقدسه وتحمد وتحمد وتسغف لمحبي آل محمد، فمن
تختم بشئ منها من شيعة آل محمد لم ير إلا الخير والحسنى والسعنة في الرزق
والسلامة من جميع أنواع البلاء، وهو أمان من السلطان الجائر ومن كل ما يخافه
الإنسان ويحذر منه^(٥٨).

وما عرف من باب فاطمة من جهة الشرق والموجود إلى يومنا هذا في
المسجد النبوي فهو الباب الشرقي لل بصورة النبوية الشريفة وإنما سمي فيما بعد
باب فاطمة لجواره لبيت فاطمة. ولعل الباب الجنوبي لبيت فاطمة كان باباً داخلياً
تطل منه إلى بيتها هو الباب الذي خصصه الله تعالى لعائشة.

وأما الباب الرئيسي لبيت علي وفاطمة فهو الباب الغربي المطل على المسجد
كان موقعه قرب الزاوية الجنوبية الغربية لبيت حيث حدد أن باب بيتهما يقع



عند مربعة القبر والتي فيها أسطوانة جبرئيل عليه السلام وهي في الحائط الذي أقامه عمر بن عبد العزيز عند منحرف الصفحة الغربية ويقال لها ايضاً: أسطوانة مربعة القبر لأنها في ركن المربعة الغربية الشمالية عند منحرف الصفحة الغربية من الحائط الذي بناه عمر بن عبد العزيز إلى جهة الشمال في صف أسطوانة الوفود بينهما الأسطوانة اللاحقة بالشباك

وأما عن حدود بيت علي وفاطمة فقال السمهودي: إن بيت فاطمة عليها السلام كان فيما بين مربعة القبر وأسطوانة التهجد، وقالوا أيضاً: شمالي بيت عائشة، وذكرت الروايات السابقة: أن باب بيت علي عليه السلام كان شارعاً في المسجد، وقيل أن حجرة أم سلمة كانت على جهة الشرق من بيت علي وفاطمة ، فعلم من هذا كله أن بيت علي وفاطمة يحده من الغرب المسجد النبوى، ومن الشرق حجرة أم سلمة، ومن الشمال الخوخة الفاصلة بينه وبين حجرة عائشة ، ومن الشمال الطريق المؤدى إلى باب جبرائيل، وينتهي جدار بيتهما عند أسطوانة التهجد وهو المحراب الذى كان يتهجد ويصلى النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه فيه.

ومن ناحية أخرى فإن الزاوية الجنوبية الغربية من هذا البيت تقع عند أسطوانة مقام جبرائيل، كما أن البيت من جهة الشرق يوازي الباب الثاني للمسجد والذي أحدهه عمر بن عبد العزيز عام ٩١ هـ وسيبي بباب علي ثم أبدل فيما بعد بشباك وهو الآن أول شباك على يمين الخارج من باب جبرائيل.

أولادها عليها السلام

لقد شرف الله الزهراء بذرية طاهرة عجيبة فكلخلق تنسب الى ابائهم الـ ولدـها فـانـهم يـنـسـبـونـ الىـ جـدـهـمـ تـشـرـيفـاـ وـتـعـظـيمـاـ لـهـمـ وـلـامـهـمـ

عن المنصور يعفي الدوايني قال: حدثني أبي عن أبيه علي عن جده قال: كنت أنا وأبي العباس عند رسول الله ﷺ إذ دخل علي فقال النبي ﷺ : إن الله أشد حبا لهذا مني إن الله جعل ذرية كلنبي من صلبه وجعل ذريتي في صلب علي^(٥٩).

وذكر في الميزان أيضا في ترجمة عثمان بن أبي شيبة أحاديث عنه من جملتها حديث: لكل بني أب عصبة ينتمون إليه إلا ولد فاطمة أنا عصبتهم^(٦٠).

وعن عمر، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: كل قوم عصبتهم لأبيهم الا أولاد فاطمة، فاني أنا عصبتهم وأنا أبوهم^(٦١).

وعن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول كل بني أنتي فان عصبتهم لأبيهم ما خلا بني فاطمة فإني أنا عصبتهم وأنا أبوهم^(٦٢).

لكن الامة ابت الا ان تدفع هذه الميزة لفاطمة ظلما في ولدها، ففي حديث طويل للإمام الكاظم ع عليه السلام مع هارون العباسي قال له: ما لكم لا تنسبون إلى علي هو أبوكم وتنسبون إلى رسول الله ﷺ وهو جدكم؟ فقال موسى عليه السلام: إن الله نسب المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام إلى خليله إبراهيم عليهما السلام بأمه مريم البكر البتول التي لم يمسها بشر في قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاؤُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَرَزَكْرِيَا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلُّ مَنْ الصَّالِحِينَ﴾ فنسبه بأمه وحدها إلى خليله إبراهيم عليهما السلام، كما نسب داود وسلمان وأيوب وموسى وهارون عليهما السلام بأبائهم وأمهاتهم فضيلة لعيسى عليهما السلام ومنزلة رفيعة بأمه وحدها. وذلك قوله في قصة مريم عليهما السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَظَهَرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ بال المسيح من غير بشر. وكذلك اصطفى ربنا فاطمة عليهما السلام وطهرها وفضلها على نساء العالمين بالحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة^(٦٣).

حدث عاصم بن بهلة قال: اجتمعوا عند الحجاج فذكر الحسين بن علي عليهما السلام، فقال الحجاج: لم يكن من ذرية رسول الله ﷺ ، وعنه يحيى بن يعمر فقال

له: كذبت أيها الأمير، فقال: لتأتيني على ما قلت بينة ومصداق من كتاب الله تعالى أو لا أقتلكنك، فقال: ﴿وَمَنْ ذُرِّيَّهُ دَاوِدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾ فأقر الله تعالى أن عيسى من ذرية إبراهيم بأمه، والحسن بن علي من ذرية محمد ﷺ بأمه، قال: صدق، فما حملك على تكذيب في مجلس؟ قال: ما أخذ الله على الأنبياء ليبينه للناس ولا يكتمنه، قال الله تعالى: ﴿فَبَنَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْهُ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، قال: فنفاه إلى خراسان^(٦٤).

عن أبي حرب بن أبي الأسود قال: أرسل الحجاج إلى يحيى بن يعمر فقال:
بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي ﷺ تجده في كتاب الله، وقد
قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده؟ قال: أليس تقرأ سورة الأنعام ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوِدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ حتى بلغ ﴿وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾ قال: بلى، قال: أليس عيسى من ذرية
إبراهيم وليس له أب؟ قال: صدقـت^(٦٥).

كان سعيد بن سرح مولى كريز بن حبيب بن عبد شمس من شيعة علي بن أبي طالب عليهما السلام فلما قدم زياد بن أبيه الكوفة واليا " عليها أضافه وطلبه فأتي بالمدينة فنزل على الحسن بن علي عليهما السلام فقال له الحسن: ما السبب الذي أشخاصك وأزعجك؟ فذكر له قصته وصنيع زياد به فكتب إليه الحسن: أما بعد فإنك عمدت إلى رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم فهم داروه وأخذت ماله وعياله فإذا أتاك كتابي هذا فابن له داره واردد عليه ماله وعياله فإني قد أجرته فশفعني فيه، فكتب إليه زياد: من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن بن فاطمة، أما بعد فقد أتاني كتابك تبدأ فيه باسمك قبل اسمي وأنت طالب للحاجة وأنا سلطان وأنت سوقه وكتابك إلي في فاسق لا يأويه إلا فاسق مثله وشر من ذلك تو ليه أباك وقد آويته إقامة منك على سوء الرأي ورضي بذلك وأيم الله لا يسبقني إليه ولو كان بين جلدك ولحمك فإن أحب لحم إلي أن آكله للحم أنت منه فأسلممه بجريته إلى

من هو أولى به منك فإن عفوت عنه لم أكن شفعتك وإن قتله لم أقتله إلا بحبه أباك، فلما قرأ الحسن عليه السلام الكتاب كتب إلى معاوية يذكر له حال ابن سرح وكتابه إلى زياد فيه وإجابة زياد إياه ول芙 كتابه في كتابه وبعث به إليه.

وكتب الحسن إلى زياد: من الحسن بن فاطمة بنت رسول الله عليه السلام إلى زياد بن سمية عبد بني ثقيف الولد للفراش وللعاهر الحجر ، فلما قرأ معاوية كتاب الحسن عليه السلام ضاقت به الشام وكتب إلى زياد: أما بعد فإن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام بعث إلي بكتابك جواب كتابه إليك في ابن سرح فأكثرت التعجب منه وعلمت أن لك رأين أحدهما من أبي سفيان وآخر من سمية، فاما الذي من أبي سفيان فحلم وحزم، وأما الذي من سمية فكما يكون رأي مثلها ومن ذلك كتابك إلى الحسن تشم أباه وتعرض له بالفسق، ولعمري لأنك أولى بالفسق من الحسن ولا يدركك إذ كنت تنسب إلى عبيد أولى بالفسق من أبيه، فإن كان الحسن بدأ بنفسه ارتفاعا " عنك فإن ذلك لم يضعفك وأما تشفيه فيما شفع إليك فيه فحظ دفعته عن نفسك إلى من هو أولى به منك، فإذا قدم عليك كتابي هذا فخل ما في يدك لسعيد بن سرح وابن له داره ولا تغدر به وأردد عليه ماله فقد كتبت إلى الحسن أن يخبر صاحبه بذلك فإن شاء أقام عنده وإن شاء رجع إلى بلده، فليس لك عليه سلطان بيد ولا لسان، وأما كتابك إلى الحسن باسمه واسم أمه ولا تنسبه إلى أبيه فإن الحسن ويلك من لا يرى به الرجوان أفالستصغرت أباه وهو علي بن أبي طالب أم إلى أمه وكلته لا أم لك فهي فاطمة بنت رسول الله - عليه السلام فتلك أخْرَه له إن كنت تعقل والسلام (٦٦).

- ١١ -

مسجدها عليها السلام

قال ابن الجهم: سمعت الرضا عليه السلام يقول موضع الأسطوانة مما يلي صحن

المسجد؛ مسجد فاطمة صلی اللہ علیہا (۶۷).

وعن الحسين بن محمد الأشعري، قال: حدثني شيخ من أصحابنا يقال له عبد الله بن رزين - و ساق الحديث إلى قوله فدخل فسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله و جاء إلى الموضع الذي كان يصلّي فيه في بيت فاطمة عليها السلام، وخلع نعليه، وقام يصلّي.

وعن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: سألت الرضا عليه السلام عن قبر فاطمة عليه السلام؟ فقال: دفنت في بيتها، فلما زادت بنو أمية في المسجد صارت في المسجد.

قال العلامة السمهودي الشافعى في الفصل الذي ينقل و يذكر فيه ما جاء في أساطين المسجد النبوى صلى الله عليه و آله : و منها أسطوانة التهجد، أنسد يحيى بن عيسى بن عبد الله، عن أبيه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه و آله يخرج حصيراً كل ليلة إذا انكفت الناس، فيطرح وراء بيت علي عليه السلام ، ثم يصلّى صلاة الليل ...

قال عيسى: و حدثني سعيد بن عبد الله بن فضيل، قال: مرّ بي محمد بن الحنفية وأنا أصلّي إليها، فقال لي: أراك تلزم هذه الأسطوانة هل جاءتك فيها أثر؟ قلت: لا.

قال: فالـزـمـهـا، فـأـنـهـاـ كـانـتـ مـصـلـىـ (رسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ مـنـ اللـيـلـ)ـ.

وعن زيد بن ثابت :إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اتَّخَذَ حِجْرَةً - قَالَ : حَسِبْتَ إِنَّهُ قَالَ مِنْ حَصِيرٍ - فِي رَمَضَانَ ، فَصَلَّى فِيهَا لِيَالٍ .

وقال المطري في بيان موضع هذه الأسطوانة: هي خلف بيت فاطمة عليهما السلام، والمواقف إليها يكون بباب جبرئيل عليهما السلام.

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري - في حديث طويل و كان بيته سلام الله عليها ملاصق بيت رسول الله صلى الله عليه و آله الذي ينفرد به لنفسه من أزواجه .

و قال السمهودي: قال ابن زبالة: حدثني عبدالعزيز بن محمد، عن بعض أهل العلم، قال: قدم الوليد بن عبد الملك حاجاً، فبينا هو يخطب الناس على منبر رسول الله صلى الله عليه و آله إذ حانت منه التفاتة، فإذا بحسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام في بيته فاطمة عليه السلام في يده مرأة ينظر فيها. فلما نزل أرسل إلى عمر بن عبدالعزيز وهو عامله بالمدينة، فقال: لا أرى هذا قد بقي بعد^(٦٨).

- ١١ -

صدقاتها عليها السلام

لفاطمة أوقاف عدة وصدقات في المدينة المنورة قد نص عليها المؤرخون إلا أنها صودرت فيما صودرت من آثار البيت النبوي المطهر ومنها:

ام العيال: وهي عين تخر من جبل قرب المدينة يسمى (آره) يقابل قدسا من اشمخ ما يكون من الجبال، احمر تخر جوانبه عيوناً، على كل عين قرية فمنها: الفرع، وام العيال، والمضيق، وسميت القرية باسم العين ام العيال، عن عزام انها صدقة فاطمة الزهراء^(٦٩)

ونخلات فاطمة: في صحن المسجد النبوي الشرقي المجاور لباب النساء كانت بئراً ونخلات، نخلتان او ثلاث موجودة الى عهد قريب ذكرها المستشرق بور خارت قائلاً: انها مقدسة وتنسب الى الزهراء عليه السلام لأنها غرسها بيدها الشريفة^(٧٠).

رأوا قافها عليها السلام حيث كان لها سبعة بساتين وقفتها على بنى هاشم وبنى عبد المطلب وهي (العواف، والذلال، والبرقة، والمبيت، والحسني، والصافية، ومآل أم إبراهيم) ^(٧١).

وجزيرة فاطمة: كان في المسجد النبوي عند الروضة جذعة تسمى جزيرة فاطمة وكانت عالية يتطاول الزائرون ليلمسوها ويتركونها ^(٧٢).

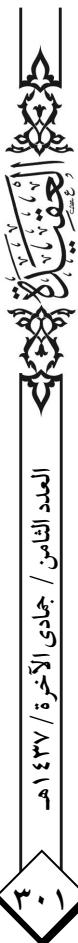
- ١٢ -

قبرها عليها السلام

وفي خاتمة المطاف اختصت الزهراء عليها السلام بأشجى مزية وامضها على قلوب شيعتها، نعم لقد ماتت الزهراء عليها السلام البنت الوحيدة لنبي الإسلام بين المسلمين ولكن خفي عليهم مكان قبرها، ان خفاء قبر فاطمة من أكبر الآيات الدالة على غضب فاطمة صلوات الله عليها على المتآمرين عليها وهو متواتر، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: سألت الرضا عليه السلام عن قبر فاطمة عليها السلام فقال: دفنت في بيتها فلما زادت بنو أمية في المسجد صارت في المسجد ^(٧٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترعة الجنة لأن قبر فاطمة صلوات الله عليها بين قبره ومنبره وقبتها روضة من رياض الجنة وإليه ترعة من ترعة الجنة ^(٧٤) ^(٧٥).

وروي انه لما توفيت صلوات الله عليها وعلى أبيها، وبعلها وبنيتها صاحت أهل المدينة صيحة واحدة واجتمعت نساء بنى هاشم في دارها، فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة ان تزعزع من صراخهن وهن يقلن: يا سيدناه يا بنت رسول الله، واقبل الناس مثل عرف الفرس إلى علي عليه السلام وهو جالس، والحسن



والحسين عليهما السلام بين يديه يبكيان فبكى الناس لبكائهم، وخرجت أم كلثوم وعليها برقعة وتجزء ذيلها، متجللة برداء عليها تسحبها وهي تقول: يا أباها يا رسول الله، الآن حقا فقدناك فقدا لإلقاء بعده أبداً واجتمع الناس فجلسوا، وهم يرجون وينظرون ان تخرج الجنازة، فيصلون عليها وخرج أبوذر فقال: انصرفوا فإن ابنة رسول الله عليهما السلام قد أخر اخراجها في هذه العشية فقام الناس وانصرفوا، فلما ان هدأت العيون، ومضى من الليل، أخرجها علي والحسن والحسين عليهما السلام، وعمار والمقداد، وعقيل والزبير، وأبوذر وسلمان وبريدة، ونفر من بنى هاشم وخواصه صلوا عليها، ودفنوها في جوف الليل وسوى على حواليها قبورا مزورة مقدار سبعة حتى لا يعرف قبرها. وقال بعضهم من الخواص: قبرها سوى مع الأرض مستويا، فمسحها مسحا سواء مع الأرض حتى لا يعرف أحد موضعه.

وقالوا: ليس قبرها بالقيق، إنما قبرها بين رسول الله عليهما السلام ومنبره لا يقع الغرقد وتصحيف ذلك قوله عليهما السلام بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة، إنما أراد بهذا القول قبر فاطمة عليهما السلام.

قال الأصبغ بن نباتة: سئل أمير المؤمنين عليهما السلام عن علة دفن فاطمة بنت رسول الله عليهما السلام فقال عليهما السلام: أنها كانت ساخطة على قوم كرهت حضورهم جنازتها وحرام على من يتولاه ان يصلى على أحد من ولدتها ^(٧٦).

وروي أنها قبضت لعشر بقين من جمادى الآخرة، وقد كمل عمرها يوم قبضت ثمانى عشرة سنة، وخمسة وثمانين يوما بعد وفاة أبيها، فغسلها أمير المؤمنين عليهما السلام، ولم يحضرها غيره، والحسن، والحسين، وزينب، وأم كلثوم، وفضة جاريتها، وأسماء بنت عميس، وأخرجها إلى القيق في الليل، ومعه الحسن والحسين، وصلى عليهما، ولم يعلم بها، ولا حضر وفاتهما، ولا صلى عليها أحد من سائر الناس غيرهم، ودفنهما في الروضة، وعفى موضع قبرها، وأصبح القيق ليلة دفنت وفيه أربعون قبراً جدداً؟ وإن المسلمين لما علموا وفاتها جاءوا إلى القيق،

أشاء انتصت بنا فاطمة عليهما السلام / رسول عبد السلام

فوجدوا فيه أربعين قبرا، فأشكل عليهم قبرها من سائر القبور، فضج الناس ولم بعضهم بعضا، وقالوا: لم يختلف نبيكم فيكم إلا بنتا واحدة، تموت وتُدفن ولم تحضرها وفاتها ولا دفنتها ولا الصلاة عليها ! بل ولم تعرفوا قبرها ! فقال ولادة الأمر منهم: هاتوا من نساء المسلمين من ينبعش هذه القبور حتى نجدها فنصلّي عليها وننذور قبرها. فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليهما السلام ، فخرج مغضبا قد احمرت عيناه، ودرت أوداجه، وعليه قباؤه الأصفر الذي كان يلبسه في كل كريهة، وهو يتوكأ على سيفه ذي الفقار، حتى ورد البقيع، فسار إلى الناس من أنذرهم، وقال: هذا علي بن أبي طالب قد أقبل كما ترونـه، يقسم بالله لثـن حول من هذه القبور حجر ليضعـن السيف في رقاب الآمرـين. فتلقاءـه عمر ومن معـه من أصحابـه، وقال لهـ: مـالـك يا أبا الحـسن، والله لنـبـعـش قـبـرـها ولـنـصـلـيـن عـلـيـهاـ. فـضـرـب عـلـيـهـ بـيـدـه إـلـى جـوـامـعـ ثـوـبـهـ فـهـزـهـ ثـمـ ضـرـبـ بـهـ الـأـرـضـ، وـقـالـ لـهـ: يا اـبـنـ السـوـدـاءـ، أـمـاـ حـقـيـ فقدـ تـرـكـتـهـ مـخـافـةـ أـنـ يـرـتـدـ النـاسـ عـنـ دـيـنـهـ، وـأـمـاـ قـبـرـ فـاطـمـةـ فـوـالـذـيـ نـفـسـ عـلـيـهـ بـيـدـهـ لـثـنـ رـمـتـ وـأـصـحـابـكـ شـيـئـاـ مـنـ ذـلـكـ لـأـسـقـيـنـ الـأـرـضـ مـنـ دـمـائـكـ، فـإـنـ شـيـئـ فـاعـرـضـ يـاـ عـمـرـ. فـتـلـقـاهـ أـبـوـ بـكـرـ فـقـالـ: يا أـبـاـ الـحـسـنـ، بـحـقـ رـسـوـلـ اللهـ وـبـحـقـ مـنـ فـوـقـ الـعـرـشـ إـلـاـ خـلـيـتـ عـنـهـ، فـإـنـاـ غـيـرـ فـاعـلـيـنـ شـيـئـ تـكـرـهـهـ. قـالـ: فـخـلـيـ عـنـهـ وـتـفـرـقـ النـاسـ وـلـمـ يـعـودـواـ إـلـىـ ذـلـكـ^(٧٧).

وعن محمد بن جبريل، قال: رأيت الحسن بن علي عليهما السلام وقد استسقى ماء، فأبطأ عليه الرسول، فاستخرج من سارية المسجد ماء فشرب وسقى أصحابه، ثم قال: لو شئت لسقيتكم لبنا وعسلا. فقلنا: فاسقنا. فسقانا لبنا وعسلا من سارية المسجد، مقابل الروضة التي فيها قبر فاطمة عليها السلام^(٧٨).

وقال المسعودي: ودفن عليه السلام بالبقيع مع أبيه وجده، وله خمس وستون سنة، وقيل: أنه سم، وعلى قبورهم في هذا الموضع من البقيع رخامة، مكتوب عليها: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله مبيد الأمم، ومحي الرمم، هذا قبر فاطمة بنت

رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين، وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد رضي الله عنهم ^(٧٩).

وعلق الشيخ عباس القمي على ذلك قائلاً: صلوات الله عليهم، فقد رفعهم الله من أن يقال: فيهم رحمة الله، وأما فاطمة التي دفنت الأئمة ^{عليهم السلام} معها، فهي فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين ^{عليه السلام}، وأما فاطمة بنت رسول الله ^{عليه السلام} وعليها، فالظاهر إنها دفنت في بيتها كما حرق ذلك في محله ^(٨٠).

قال الشيخ الصدوق: اختلفت الروايات في موضع قبر فاطمة سيدة نساء العالمين ^{عليها السلام}، فمنهم من روى أنها دفنت في البقيع، ومنهم من روى أنها دفنت بين القبر والمنبر وأن النبي ﷺ إنما قال: ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة لأن قبرها بين القبر والمنبر، ومنهم من روى أنها دفنت في بيتها فلما زادت بنو أمية في المسجد صارت في المسجد وهذا هو الصحيح عندي، وإنني لما حججت بيت الله الحرام كان رجوعي على المدينة بتوفيق الله تعالى ذكره، فلما فرغت من زيارة رسول الله ^{عليه السلام} قصدت إلى بيت فاطمة ^{عليها السلام} وهو من عند الأسطوانة التي تدخل إليها من باب جبرئيل ^{عليه السلام} إلى مؤخر الحظيرة التي فيها النبي ^{عليه السلام} فقمت عند الحظيرة ويساري إليها وجعلت ظهري إلى القبلة واستقبلتها بوجهي وأنا على غسل وقلت:

«السلام عليك يا بنت رسول الله، السلام عليك يا بنت النبي، السلام عليك يا بنت حبيب الله، السلام عليك يا بنت خليل الله، السلام عليك يا بنت صفي الله، السلام عليك يا بنت أمين الله، السلام عليك يا بنت خير خلق الله، السلام عليك يا بنت أفضل أنبياء الله ورسله وملائكته، السلام عليك يا ابنة خير البرية، السلام عليك يا سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، السلام عليك يا زوجة ولی الله وخیر الخلق بعد رسول الله، السلام عليك يا أم الحسن

والحسين سيد شباب أهل الجنة، السلام عليك أيتها الصديقة الشهيدة، السلام عليك أيتها الرضية المرضية السلام عليك أيتها الفاضلة الزكية، السلام عليك أيتها الحورية الانسية، السلام عليك أيتها التقية النقية، السلام عليك أيتها المحدثة العليمة، السلام عليك أيتها المظلومة المغصوبة، السلام عليك أيتها المضطهدة المقهورة، السلام عليك يا فاطمة بنت رسول الله ورحمة الله وبركاته، صلى الله عليك وعلى روحك وبدنك،أشهد أنك مضيت على بيته من ربك وأن من سرك فقد سر رسول الله ﷺ ، ومن جفالك فقد جفا رسول الله ﷺ ، ومن آذاك فقد آذى رسول الله ﷺ ، ومن وصلك فقد وصل رسول الله ﷺ ، ومن قطعك فقد قطع رسول الله ﷺ ، لأنك بضعة منه وروحه التي بين جنبيه، كما قال عليه أفضـل سلام الله وصلواته أشهد الله ورسله وملائكته إني راض عنمن رضيت عنه، ساخـط على من سخطـتـ عليهـ، متـبرـئـ منـ تـبـرـأـتـ مـنـهـ، موـالـ لـمـنـ والـيـتـ، معـادـ لـمـنـ عـادـيـتـ، مـبـغضـ لـمـنـ أـبغـضـ، مـحـبـ لـمـنـ أـحـبـتـ، وكـفـىـ بالـلـهـ شـهـيدـاـ وـحـسـيـباـ وـجـازـياـ وـمـشـيـباـ].

ثم قلت: اللَّهُمَّ صلِّ وسْلِمْ عَلَى عَبْدِكَ ورَسُولِكَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ خَاتَمِ النَّبِيِّنَ وَخَيْرِ الْخَلَقِ أَجْمَعِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى وَصِيْهِ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِمامِ الْمُسْلِمِينَ وَخَيْرِ الْوَصِيِّينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى فَاطِمَةَ بْنَتِ مُحَمَّدٍ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِي شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْحَسَنِ وَالْحَسِينِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَلَى بْنِ الْحَسِينِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَاقِرِ عِلْمِ النَّبِيِّنَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّادِقِ عَنِ الْهُدَىِ الْحَسِينِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى كَاظِمِ الْغَيْظِ فِي الْمُحَمَّدِ الْمُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الرَّضَا عَلَى بْنِ مُوسَى، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى التَّقِيِّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النَّقِيِّ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الزَّكِيِّ الْحَسِينِ بْنِ عَلِيٍّ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْحَجَةِ الْقَائِمِ ابْنَ الْحَسِينِ بْنِ عَلِيٍّ، اللَّهُمَّ أَحِي بِنَ الْعَدْلِ، وَأَمِتْ بِهِ الْجُورِ، وَزِينْ بِطُولِ بَقَائِهِ الْأَرْضِ، وَأَظْهِرْ بِهِ دِينِكَ وَسَنَةِ نَبِيِّكَ حَتَّى لَا يَسْتَخْفِي بِشَيْءٍ مِّنَ الْحَقِّ مَخَافَةً أَحَدٍ مِّنَ الْخَلْقِ وَاجْعَلْنَا مِنْ أَعْوَانِهِ وَأَشْيَاعِهِ

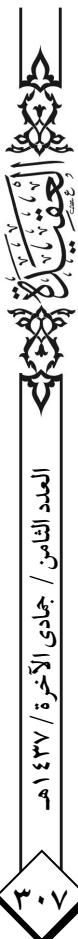
والملقبين في زمرة أوليائه يا رب العالمين، اللهم صل على محمد وأهل بيته الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتم تطهيرا". قال مصنف هذا الكتاب - رحمه الله -: لم أجد في الاخبار شيئاً موظفاً محدوداً لزيارة الصديقة عليهما السلام فرضيت لمن نظر في كتابي هذا من زياراتها ما رضيت لنفسي والله الموفق للصواب وهو حسينا ونعم الوكيل^(٨١).

هذه نبذة مختصرة لما اختصت به صلوات الله عليها، ولها بأبي وأمي من الفرائد التي لا يدان بها الفكر والتصور والخيال شرفاً ومقاماً.



* هوامش البحث *

- (١) الأimali ص ٤٠٨.
- (٢) مناقب أمير المؤمنين عليهما السلام ج ٢ ص ١٥٨ .
- (٣) مستدرك الوسائل ج ٦ ص ٥١١، عيون أخبار الرضا عليهما السلام ج ٢ ص ٤١٦ .
- (٤) مناقب أمير المؤمنين عليهما السلام ج ٢ ص ٤٦٠ .
- (٥) الأimali المفید ص ٤٩، الأimali المفید ص ٩٥، مختصر بصائر الدرجات ص ١٨٧ .
- (٦) انساب الاشراف، ج ١، ص ٥٨٦ ، الإمامة والسياسة، ص ١٩، تاريخ الطبرى، ج ٢، ص ٤٤٣، العقد الفريد، ج ٤، ص ٢٦٨، الوافى بالوفيات، ج ٦، ص ١٧، الملل النحل للشهرستاني، ج ١، ص ٥٧، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٦ و ٤٧، مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٠١، ميزان الاعتدال، ج ١، ص ١٣٩، عبد الفتاح عبد المقصود، علي بن أبي طالب، ج ٤، ص ٢٧٦ .
- (٧) معجم البلدان: ج ١ ص ٥١٩، كتب الشيخ عباس القمي كتابا في مناقب الزهراء اسمها: بيت الأحزان: في مصائب سيدة النسوان البتوول فاطمة الزهراء عليهما السلام .
- (٨) مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ٤١ .
- (٩) الخصائص الفاطمية: ج ١ ص ٥٣٦ .
- (١٠) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ١٠ ص ١٤ .
- (١١) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ١٧٤ . منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج ١٣ ص ٢١ .
- (١٢) النص والاجتهداد، ص ٣٠١ .
- (١٣) تاريخ آل سعود ج ١ / ١٥٨ . كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب ص ٥٥ و ١٨٧ و ٣٢٤ و ٨٦، أعيان الشيعة ج ٢ / ٧، الصحيح من سيرة النبي الأعظم ج ١ / ٨١، آل سعود من أين إلى أين ص ٤٧ .
- (١٤) الذريعة: ج ٧ ص ٥٦ .



العدد الثامن / محمدى الآخرة / ٢٠١٩

٣٠٧

- (٢٩) قال ابن الأثير في النهاية: يقال مجلت يده تمجل مجللاً ومجلت تمجل مجللاً إذا ثخن جلدتها وتعجر وظهر فيه شبه البثر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة، ومنه حديث فاطمة عليه السلام أنها شكت إلى علي مجل يديها من الطحن (مادة مجل).
- (٣٠) اللقاع: اللحاف أو الكساء.
- (٣١) الشيخ الصدوق، علل الشرائع ج ٢ ص ٥٤-٥٥.
- (٣٢) الرقيق: الملوك (واحد وجمع)، والرقيق: العبد... وقد روى فلان: أي صار عبداً، وسمي العبيد رقيقاً لأنهم يرقون لمالكهم ويدلون ويختضعون. (انظر لسان العرب ج ١٠ ص ١٢٤).
- (٣٣) النعمان بن محمد بن منصور، دعائم الإسلام، ج ١ ص ١٦٨.
- (٣٤) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٣ ص ١٤٣.
- (٣٥) قال ابن منظور: «يقال: سناها الغيث يسنوه وهي مسندة ومسندة يعني: سقاها... والسواني:

- (١٥) ظرافة الأحلام ص ١٦٩.
- (١٦) المناقب ج ٣ ص ١٣٨.
- (١٧) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج ١٣ ص ٩١.
- (١٨) الكافي: ج ١ ص ٥٣٧، الواقي: ج ٢ ص ٣٠٩.
- (١٩) الكافي: ج ١ ص ٥٣٦.
- (٢٠) عيون أخبار الرضا (ع): ج ١ ص ٥٦.
- (٢١) عيون أخبار الرضا (ع): ج ١ ص ٥١.
- (٢٢) بصائر الدرجات: ١٤٣ / ١٦ باب في الأئمة أنهم عندهم الصحيفة.
- (٢٣) تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٤١١.
- (٢٤) شرحزيارة الجامعة ص ٨١.
- (٢٥) بصائر الدرجات ٣٩.
- (٢٦) بصائر الدرجات ص ١٧١.
- (٢٧) بصائر الدرجات ص ١٧٧.
- (٢٨) بصائر الدرجات ص ١٧٧.

(٣٩) أي: همّا بالقيام.

(٤٠) ابن الكواه: اسمه عبد الله، خارجي ملعون وهو الذي قرأ خلف علي عليهما السلام جهراً **﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيْحَبَطَ عَمَلُكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** (الزمر: ٦٥) وكان على عليهما السلام يوم الناس ويجهر بالقراءة فسكت علي عليهما السلام حتى سكت ابن الكواه ثم عاد في قراءته، حتى فعله ابن الكواه ثلاث مرات، فلما كان في الثالثة قال أمير المؤمنين عليهما السلام: **﴿فَاصْرِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفْنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾** (الروم: ٦٠) وهو الذي سأل أمير المؤمنين عليهما السلام عن مسائل شتى فأجابه.. والكواه: الخبيث الشتم. (الكتفي والألقاب للشيخ عباس القمي ج ١ ص ٣٩٦).

(٤١) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص ٣٦٨، وذكرها ابن سعد في طبقاته ج ٨ ص ٢٥ مع اختلاف طفيف.

(٤٢) أحمد زيني دحلان، السيرة النبوية والآثار المحمدية ج ٣ هامش السيرة الحلبية ص ٣٠٢.

(٤٣) الشيخ ولی الدين محمد بن عبد الله الخطيب، مصابيح الانوار ج ١ ص ٧٣٣.

(٤٤) المصدر نفسه ج ١ ص ٧٣٣.

(٤٥) الحافظ أبو نعيم الاصبهاني، حلية الأولياء ج ٢ ص ٤١.

(٤٦) الحافظ أبو نعيم الاصبهاني، حلية الأولياء، ج ٢ ص ٤١.

(٤٧) العلامة القسطلاني، ارشاد الساري بشرح صحيح البخاري ج ٦ ص ٦٣٩.

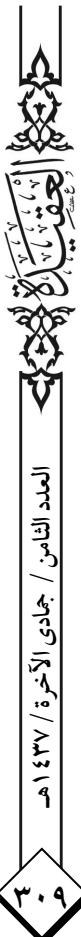
(٤٨) مناقب الابي طالب ٣٤٩/٣.

جمع سانية وهي الناقة التي يستنقى عليها، ومنه حديث فاطمة عليهما السلام (لقد سنته حتى اشتكيت صدري» (لسان العرب ج ١٤ ص ٤٠٤ مادة «سنا»). ومعنى كلام أمير المؤمنين عليهما السلام أنني سقيت بالقرفة حتى أثر في صدري فاشتكى منه.

(٣٦) سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ٣١١.

(٣٧) الصفة: سقيفة في مسجد رسول الله عليهما السلام كانت مسكن الغرباء والفقراء، ومنه أهل الصفة من المهاجرين لم يكن لهم منازل ولا أموال. (مجمع البحرين للطريحي ج ٥ ص ٨٦).

(٣٨) القطيفة: دثار مخمل، وقيل كساء له خمل، والجمع: القطائف. (لسان العرب: مادة «قطف»، ج ٩ ص ٢٨٦).



- (١) تفسير العياشي ج ١، ص ٣١٠.
- (٢) الاختصاص ص ١٧٨.
- (٣) تفسير القمي ١٥٥/٢.
- (٤) قال العلامة المجلسي: أي ضعي الحال في رقابنا لترفعنا إلى حاكم، قاله تحيرا وتعجبا وقاله تفريعا على الحال بزعمه أي انك إذا أعطيت ذلك وضعت الحال على رقابنا وجعلتنا عبيدا لك أو انك إذا حكمت على ما لم يوجد عليها أبوك بأنها ملكك فاحكم على رقابنا أيضا بالملكية. وفي بعض النسخ بالمعجمة أي ان قدرت على وضع الحال على رقابنا فضع.
- (٥) الكافي: ج ١ ص ٥٤٣.
- (٦) قال الفيروزآبادي إيه بكسر المهمزة والهاء وفتحها، وتنون المكسورة، كلمة استزاده واستنطق، وقال: هي بالكسر كلمة استزاده وقال: الربدة بالضم لون إلى الغرة وقد اردد وارباد.
- (٧) المناقب ج ٣ ص ٤٢٧.
- (٨) وفاء الوفا للسمهودي ج ١ ص ٥٧٦ أعيان الشيعة: ج ١ ص ٣١٣.
- (٩) وفاء الوفا للسمهودي ج ١ ص ٥١٣.
- (١٠) بشارة المصطفى ص ١٠٩.
- (١١) نيل الأوطار: ج ٦ ص ١٣٩.
- (١٢) نيل الأوطار: ج ٦ ص ١٣٩.
- (١٣) مجمع الزوائد: ج ٤ ص ٩٤ كتاب الأربعين للشيخ الماحوزي ص ٧٦.
- (١٤) مجمع الزوائد: ج ٦ ص ٣٠١.
- (١٥) تحف العقول عن آل الرسول (ص)، ص ٤٠٤.
- (١٦) إمتاع الأسماع للمقرizi ج ٦ ص ٣.
- (١٧) إمتاع الأسماع للمقرizi ج ٦ ص ٣.
- (١٨) الإيضاح، ص ٥٤٩ ..
- (١٩) قرب الاسناد ص ٣٩٦.
- (٢٠) الكافي: ج ٩، باب مولد الزهراء عليهما السلام فاطمة الزهراء عليهما بهجه قلب المصطفى

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ٥٨٥ وَ ٥٨٦ .

(٦٩) المغامن المطابة ص ٦ .

(٧٠) موسوعة العتبات المقدسة قسم المدينة ص ٥٠ .

(٧١) مستدرك ما فات اهل الدار ص مستدرك ما فات اهل الدار ص ١٠٣ .

(٧٢) نصيحة المشاور ص ٤٤ .

(٧٣) الكافي: ج ١ ص ٤٦، معاني الأخبار، ص ٤٦٧ .

(٧٤) الترعة - بضم المثنا الفوquانية ثم المهملتين - في الأصل هي الروضة على مكان المرتفع خاصة فإذا كانت بالحطئ ففي روضة .

(٧٥) معاني الأخبار ، ص ٤٦٧ .

(٧٦) روضة الوعظين ص ١٥١ .

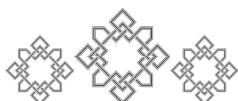
(٧٧) دلائل الامامة ص ١٣٥ .

(٧٨) دلائل الامامة ص ١٧٠ .

(٧٩) مروج الذهب: ج ٣ ص ٢٨٥ .

(٨٠) الأنوار البهية ص ١٧٤ .

(٨١) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٥٧٢ .



أشياء اخضعت لها فاطمة / رسول عبد السادة

Al- Aqeeda

A quarterly magazine that deals
with the doctrine and with modern
and old scholastic theology issues



www.iicss.iq

info@iicss.iq

islamic.css@gmail.com

المَركَزُ الْاسْلَامِيُّ لِلِّيْلَاسَاتِ الْاسْتَرَاطِيجِيَّةِ

يعنى بالاستراتيجية الدينية والمعرفية

النَّجَفُ الْأَشْرَفُ